

كِتَابٌ

تخليص الابريز الى تلخيص باريز
أو

الديوان النفيس بديوان باريس

رحلة العالم العلامة المشارك

التحرير الفهامة المرحوم

رفاعة بك بدوي رافع

الطباطبائي رحمه

الله آمين

آمين

(طبع على ذمة مصطفى فهمي)

(الكتبي بجوار الازم)

سنة ١٣٢٣ هـ و ١٩٠٥ م

دار التفتيش على المطبعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحان من سير أقدام الانام الى ما مضى في سابق علمه * ويسر
للانسان الاقدام على محم قضائه وحكمه * فلا محيص لقوى وضعيف
ووضعيع وشريف * عما جري في أم الكتاب * ولا مفر لغني وفقير
وخطير وحقير عن الاقتراب الى مطوى ذلك الحجاب * أحمد سبحانه
وتعالى حمد من ابتلاه فصبر * وأغناه فشكر * واشكره شكر من توجه
بجنانه لاسير الى مرضاته * فتنزه في رياض القبول وجناته * وأصلي
وأسلم على من سارت ركائب شوقه الى مدبره * وأشارت مواكب
حسن خاقه الى طب عنصره * سيدنا محمد الذي سافر الى التمام *
وهاجر الى المدينة * وسار من المسجدين الحرام الى المسجد الأقصى
وكان جبريل أمينه * وعلى آله وأصحابه وعترته وأحبابه * وأنبياء الى
الحضرة العلية * بالحضرة المحمدية * في نشر ألوية العز والعدل * كال
الجهاء والفضل * على سائر الاقطار المصرية * وجميع الاقاليم الحجازية
والسودانية والشامية * بأشراق طالع التدبير العجيب والتشديد الغريب
الوزير الاعظم * والدستور المكرم المفخم * نادرة وزراء الزمان * وشاردة
أمرء الاوان * من أحيي العلوم باجتهاده * وانصب رسوم الاسلام
بغزوه واجتهاده * صاحب العلم المنيف * وفاتح الحرم الشريف * حضرة
أفندينا ولي النعم * عظيم الشيم * الحاج محمد علي باشا بقله الله تعالى
ما يشاء وما شاء أمين *

ابقاه ربي بخير * وعزة وسعاده

بجاه خير البرايا * والالاهل السيادة

اما بعد فيقول العبد الفقير الى امداد سيده ومولاه * السائر حيث
وجهه وولاه * المعتمد على الكريم النافع * رفاعة ابن المرحوم السيد
بدوي رافع * الطمطاوي بلدا الحسيني القاسمي نسبيا * الشافعي مذهبا.
لما من الله سبحانه وتعالى على بطاب العلم بالجامع الأزهر * والمحفل
الانور * الذي هو جنة علم دانية النمار * وروضة فهم يانعة الازهار
كما قال استاذنا العلامة المطار *

لازم اذا رمت الفضائل مسجدا * بشموش انواع العلوم تنورا
فيه ريض العلم اينع زهرها * فلذلك المعنى تسمى الازهرا
وقال بعضهم واحسن بيتين معرضا بعلماء الحرمين *

ومن يغترب عن ازهر العلم فايئج * على بعد دار العلم والعلماء
ففيه بحور طاميات وغيره * بحور عروض لا تجود بماء

وحصات ما يسر به على الفتح مما يخرج به الانسان من الظلام * ويمتاز
به عن مرتبة العوام * وكنت من معشر جارت عليهم الايام بعد ان
أجرت غيها في ديارهم * وأشارت الى نصيبهم الاعوام بعد ان
نصبت اعلام راحتها في مزارهم * ومن المركوز في الاسماع في القديم
والحديث * وعاليه الاجماع بعد الكتاب والحديث * ان خير
الامور العلم * وانه اهم كل مهم * وان ثمرته في الدنيا والآخرة
على صاحبه تعود * وان فضله في كل زمان ومكان مشهود * سهل
لي الدخول في خدمة صاحب السعادة اولا في وظيفة واعظ في
السياكر الجهادية * ثم منها الى رتبة مبعوث في باريس صحة الافندية

المبعوثين لتعلم العلوم والفنون الموجودة بهذه المدينة البهية * فلما
 رسم اسمي في جملة المسافرين * وعزمت على اتوجه اشار على بعض
 الاقارب والمحبين * لاسيما شيخنا العطار فانه مولع بسماع عجائب
 الاخبار والاطلاع على غرائب الانار ان انبه على مايقع في هذه السفرة
 وعلى مااراه وما اصادفه من الامور الغريبة والاشياء العجيبة * وان
 اقيده ليكون نافعا في كشف القناع * عن محيا هذه البقاع * التي
 يقال فيها انها عرائس الاقطار * وليبقى دليلا يهتدى به الى السفر
 اليها طلاب الاسفار * خصوصا وانه من اول الزمن الى الآن لم
 يظهر باللغة العربية على حسب ظني شي في تاريخ مدينة باريس *
 كرسي مملكة الفرنسيين * ولا في تعريف احوالها واحوال اهلها *
 فالحمد لله الذي جعل ذلك بانفاس ولي النعمة وفي عهده وبسبب عنايته
 وتقويته للعلوم والفنون فما قصرت في ان قيدت في سفرى رحلة صغيرة
 نزهتها عن خلل التساهل والتحامل * وبرايتها عن زلل التكاسل
 والتفاضل * ووشحتها ببعض استطرادات نافعة * واستظهارات ساطعة *
 وانطقها ببحث ديار الاسلام على البحث عن العلوم البرانية والفنون
 والصنابع فان كمال ذلك ببلاد الافرنج امر ثابت شائع * والحق احق
 ان يتبع * ولعمري الله اني مدة اقامتي بهذه البلاد في حسرة على تمنعها
 بذلك وخلو ممالك الاسلام منه واياك ان تجدد ما ذكره لك خارقا عن
 عادتك فيعسر عليك تصديقه فتظنه من باب الهذر والحرافات * او من
 حيز الافراط والمبالغات * وبالجمله فبعض الظن اتم * والشاهد يرى
 مالا يراه الغائب واذا لم تر الهلال فسلم لاناس راوه بالابصار * وقد
 اشهدت الله سبحانه وتعالى على ان لا احيد في جميع ما ا قوله عن

طريق الحق وان افشى ماسمح به خاطري من الحكم على استحسن
 بعض امور هذه البلاد وعوائدها على حسب ما يقتضيه الحال ومن
 المعلوم اني لاستحسن الا مالم يخالف نص الشريعة المحمدية * على
 صاحبها افضل الصلاة واشرف التحية * وليست هذه الرحلة مقتصرة
 على ذكر السفر ووقايه فقط بل هي مشتملة ايضا على ثمرته وغرضه
 وفيها إيجاز العلوم والصنایع المطلوبة والتكلم عليها على طريق تدوين
 الاقرنج لها واعتقادهم فيها وتأسيسهم لها ولذلك نسبت في غالب الاوقات
 الاشياء التي هي محل للنظر او للاختلاف مشيرا الى ان قصدي مجرد
 حكايتها وقد سميت هذه الرحلة تلخيص الابرز في تلخيص باريز * او
 الديوان النفيس * بايوان باريس * وقد رتبها على مقدمة وفيها عدة
 ابواب * وعلى مقصد وفيه عدة مقالات * وكل مقالة فيها عدة فصول *
 او كتب مشتملة على فصول وعلى خاتمة * راجع الفهرسة في اول
 الكتاب * وقد حاولت في تأليف هذا الكتاب سلوك طريق الإيجاز
 وارتكاب السهولة في التعبير حتى يمكن لكل الناس الورود على حياضه *
 والوفود على رياضه * ولو صغر حجمه وقل جرمه * فهو مشحون
 بما لا يحصى من فوائد الفرائد * وبما لا يستقصى من جزائل
 الخرائد * شعر

فاذا بدا لاتستقلوا حجمه * وحياتكم فيه الكثير الطيب
 واسئل الله سبحانه وتعالى ان يجعل هذا الكتاب مقبولا لدى صاحب
 السعادة ولي النعم * معدن الفضل والكرم * وان يوقظ به من نوم الغفلة
 سائر ائمة الاسلام من عرب وعجم * انه سميع مجيب * وقاصده لا ينحيب *



المقدمة

الباب الاول في ذكر ما يظهر لى من سبب ارتحالنا الى هذه البلاد
التي هي ديار كفر وعناد * وبعيدة عنا غاية الابتعاد * وكثيرة المصاريف
لشدة غلو الاسعار فيها غاية الاشتداد * أقول ان هذا يحتاج الى تمهيد
وهو أن الاصل في الانسان الساذجية والخلوص عن الزينة والوجود
على أصل الفطرة لا يعرف الا الامور الوجدانية ثم طرأ على بعض الناس
عدة معارف لم يسبق لها وانما كشفت له بالصدفة والاتفاق أو بالالهام
والايحاء وحكم الشرع أو العقل بنفعها فاتبعت وابقيت مثلاً كان في
أوائل الزمن يجهل بعض الناس تنضيح المطعومات بالنيران لجهل النار
بالكلية عندهم ويفتضرون على الغداء بالفواكه أو بالاشياء المنضجة
بالشمس أو اكل الاشياء النيئة كما هو في بعض البلاد الى الآن ثم انه
حصل اتفاقاً أن بعضهم رأى خروج شرارة نار من الصوان بمصادمة
حديد أو نحوها ففعل مثل ذلك وقدم وأخرج النار وعرف خاصيتها
وكان في الناس من يجهل الصبغ والتلون للثياب باللون الارحواني مثلاً فرأى
بعضهم كلباً أخذ محارة من البحر وفتحها وأكل ما فيها فاحمر حسكه
وتلون بما فيها فآخذوها وعرفوا منها صناعة الصباغة بهذا اللون * كما
يحكي عن أهالي صور ببر الشام وكانت الناس في أول الامر تجهل ركوب
البحر ثم بالهام الهلي أو باتفاق بشري عرفوا أن من خواص الخشب السيح
على وجه الماء فضعوا السفينة ثم تبحروا في السفن وعمروها ونوعوها
أنواعاً فكانت أولاً صغيرة للتجارات ثم ترفعوا فيها حتى صبحت للجهاد
والحرايات وقس على ذلك ما أشبهه من المحاربة بالسهم والرمح أولاً

ثم بعد ذلك بالسلاح ثم بالمدافع والاهوان وقد كانت الناس في أول
الزمن تعبد الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك ثم بالهام الله تعالى
وبارساله الرسل صاروا يعبدون الهأ وأحدأ فكلما تقدم الزمن في الصعود
وأيت تأخر الناس في الصنائع البشرية والعلوم المدنية * وكلما نزلت
ونظرت الى الزمن في الهبوط رأيت في الغالب ترقهم وتقدمهم في ذلك
وبهذا الترقى وقياس درجاته وحساب البعد عن الحالة الاصلية والقرب
منها انقسم سائر الخلق الى عدة مراتب * المرتبة الأولى مرتبة الهمل
المتوحشين * المرتبة الثانية مرتبة البرابرة الحشنيين * المرتبة الثالثة
مرتبة أهل الأدب والظرافة والتحضّر والتمدن والتحصن المتطرقين *
مثال المرتبة الأولى همل بلاد السودان الذين هم دائماً كالبهايم السارحة
لا يعرفون الحلال من الحرام ولا يقرؤن ولا يكتبون ولا يعرفون شيئاً
من الامور المسهلة للمعاش ولا للمعاد وإنما تبعهم الوجدانية على قضاء
شهواتهم كالبهايم فيزرعون بعض شيء أو يصيدونه لتحصيل قوتهم
ويخصصون بعض أخصاص أو خيام للتوقي من حر الشمس ونحوه
ومثال المرتبة الثانية عرب البادية فان عندهم نوعاً من الاجتماع الانساني
والاستئناس والاشتلاف لمعرفهم الحلال من الحرام والقراءة والكتابة
وغيرها وأمور الدين ونحو ذلك غير أنهم أيضاً لم تكمل عندهم درجة
الترقى في أمور المعاش والعمران والصنائع البشرية والعلوم العقلية والنقلية
وان عرفوا البناء والفلاحة وتربية البهايم ونحو ذلك ومثال المرتبة الثالثة
بلاد مصر والشام واليمن والروم والعجم والافرنج والمغرب وسائر بلاد
أمريكا على أكثرها وكثير من جزائر البحر المحيط فان جميع هؤلاء
الأمم أرباب عمران وسياسات * وعلوم وصناعات * وشرائع وتجارات

ولهم معارف كاملة في آلات الصنایع والحیل على حمل الاشياء الثقيلة
 باخف الطرق ولهم علم بالسفر في البحور الى غير ذلك * وهذه المرتبة
 الثالثة تتفاوت في علومها وفنونها وحسن حالها وتقليد شريعة من الشريعة
 وتقدمها في النجامة مثلاً البلاد الافرنجية قد بلغت أقصى مراتب البراعة
 في العلوم الرياضية والطبيعية وما وراء الطبيعة أصولها وفروعها ولبعضهم
 نوع مشاركة في بعض العلوم العربية وتوصلوا الى دقائقها وأسرارها
 كما سئد كره غير انهم لم يهتدوا الى الطريق المستقيم ولم يسلكوا سبيل النجاة
 أبداً وكما أن البلاد الاسلامية قد برعت في العلوم الشرعية والعمل بها
 وفي العلوم العقلية وأهملت العلوم الحكيمة بمجمعتها لذلك احتاجت الى
 البلاد الغربية في كسب ما لا تعرفه ولهذا حكم الأفرنج بان علماء الاسلام
 انما يعرفون شريعتهم ولسانهم يعني ما يتعاق باللغة العربية ولكن يعرفون
 لنا بأننا كنا أساتذهم في سائر العلوم وبقدمنا عليهم ومن المقرر في الاذهان
 وفي خارج الاعيان ان الفضل للمتقدم أو ليس أن المتأخر يفترق من
 فضائله * ويهتدي بدلالته * وما أحسن قول الشاعر *

وما شجاني لاني كنت نائماً * أعلل من فرط الكرى بالنسم
 الى أن بكت ورقاء في غصن أيك * تردد مبكها بحسن السقم
 فلو قبل مبكها بكيت صباية * بسعدي شفيت النفس قبل التندم
 ولكن بكت قبلي فهبج لي البكا * بكها فقلت الفضل للمتقدم
 ويمجني أيضاً قولهم في هذا المعنى عند المكافئة

أنا الشجاع الذي قد كنت في ظمأ * وسط الهجير على الرمضاء في الوادي
 فجدت بالماء فضلاً منك مبتداً * بغير قل فأشفي غلة الصادي
 هذا جزاؤك منا لا نمن به * فضلاً بفضل وكان الفضل لليادي

فاننا كنا في زمن الخلفاء أكل سائر البلاد وسبب ذلك أن الخلفاء كانوا يعينون العلماء وأرباب الفنون وغيرهم على أن منهم من كان يشتغل بها بنفسه فالنظر الى المأمون بن هارون الرشيد فانه زيادة عن اعانة ميقاتية دولته كان يشتغل بنفسه بعلم الملك * كيف وهو الذي قد حرر ميل دائرة فلك البروج على دائرة الاستوا فوجده بالامتحان ثلاثة وعشرين درجة وخمسة وثلاثين دقيقة وغير ذلك وكافعل جعفر المتوكل من العباسية فانه أعان اصطفان على ترجمة الكتب اليونانية بكتاب ذيسقو ريذس في الادوية وكما قد طلب الملك عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس من ملك قسطنطينية المسمى ارمانيوس أن يبعث اليه رجلاً يتكلم باللسان اليوناني واللاتيني ليعلم له عييداً يكونون مترجمين عنده فبعث له راهباً يسمى بقولا الى غير ذلك * فمن هنا نفهم أن العلوم لا تنتشر في عصر إلا باعانة صاحب الدولة لأهله وفي الامثال الحكمية الناس على دين ملوكهم وقد تشتت عز الخلفاء وانهدم ملكهم فانظر الى الاندلس فانها الآن بأيدي النصارى الاسبانول من نحو ثلاثمائة وخمسين سنة وقد قويت شوكة الافرنج ببراعتهم وتدبيرهم ومعرفتهم في الحرايات وتنوعهم واختراعهم فيها ولولا أن الاسلام منصور بقدرة الله سبحانه وتعالى لكان كلاً نقياً بالنسبة لقوتهم وسوادهم وثروتهم وبراعتهم وغير ذلك ومن المثل المشهور أن أعقلى الملوك أبصرهم بعواقب الأمور ولهذا تنبه ولي النعمة حفظه الله تعالى حيث ولاه الله سبحانه وتعالى على بلاد مصر القاهرة أن يرجع اليها شهابها القديم * ويحيي رونقها الرميم * فمن مبدء توليه حفظه الله سبحانه وتعالى وهو يعالج في مداواة دائها الذي لولاه كان عضالاً * ويصالح فسادها الذي

قد كاد أن يكون زواله محالاً ويلتجى إليه أرباب الفنون البارعة والصنائع النافعة من الأفرنج ويفدق عليهم فائض نعمته حتى إن العامة بمصر بل وبغيرها من جهلهم يلومونه غاية اللوم بسبب قبول الأفرنج وترحيبه بهم وانعامه عليهم جهلاً منهم بأنه حفظه الله إنما يفعل ذلك لأنسانيتهم وعلومهم لا لكونهم نصارى فالحاجة دعت إليه ولله در من قال

إن المسلم والطبيب كلاهما * لم يبذلا نصيحاً إذا لم يكرما
فاصبر لدائك أن جفوت طبيبه * واصبر لجهلك أن جفوت معلما

ولا يتأتى لأنسان أن ينكر أن الفنون والصنائع بمصر قد برعت الآن بل وقد وجدت بعد أن لم تكن فما أنفقه صاحب السعادة على ذلك كان في محله اتفاقاً * فانظر إلى الورش والمعامل والمدارس ونحوها وانظر إلى ترتيب أمراء العساكر الجهادية فانه من أحسن ما صنعه صاحب السعادة وأحق ما يؤرخ من فعل الخيرات ولا يمكن إدراك ضرورة هذا النظام إلا لمن رأى بلاد الأفرنج أو شاهد الوقائع وبالجملة والتفصيل فولي النعمة آماله دائماً متعلقة بالعمارات ومن الحكم المعروفة العمارة كالحيات والحراب كالموت وبناء كل ملك على قدر همته وقد سارع بولي النعمة حفظه الله تعالى في تحسين بلاده فأحضر فيها ما أمكنه إحضاره من علماء الأفرنج وبعث ما أمكنه بعثه من مصر إلى تلك البلاد فان علماءها أعظم من غيرهم في العلوم الحكيمة * وفي الحديث الحكيمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في أهل الشرك * قال بطليموس الثاني خذوا الدر من البحر والمسك من الفارة * والذهب من الحجر والحكيمة من قائلها * وفي الحديث اطلب العلم ولو بالصين ومن المعلوم أن أهل الصين وتينون وإن كان المقصود من الحديث السفر إلى طاب

العلم * وبالجملة حينما أمن الانسان على دينه فلا ضرر في السفر خصوصاً
لمصاحبة مثل هذه المصاحبة * ولعل هذا كله مطمح نظر صاحب
السعادة في هذا التفسير * فثمرة هذا السفر تحصل إن شاء الله تعالى
بنشر هذه العلوم والفنون الآتية في الباب الثاني وبكثرة تداولها وترجمة
كتبها وطبعتها في مطابع ولي النعم * فنبغى لاهل العلم حث جميع
الناس على الاشتغال بالعلوم والفنون والصنائع النافعة وليس هذا الزمان
قابلاً لأن يقال فيه كما قال مهمل الدين أبو حسين العاملي في صرف العمر
في جمع كتب العلم وادخارها ومطالعتها في شعره

على كتب العلوم صرفت مالك * وفي تصحيحها أتعبت بالك
وأنفقت البياض مع السواد * الى ما ليس ينفع في المعاد
تظل من المساء الى الصباح * تطالعها وقلبك غير صاح
وتصبح مولماً من غير طائل * بتحرير المقاصد والدلائل
وتوضيح الخفا في كل باب * وتوجيه السؤال مع الجواب
لعمري قد أضلتك الهداية * ضلالاً ماله أبدأ نهاية
وبالمحصل حاصلك الندامة * وحرمان الى يوم القيامة
وتذكرة المواقف والمراصد * تسد عليك أبواب المقاصد
فلا ينجي النجاة من الضلالة * ولا يشفي الشفاء من الجهالة
وبالارشاد لم يحصل رشاد * وبالتبيان ما بان السداد
وبالايضاح أشكلت المدارك * وبالمصباح أظلمت المسالك
وبالتلويح ما لاح الدليل * وبالنوضح ما أضح السبيل
صرفت خلاصة العمر العزيز * على تنقيح أبحاث الوجيز
بهذا الامر صرف العمر جهل * فقم واجهد فما في الوقت مهمل

ودع عنك الشروح مع الحواشي * فهن على البصائر كالغواشي
وقوله

أيها القوم الذي في المدرسه * كلما حصلتموه وسوسه
فكرتم ان كان في غير الحبيب * ماله في النشأة الاخرى نصيب
فانسلوا بالراح عن لوح الفؤاد * كل علم ليس ينبغي في المعاد

﴿ الباب الثاني من المقدمة ﴾

بتعلق بالعلوم والفنون المطلوبة ولذا ذكر لك هنا الصنائع المطلوبة لتعرف
أهميتها ولزومها في أي دولة من الدول وهذه الفنون إما واهية في مصر أو
مفقودة بالكلية وهي قسمان قسم عام للتلامذة وهو الحساب والهندسة *
والجغرافيا * والتاريخ * والرسم * وقسم خاص بتوزيع عليهم وهو عدة علوم
العلم الاول * علم تدبير الامور الملكية ويتشعب عنه عدة فروع * الحقوق
الثلاثة التي يعتبرها الافرنج وهي الحقوق الطبيعية * والحقوق البشرية *
والحقوق الوضعية * وعلم أحوال البلدان ومصالحها وما يليق بها *
وعلم الاقتصاد في المصاريف * وعلم تدبير المعاملات * والحسابات *
والخازندارية * وحفظيت المال * العلم الثاني * علم تدبير العسكرية * العلم
الثالث * علم القبطانية والامور البحرية العلم الرابع * فن معرفة المشي
في مصالح الدول * يعني علم السفاره ومنه الايجية وهي رسالة البلدان
وفروعه معرفة الالسن والحقوق والاصطلاحات * العلم الخامس فن
المياه وهو صناعة القناطر والجسور والارصفة والفساقي ونحو ذلك *
العلم السادس الميكانيقا وهو آلات الهندسة وجزر الانتقال * العلم السابع
هندسة العساكر العلم الثامن * فن الرمي بالمدافع * وترتيبها وهي فن

والطبيعية * العلم التاسع * فن سبك المعادن لصناعة المدافع والاسلحة *
 العلم العاشر علم الكيمياء وصناعة الورق والمراد بالكيمياء معرفة تحليل
 الاجزاء وتركيبها * ويدخل تحتها امور كثيرة كصناعة البارود والسكر *
 وليس المراد بالكيمياء حجر الفلاسفة كما يظنه بعض الناس فان هذا
 لا تعرفه الا فرنج ولا تعتقده اصلا * العلم الحادي عشر * فن الطب
 وفروعه فن التشريح والجراحة وتدير الصحة * وفن معرفة مزاج
 المريض * وفن السيطرة اي معالجة الخيل وغيرها * العلم الثاني عشر *
 علم الفلاحة وفروعها معرفة انواع الزروع وتدير الحلا بالبناء اللابق
 به وغيرها * ومعرفة مكنه من آلات الحراثة المسدرة للمصارف *
 العلم الثالث عشر * علم تاريخ الطبيعيات وفروعه مرتبة النباتات ومرتبة
 للمعادن * العلم الرابع عشر * صناعة النقاشة وفروعها فن الطباعة وفن
 نقش الاحجار ونحوها * العلم الخامس عشر فن الترجمة يعني ترجمة
 الكتب وهو من الفنون الصعبة خصوصا ترجمة الكتب العلمية فانه
 يحتاج الى معرفة اصطلاحات اصول العلوم المراد ترجمتها فاذا نظرت
 بعين الحقيقة رأيت سائر هذه العلوم المعروفة معرفة تامة لهؤلاء الا فرنج
 ناقصة او مجهولة بالكلية عندنا ومن جهل شيئا فهو دون من اتقن ذلك
 الشيء وكلما تكبر الانسان عن تعلمه شيئا مات بحسرتة فالحمد لله الذي
 قيض ولي النعمة لانقاذنا من ظلمات جهل هذه الاشياء الموجودة
 عند غيرنا واطن ان من له ذوق سليم وطبع مستقيم بقول كما قول وسأذكر
 بعضها بالاختصار في آخر الكتاب ان شاء الله تعالى وهو المستعان

﴿ الباب الثالث من المقدمة ﴾

في ذكر وضع البلاد الافرنجية ونسبتها الى غيرها من البلاد ومزية الامة
الفرنساوية على ماعداها من الافرنج وتبيين تخصيص صاحب السعادة لها
بارسالنا فيهادون ماعداها من ممالك الافرنج فنقول * اعلم ان الجغرافيين
من الافرنج قسموا الدنيا من الشمال الى الجنوب ومن المشرق الى المغرب
خمس اقسام وهي بلاد اوربا بضم الهمزة والراء وتشديد الباء * وبلاد
آسيا بكسر السين وبلاد الافريقية * وبلاد الامريكية * وجزائر البحر
المحيط * فبلاد اوربا محدودة جهة الشمال بالبحر المنجمد المسمى بحر
التاج الشمالي * وجهة الغرب ببحر الظلمات المسمى البحر المظلم والبحر
الغربي وجهة الجنوب ببحر الروم المسمى البحر المتوسط والبحر الابيض
وببلاد آسيا * وجهة المشرق ببحر الخزر بضم الخاء والزاي المسمى بحر
جرجان وبحر طبرستان * وبلاد آسيا * فحينئذ بلاد اوربا تقال على
بلاد الافرنج وبلاد الاروام * وبلاد قسطنطينية * وبلاد الخزر والبلغار
بضم الباء وفتح الغين * والافلاق والسرب وغيرها وهي نحو ثلاثة
عشر ارضا اي ولاية اصلية اربعة منها في الشمال وهي بلاد الانكليز
وببلاد دنميرق بكسر النون وفتح الميم وسكون الراء وبلاد اسوج بفتح
الهمزة وسكون السين وكسر الواو وبلاد الموسقو وستة في الوسط وهي
بلاد الفلمنك بفتح الفاء واللام والميم وسكون النون وبلاد الفرنسيين
وببلاد السويدية بضم السين الاولى مع التشديد وكسر الواو وبلاد
النمسة وبلاد البهوسية بضم الباء وبلاد جرمانية المتعاهدة بكسر الجيم
وسكون الراء وكسر النون وثلاثة في الجنوب وهي بلاد اسبانيا مع البرتوغال

وبلاد إيطاليا وبلاد الدولة العلية العثمانية في بلاد أربا وهي بلاد الاروام
والارناؤط والبشناق بضم الباء وسكون الشين والسرب بالباء او الفاء والبغار
والافلاق والبغدان بضم الباء وسكون الغين فمن ذلك تعلم ان تفسير بعض
المترجمين بلاد أوريا ببلاد الافرنج فيه قصور اللهم الا ان يكون بلاد الافرنج
تطلق على مايعم بلاد الدولة العلية ولكن يناقض ذلك ان الدولة العثمانية
يقصرون بلاد افرنجستان على ما عدا بلادهم من بلاد أوريا ويسمون بلادهم
ببلاد الروم وان كانوا يعممون أيضاً في لفظ الروم فيريدون به مايعم
بلاد الافرنج وبعض البلاد الداخلة في حكمهم من بلاد آسيا وبلاد آسيا
محددة أيضاً جهة الشمال بالبحر المنجمد الشمالى وجهة الغرب ببلاد أوريا
والافريقية وجهة الجنوب ببحر الهند وبحر الصين وجهة الشرق ببحر
الجنوب المحيط وببحر بهر نغ بكسر الباء وسكون الهاء وفتح الراء وسكون
النون وبالغين أو الكاف وهي تنقسم أيضاً الى عشرة اراض أصلية واحدة
جهة الشمال وهي بلاد سبير بكسر السين والباء وسبعة في الوسط وهي
بلاد الدولة العلية العثمانية التي هي الشام وأرمينية وكرديستان وبغداد
والبصرة وقبرص وغيرها وبلاد المعجم وبلاد بلوچستان بضم الباء وسكون
السين وبلاد قابولستان بكسر اللام وسكون السين وأفغانستان بفتح
الهمزة وسكون الفاء وفتح الغين وكسر النون وسكون السين وبلاد
التار الاكبر وبلاد الصين وبلاد يابونيا بكسر النون واثنان في الجنوب
وهي بلاد العرب وبلاد الهند فبلاد الحجاز وبلاد الوهابية تحت حكم
الدولة العلية وبلاد اليمن تحت حمايتها وبلاد عمان مستقلة وكلها اقاليم
جزيرة العرب فهذه هي ولايات آسيا ثم بلاد افريقية وهي محددة جهة
الشمال ببحر الروم وجهة الغرب بالبحر الاطلسي بفتح الهمزة وسكون

الطاء وفتح اللام وسكون النون المسمى بحر الظلمات وجهة الجنوب
 بالبحر المحيط الجنوبي وجهة الشرق بحر الهند وبنغاز باب المنذب
 وبحر القلزم المسمى البحر الاحمر وبلاد العرب ويمكن تقسيم
 الافريقية الى ثمانية اراض أصلية اثنتان في الشمال وهي بلاد المغاربة
 وبلاد مصر وأربعة في الوسط وهي السينيغينية بكسر السين والنون وفتح
 الغين المعجمة وسكون النون وكسر الياء وبلاد الزنج وبلاد النوبة وبلاد
 الحبشة واثنتان في الجنوب وهما بلاد غينا بالغين المكسورة أو الكاف
 وبلاد كفيرية فهذا ما يسمى الآن عند الافرنج بلاد أفريقية وان كانت
 أفريقية في الاصل بلدة معلومة جهة تونس وبلادها ماحو اليهانم أضيف الى
 بلاد أوربا مقاربها من الجزائر وكذلك لبلاد آسيا وأفريقية وهذه الاقسام
 الثلاثة يعني أوربا وآسيا وإفريقية تسمى الدنيا القديمة أو الارض القديمة
 يعني المعروفة للقدماء وأما بلاد الامريكة أو أمريكية بالكاف أو القاف
 فهي تسمى الدنيا الجديدة وتسمى أيضاً الهند الغربي وتسمى بالعربية
 عجائب المخلوقات وهي انما عرفت للافرنج بعد تغلب النصارى على بلاد
 الاندلس واخراج العرب منها وتتصل بلاد الامريكة بستة بحور
 فيتصل بها من جهة الشمال البحر المحيط بالمنجمد وبحر يافين ومن جهة
 الشرق بحر الظلمات وبحر جزائر الاتيله وبانبحر المحيط الاكبر المسمى
 أقيانوس وبحر بهر نغ جهة الغرب وهي قسمان الامريكية الشمالية والامريكية
 الجنوبية فالامريكة الشمالية ستة اراض أصلية وهي الامريكة الروسية
 أو المحكومة بالروسقو وبلاد أغرونلند بضم الهمزة وسكون الغين المعجمة
 ثم راء مضمومة يليها واو مفتوحة ثم نون ساكنة فلام مفتوحة فتون
 ساكنة ثم دال مهملة وبلاد إبرطانية الجديدة بكسر الهمزة وسكون الباء

وكسر الراء والنون أو بلاد الانجليز الجديدة وبلاد الايتازونيا بكسر
 الهمزة والنون وهي الاقاليم المجتمعة وبلاد مكسيك بفتح الميم وسكون
 الكاف وكسر السين وبلاد غواتيمالا بضم الغين وفتح الميم والامريكة
 الجنوبية تسعة اراض أيضاً وهي بلاد كلنيا بضم الكاف واللام وسكون
 النون وكسر الباء وبلاد غيانه بكسر الغين وبلاد ابريزيله بسكون الباء
 وبلاد يره بكسر الباء وضم الراء وبلاد بولويه بضم الباء وسكون الواو
 الاولى وكسر الثانية المسماة روا العليا وبلاد براغية بفتح الباء وبلاد
 يلاطة وبلاد شلى بكسر الشين وتشديد اللام المكسورة وبلاد يتاغونيا
 بفتح الباء والتاء وضم الغين وكسر النون وأما جزائر البحر المحيط قاتها
 غربي بلاد الامريكة وعلى الجنوب الشرقى من بلاد آسيا وهي محددة
 من سائر جهاتها بالبحر المحيط وهي ثلاثة أجزاء أصلية التوتازية بضم النون
 المشددة وكسر الزاي وتشديد الباء المفتوحة والأستورالية بضم الهمزة
 وسكون السين وضم التاء وكسر اللام والبوليتيزية بضم الباء وكسر اللام
 والنون والزاي * ثم بلاد أوربا فيها أربع بنادر أصلية مشهورة بالتجارة
 اسلامبول تحت الدولة العلية ولوندره بضم اللام وسكون النون
 وفتح الدال تحت بلاد الانكليز وباريز تحت بلاد الفرنسيين ونابلى
 بضم الباء ببلاد ايطاليا والبنادر الأصلية ببلاد اسيا اربعة أيضاً يكن
 بكسر الباء والكاف قاعدة بلاد الصين وقلقوطة بفتح القاف واللام
 وضم القاف قاعدة بلاد الهند والتي تحت حكم الانكليز وصورة ببلاد
 الهند أيضاً ويقال هي التي كانت تسمى المنصورة ومباقو بكسر الميم وضم
 القاف في بلاد جزيرة يابونيا بضم الباء وكسر النون وهي بلاد الفزفور
 والبنادر الأصلية ببلاد الافريقية اربعة القاهرة قاعدة حاكم مصر وسنار

قاعدة حاكم بلاد النوبة والجزاير وتونس بلاد المغاربة والبنادر الاصلية
 ببلاد امريكية الشمالية هي مكسيكو ببلاد مكسيك ونويرق بضم النون
 والياء وسكون الراء في بلاد لايتازونيا وفيلاد نقيا بكسر الفاء والدال
 وسكون اللام وكسر القاف وفتح الياء ومدينة وسهنتون بسكون السين
 وكسر الهاء ثم نون سا كنة بعدها غين مكسورة واربعة في امريكة
 الجنوبية وهي ريوجانير بكسر الراء وضم الياء وكسر النون في بلاد
 ابريزيله بكسر الباء والراء وبنوسيرس بفتح الباء وكسر السين والراء
 في بلاد بلاطة بفتح الباء وليمة بكسر اللام في بلاد بروقيطو بكسر القاف
 وسكون الياء وضم الطاء في بلاد غرناطة الجديدة وفي بلاد البحر
 المحيط بندر ان شهر ان وهما مدينة بتاويا بفتح الباء ومدينة مانيلة
 وبندر جزيرة جاوة ثم ان بلاد الافرنج اغلبها نصارى او كفرة وبلاد
 الدولة العلية هي بلاد الاسلام بهذه القطعة واما بلاد آسيا فانها منبع
 بلاد الاسلام بل وسائر الاديان وهي اوطان الانبياء والمرسلين وبها
 نزلت سائر الكتب السماوية وهي تتضمن اشرف الاماكن والارض
 المباركة والمساجد التي لا تشد الرحال الا اليها وفيها منشأ ومضم عظام
 سيد الاولين والآخرين والصحابة وهي منشأ الائمة الاربعة رضي الله
 تعالى عنهم لان منشأ الامام الشافعي رضي الله عنه غزيرة ومنشأ الامام
 مالك رضي الله عنه المدينة المشرفة ومنشأ الامام الاعظم أبي حنيفة
 النعمان الكوفة ومنشأ الامام احمد بن حنبل بغداد التي كانت كما قيل
 في أيام الخلفاء بالنسبة للبلاد كالاستاذ في العباد وكأها من بلاد اسيا وبها
 يعنى ببلاد اسيا العرب وهم افضل القبائل على الاطلاق ولسانهم افصح
 اللسان باتفاق وفيهم بنواهاشم الذين هم ملج الارض وزيدة المجد ودرع

الشرف ومما يدل على فضلها ان بها الاماكن المفضلة كالقبة التي يجب على كل انسان ان يتوجه اليها خمس مرات في اليوم واليلة والمدينتان. اللتان نزل بهما القرآن العظيم ففضائلها لا تحصى وأثار اهلها لا تستقصى قال بعض اهلها

عطفة يا حيرة العلم * بأهيل الجود والكرم
نحن جيران لذا الحرم * حرم الانسان والحسن
نحن قوم به سكنوا * وبه من خوفهم أمنوا
وبيات الكتاب عنوا * فأتد فينا اخا انوهن
نعرف البطحا وتعرفنا * والصفا والبيت يألفنا
ولنا المعلى وخيف منا * فاعلمن هذا وكن وكن
ولنا خير الانام اب * وعلى المرتضى حسب
والى السبطين نتسب * نسباً مافيه من دخن

ومع ان الاسلام قد تولد فيها وانتشر منها الى غيرها ففيها جزؤ عظيم باق على الكفر كبلاد الصين وبعض بلاد الهند ومنها جزؤ سالك في اسلامه طريق الضلال كر وافض المعجم واما بلاد افريقية فاتها تشتمل على اعظم البلاد كبلاد مصر التي هي من اعظم البلاد واغمرها وهي أيضا عش الاولياء والصالحاء والعلماء وبلاد المغرب التي اهلها اهل صلاح وتقى وعلم وعمل وان شاء الله يمتد بها الاسلام عند كفار السودان بانفاس ولي النعمة حفظه الله تعالى واما امريكا فهي بلاد كفر وذلك انها كانت عامرة في الاصل بهمل عبدة الاصنام فتغلب عليها الافرنج لما قويت شوكتهم في الفنون الحربية ونقلوا اليها جماعة من بلادهم وارسلوا اليها قسيسين فتنصر كثير من اهلها فالان بلاد

امريكة غالبها نصاري الا الهمل فيهم وثنيون ولم يوجد بها دين الاسلام
وسببه قوة الافرنج في علم ركوب البحر ومعرفة العلوم الفلكية والجغرافية
ورغبتهم في المعاملات والتجارات وحبهم للسفر قال الشاعر
ان العلا حدثني وهي صادقة * فيما تحدث ان العزفي النقل
لو كان في شرف المأوى بلوغ مني * لم تبرح الشمس يوم ادارة الحمل
وقال آخر

قلقل ركابك للفلا * ودع الغواني والقصور
فحالفوا أوطانهم * أمثال سكان القبور
لولا التغرب ما ارتقت * درر البحور الى النحور
وقال الحريري

لجوب البلاد مع المترية * أحب الى من المرتبة
وقال غيره

ثم واغترب في البلاد نجهداً * فن ثوى في بلاده هانا
كيدق لا يزال محترقاً * حتى اذا صار صار فرزانا
وقال

أنفق من الصبر الجميل فانه * لم ينحس فقراً منفق من صبره
والمرء ليس ببائع في أرضه * كالصقر ليس بصائد في وكره
ومن المعلوم أن الدر والمسك لا يشرفان ما لم يفارقا وطنهما
ومعدنهما وكل هذا لا ينافي ان حب الوطن من شعب الايمان لان المقصود
السياحة والاخذ في أسباب طلب الرزق وهذا لا يمنع من تعلق الانسان
بوطنه ومسقط رأسه فان هذا امر جبلي قال الشاعر
يا بعيد الدار عن وطنه * مفرداً يبكي على شجره

كلما جد الرحيل به * زادت الاسقام في بدنه

وقال غيره

ولقد زاد الفؤاد شجي * طائر يبكي على فتنه

شغفه ماشقني فبكي * كلما يبكي على سكته

ولا يناني أيضاً هذا الامر مادة التوكل والاعتماد على المولى كما

يفهم من كلام الشاعر في قوله

لقد علمت وما الاسراف من خاقي * أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسمى اليه فيعينني تطلبه * ولو قدمت أناني لا يسينني

وقول الآخر

اقنع بأيسر رزق أنت نائله * واحذر ولا تتعرض للارادات

فما صفي البحر الا وهو منتقص * وما تكدر الا في الزيادات

فان هذا معناه التسلية لمن لا يحب الاسفارا والهي عن السفر للطمع

وأما بلاد جزائر البحر المحيط فانها قد فتح كثير منها بالاسلام كجزيرة

جلاوه بفتح الواو فان أهلها مسلمون وبالجملة فبلاد النوازية أغلبها اسلام

وندر وجود دين النصرانية فيها ومن ذلك كله تعلم أنه يمكن أن أقسام

الدنيا الخمسة يصح تفضيل بعضها على بعض يعني تفضيل جزء بتمامه على

الآخر بتمامه بحسب مزية الاسلام وتعلقاته فحينئذ تكون أسيا أفضل

الجميع ثم تليها أفريقية لعمارها بالاسلام والاولياء والصالحاء خصوصاً

باشتمالها على مصر القاهرة ثم تليها بلاد أوربا لقوة الاسلام ووجود

الامام الاعظم امام الحرمين الشريفين سلطان الاسلام فيها ثم بلاد الجزائر

البحرية لعمارها بالاسلام أيضاً مع عدم تجرها في العلوم كما هو الظاهر

فادني الاقسام بلاد أمريكا حيث لا وجود للاسلام بها أبداً هذا

ما يظهر لي والله أعلم بالصواب وهذا كله بالنظر للإسلام والامور الشرعية والشرف الذاتي فان المراد بالشرف ما يعم الشرعى وغيره فلا يقال أن أغلب ذلك من باب المزية وهي وحدها لا تستدعي أفضلية ولا ينكر منصف ان بلاد الافرنج الآن فى غاية البراعة فى العلوم الحكيمية وأعلاها فى التبحر • من ذلك بلاد الانكليز والفرنسيين والنمسا فان حكماءها قافوا الحكماء المتقدمين كإرسطاطاليس وأفلاطون وبقرات وأمثالهم واتقنوا الرياضيات والطبيعات والالهيات وما وراء الطبيعات أشد اتقان وفلسفتهم أخلص من فلسفة المتقدمين لما أنهم يقيمون الأدلة على وجود الله تعالى وبقاء الارواح والثواب والعقاب فأعظم مدائن الافرنج مدينة لوندرة وهى كرسى الانكليز ثم باريز وهى قاعدة ملك فرنسا وباريز تفضل على لوندرة بصحة هوائها كما قيل وطبيعة الامل وبقالة الغلات التام واذا رأيت كيفية سياستها علمت كمال راحة الغرباء فيها وحظهم واتيسارهم مع أهلها فالغالب على أهلها البشاشة فى وجوه الغرباء ومراعاة خاطرهم ولو اختلف الدين وذلك لان أكثر أهل هذه المدينة أنما له من دين النصرانية الاسم فقط حيث لا يتبع دينه ولا غيره له عليه بل هو من الفرق المحسنة والمقبحة بالعقل أو فرقة من الاباحيين الذين يقولون ان كل عمل يأذن فيه العقل صواب فاذا ذكرت له دين الاسلام فى مقابلة غيره من الاديان اثني على سائرهما من حيث انها كلها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر واذا ذكرته له فى مقابلة العلوم الطبيعية قال أنه لا يصدق بشئ مما فى كتب أهل الكتاب لحزوجه عن الامور الطبيعية وبالجملة ففى بلاد الفرنسيين يباح التعبد بسائر الاديان فلا يعارض مسلم

في بناءه مسجداً ولا يهودي في بنائه بيعة الى آخره كما سيأتي في ذكر سياستها ولعل هذا كله هو علة تخصيص ولي النعمة لها بارساله فيها ابلغ من أربعين نفساً لتعلم هذه العلوم المفقودة بل سائر ممالك النصراني تبعث أيضاً اليها فيأتي اليها من بلاد أمريكا وغيرها من الممالك البعيدة وقد بعث حفظه الله عدة للعلوم ببلاد الانكليز لكنهم ليسوا عديدين وبالجملة فسائر الأمم تطالب العز ونسعي اليه كما قال الشريف الرضى أطلب العز فما العز بغال * ولا اعز من العلوم والفنون تطلبها الملوك فانه كلما كان الملك اجل خطراً وجبان يكون ادق نظراً

﴿ الباب الرابع من المقدمة في ذكر رؤساء هذه السفارة ﴾

قد بعث صاحب السعادة في السفر الى بلاد فرانس ثلاثة رؤساء من أكابر ديوانه السعيد وجمعهم هارباب نظر عام على من عداهم وهم على هذا الترتيب فالولهم صاحب الرأي التام * والمعرفة والاحكام * حازر فضيالي السيف والقلم * والعارف برسوم العرب والمعجم * حضرة جناب عبدي افندي المهر دار * والثاني صاحب الرأي السديد والطالع السعيد * من خلع في حب المعالي البزار حضرة مصطفى مختار افندي الدويدار * والثالث الحاوي بين العلم والعمل * والبراع والأسل * حضرة الحاج حسن افندي الاسكندراني بلغه الله في الدارين الاماني * أمين * ثم ان حضرة الأقدبة الثلاثة يتعلمون أيضاً كالباقى فحضرة الافندي المهر دار سابقا يشغل بعلم تدبير الامور الملكية وحضرة الافندي الدويدار سابقا يشغل بعلم تدبير الامور العسكرية وحضرة الحاج حسن افندي يشغل بعلم القبطانية والهندسة البحرية ولسائر

الثلاثة اجتهاد زائد وتحصيل بالغ مع ان الامرة في الغالب تأتف ذلك
وقد كان حكم هؤلاء الثلاثة بالنوبة فكانت نوبة الواحد يوما والآخر
يوما آخر وهكذا قال الامر الى ان صارت شهرا شهرا ثم صار
الافندي المهر دار وحده ثم ان حضرة الأفندية الثلاثة كان معهم في
تدبير الدروس جناب مسيو جومار الذي ولاء صاحب السادة ناظرا
على الدروس وهو احد علماء الاستنوت بفتح الهمزة وسكون النون
وكسر السين اي مشورة العلوم واكبرهم والذي يتراءى في طبعه حب
حضرة صاحب السعادة وخدمته بنصح ويشاهد منه دائما انه يرغب في
الاعتناء بمصالح مصر من جهة نشر المعارف والعلوم فيها بل وفي سائر
بلاد افريقية كما يفهم ذلك من حاله ومما قاله في طالعة رزنامته التي
الفها سنة الف ومائتين واربعة واربعين من الهجرة وشهرة معارف
مسيو جومار وحسن تدبيره يوقع في نفس الانسان من اول وهلة
تفضيل القلم على السيف لأنه يدبر بقلمه مالا يدبر غيره بسيفه الف
مرة ولا عجب فبالاقلام تأسس الاقاليم وهمتته في مصالح العلوم سريعة
كثيرة التأليف والاشتغال والغالب ان هذه الخصلة في سائر علماء الافرنج
فان مثل الكاتب كالدولاب اذا تعطل تكسرو كالفتاح الحديد اذا ترك
ارتكبه الصدا وجناب مسيو جومار يشغل بالعلوم اثناء الليل واطراف
النهار وسيأتي ذكره عدة مرات وسنذكر لك عدة من مكاتيبه التي
وصلت بيدي ان شاء الله تعالى وهنا انتهت المقدمة

— ❦ المقصد ❦ —

في مدة السفر من مصر الى باريس وما رأيناه من الغرائب في

الطريق و مدة الإقامة في هذه المدينة العاصرة بسائر العلوم الحكيمة
والفنون والعدل العجيب والانصاف الغريب الذي يحق ان يكون من
باب أولى في ديار الاسلام وبلاد شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا
المقصد يتضمن عدة مقالات تشتمل على عدة فصول

المقالة الاولى * فيما كان من الخروج من مصر الى دخول مدينة
مرسيليا التي هي فرضة من فرضات الفرنسيين وفيها عدة فصول
المقالة الثانية * فيما كان من دخول مرسيليا الى دخول مدينة
باريس وفيها فصلان

المقالة الثالثة في دخول باريس وذكر جميع مشاهداته وما باقنا
خبره من احوال باريس وهذه المقالة هي الفرض الاصل من وضعنا
هذه الرحلة لذلك اطيننا فيها غاية الاطناب وان كان جميع هذا لا يفي
بحق هذه المدينة بل هو تقريبي بالنظر لما اشتملت عليه وان استغرب
هذا من لم يشاهد غرائب السياحة قال بعضهم

من لم ير الروم ولا اهلها * ما عرف الدنيا ولا الناس
فمن باب اولى بلاد افرنجستان

المقالة الرابعة في ذكر نبذ من العلوم والفنون المذكورة في الباب الثاني من المقدمة

﴿ المقالة الاولى ﴾

الفصل الاول في الخروج من مصر الى دخول نهر اسكندرية
كان خرجنا من مصر عصر يوم الجمعة الذي هو ثامن يوم من
شعبان سنة احدى وأربعين ومائتين بعد الالف من الهجرة المحمدية على
صاحبها أفضل الصلاة والسلام * فتفألت بان عقب هذا الفراق يحصل

الاجتماع وأن التسليم سيقوم مقام الوداع * فركبنا زوارق صغيرة
وتوجهنا الى اسكندرية وأقمنا على ظهر النيل المبارك أربعة أيام ولا فائدة
لذ كر بعض البلاد والقري التي رسينا عليها * وكان دخولنا اسكندرية
يوم الاربعاء ثالث عشر يوما من شهر شعبان فمكثنا فيها ثلاثة وعشرين
يوما في سراية ولي النعمة * وكان خروجنا الى البلد في هذه المدينة قليلا
فلم يسهل لي ذكر شيء عليها غير انه ظهر لي أنها قريبة الميل في وضعها
وحالها الى بلاد الأفرنج وان كنت وقتئذ لم أر شيئا من بلاد الأفرنج
أصلا وإنما فهمت ذلك مما رأيته فيها دون غيرها من بلاد مصر ولكثرة
الأفرنج بها وبكون أغلب السوق يتكلم ببعض شيء من اللغة الطليانية
ونحو ذلك وتحقق ذلك عندي بعد وصولي الى مرسيليا فان اسكندرية
عينة مرسيلية وأنموذجها

﴿ الفصل الثاني ﴾

في ذكر نبذة تتعاق بهذه المدينة لخصائها من عدة كتب عربية
وفرنساوية وذكرونا مآثر لنا صحته * فنقول أن اسكندرية منسوبة الى
اسكندرا بن الفيلسوف بفتح الهمزة وهو الذي قتل دارا وملك البلاد *
والاسكندرية ستة عشر بلدا منسوبة اليه منها بلدة ببلاد الهند وبلدة
بارض بابل وبلدة بشاطىء البحر الاعظم وبلدة بصفد سمرقند وبلدة بمرو
واسم لمدينة بلخ والثغر الاعظم ببلاد مصر وقرية بين حماء وحلب
وقرية على دجله قرب واسط منها الاديب أحمد بن المختار بن مبشر
وقرية بين مكة والمدينة وبلدة في مجاري الانهار بالهند وخمس مدن
آخر انتهى * ومرو بلدة من خراسان ببلاد الفرس والنسبة اليها

مروى ومروزي وانظر ما مراده بالنهر الاعظم ثم رأيت في كتاب
تقويم البلدان لعماد الدين أبي الفدا اسماعيل بن ناصر سلطان حماه
أن بالاندلس نهراً يسمى بالنهر الاعظم وهو نهر اشبيلية ونص عبارته
ومنها نهر اشبيلية من بلاد الاندلس ويسمى عند أهل الاندلس النهر
الاعظم انتهى ولعله إنما سمي عندهم بالنهر الاعظم لامتيازه بمحاذة المد
والجزر كما نبه على ذلك أبو الفدا في قوله يدخله المد والجزر عند مكان
يسمى الارحا - لا تزال فيه المراكب منحدره مع الجزر صاعدة مع المد
وقال بعضهم في المد والجزر

خليلى بادرني الى النهر بكرة * وقف منه حيث المديني عثانه
ولا تجز الارحا فان وراءها * يبابا وعيني لا تريد عيانه
انتهى فعلى هذا تكون اسكندرية اسم بلدة بالاندلس * ولعل اسكندر
حين اجتيازه بجزيرة الاندلس في بهيا بلدة * وذكر صاحب كتاب
نشق الازهار في عجائب الاقطار ان اسكندرا القرنين اجتاز بلاد الاندلس
بفتحها بغاز جبل الطارق المسمى بحر الزقاق وان محل هذا البغاز كان ارضا
بين طنجة وبلاد الاندلس ولم يذكر في هذا الموضع ان اسكندر في
بلدة بهذه الجزيرة لكن هذا لا يدل على عدم وجود بلدة بها * وظاهر
عبارتهم انه يوجد اثنان كل منهما يسمى الاسكندر احدهما اسكندر
ابن فيلسوف والآخر بفتح الهمزة هو قاتل دارا وقال في القاموس
في موضع اخر ذو القرنين اسكندر الرومي لانه لما دعاهم الى الله تعالى
ضربوه على قرنة فاحياه الله تعالى ثم دعاهم فضربوه على قرنة الآخر
فمات ثم احياه الله او لانه بلغ قطري الارض او لتفسيرتين له انتهى
فظاهر كلامه ان اسكندرا القرنين هو نفس اسكندر الرومي * والذي

عليه علماء الشرق ان ذا القرنين المذكور في الاية الشريفة هو غير
 اسكندر اليوناني فان الاول اقدم من الثاني وهو الذي قيل بنبوته وانه
 بني سد ياجوج وما جوج وانه بحث عن ماء الحياة بلا طائل وفاز به
 الحضر عليه السلام فلذلك كان حيا الى الآن * واما الثاني فانه يسمى
 اسكندر الرومي او اليوناني يعني الاغريقي لأن قدماء الاغارقة تسمى
 اليونان والمتأخرون يشتهرون باسم الاروام * واما الافرنج فلا يقولون
 الا بوجود اسكندر الاكبر ابن فليش او ابن فيلبوش المقدوني
 ويجعلونه عين مايعبر عنه في التواريخ العربية باسم اسكندر ذي القرنين
 وينسبون اليه سائر ما يحكى عنه من المعجائب كسد ياجوج وماجوج ونحو
 ذلك غير انهم لا يصدقون بما لا يوافق للعادة * وعلى كل حال فقد اتفق
 كلام العلماء وحكام الافرنج على ان اسكندرية تنسب الى اسكندر
 الرومي * وقد سلف في عبارة القاموس اسماء البلاد التي تسمى باسكندرية
 وليس مما ينسب الى اسكندر الرومي الشهير بلدة الارناؤوط المسماة
 اسكندر ياسي يعني اسكندرية بل هي منسوبة الى اسكندر بيك *
 وقال بعضهم مدينة اسكندرية ببر مصر كانت تسمى قبل بناء الاسكندر لها
 بنحو ثلاثة واثنين قبل ظهور عيسى عليه السلام فيسون بفتح القاف
 وسكون الياء * وقال الافرنج انها كانت تسمى نوبضم النون وقبل
 فتحها بالاسلام كانت تارة تحت حكم الرومان وتارة تحت حكم الاروام
 او اليونان * وفتحها عمرو بن العاص بأمر عمر بن الخطاب ولما فتحها
 عمرو بن العاص كتب الى عمرو رضي الله عنهما انه وجد بها اربعة الاف
 قصر واربعة الاف حمام واربعين الف يهودي تدفع الجزية واربعمئة
 ميدان واثنى عشر الف بقال وخضري وفاء كهاني ولعل هذا من مبالغات

المؤرخين كما بالغوا في غيرها من البلاد كمدينة بغداد * ومن عجائب ما فيها حزانة الكتب التي حرقها عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه فكانت عدة ما فيها من الكتب سبعمائة ألف مجلد وقد كان أهل هذه المدينة في سالف الزمان ثمانية ألف نفس تقريبا وأهلها الآن أقل من ذلك بكثير وقد تغلب عليها الفرنسيين ثم أخرجهم الإنكليز منها ورجعت إلى يد الإسلام وهي الآن يلوح عليها أنوار العمارات بانفس صاحب السعادة وبها بهجة التجاره كما أنها كانت في الزمن السابق مركزا للتجارات وصارت في هذا دار إقامة صاحب السعادة بها اغلب الاوقات وهي أشبه وضعا وعمارة بفرضات الافرنج وهي على الشمال الغربي من القاهرة بحو خمسين فرسخا موضوعة في احدى وثلاثين درجة وثلاثة عشر دقيقة من العرض يعني درجة البعد عن خط الاستوا وسيأتي ذكر المسافة بينها وبين باريس

﴿ الفصل الثالث ﴾

في ركوب البحر المالح المتصل بشفر سكندرية * اعلم ان هذا البحر يسمى في كتب الجغرافيا العربية ببحر الروم لأنه يتصل احد جهاته ببلاد الروم ويسمى ايضا فيها ببحر الشام لمجاورته ايضا لبلاد الشام ويسمى أيضا عند الافرنج البحر المتوسط أو الجواني وإنما سمي بذلك لأنه داخل الاراضي الناشئة بخلاف البحر المحيط فانه محيط بجميع الاراضي حتى قال بعضهم انه متواصل الجريان تحت الاراضي العالية على سطح مائه وان حقق بعضهم خلافه لوجود الاراضي اليابسة تحت سطحه كبحر اراضي الموسقو * ويسمى هذا البحر الجواني باللسان

الركى بحر صفيـد والبحر الابيض لمقابلته بحر بنطش او البحر الاسود.
وهناك بحر آخر يسمى بالبحر الابيض وهو في بلاد الموسقو وهو
المراد بالبحر الابيض في اطلاقات علماء الجغرافيا — كان ركوبنا هذا
البحر عصر يوم الاربعاء خامس يوم من رمضان وقدامتطينا سفينة حرب.
فرنساوية لاتغادر في فؤاد الانسان رعبا * ورزينة صناعة تجذب قلب
الراكب حتى يصير في وسطها صبا * محتوية على سائر ما يحتاج اليه من
الحرف والصنائع * مشتملة على آلات الحروب وعلى الجريحية ومحصنة
بثمانية عشر من المدافع * وكان مجراها يوم الخميس سادس يوم من شهر
رمضان المبارك وكان هبوب الريح وقتئذ خفيفا فسرنا من غير اشعار
بالسير ولم نتألم بذلك ابدا وكنت قبل ركوب البحر عملت بما علمه لي
بعض من سافر من العلماء الى اسلامبول من تجرع حثوات عظيمة
من ماء البحر المالح وقال انه يدفع الـمه فكان الواقع انه لم يحصل لي ألم
على اني حين نزلت المركب كنت ممرضا بالحـمى فبرئت منها بمجرد السفر
وحركة السفينة * وربما صحت الاجسام بالعلل * ولا زلنا نسير من غير
شدة تحرك واضطراب نحو اربعة ايام وبعدها عصفت الرياح وتموج ماء
البحر وتلاعب بالأشباح والأرواح * فلأزم أكثرنا الارض * وتوسل
جميعنا بالشفيع يوم العرض * ووقع عندنا الموقع قول بعض الظرفاخطر
من ركب البحر واشد منه خطرا من جالس الملوك بغير علم ومعرفة
وتحقق عندنا تضمين صاحبنا العلامة الصفقي لهزل أبي نواس في قوله
رأيت جميع الهائلات محيطه * بوطي لاجل الحمل جارية البحر
فأقسمت عمري لاركب سفينة * ولا سرت طول الدهر الاعلى الظهر
غير أن المعتمد على الكريم * لا يخشى من الخطب العظيم * وما أحسن قول من قال

لما ركبنا بحر * وكاد من خاف يلف
على الكريم اعتمدنا * حاشاء أن يخلف
وقد ذهب هذا الامر بعد نحو ثلاثة أيام وصار يزور غبا ومحا
يستحسن في طباع الافرنج دون من عداهم من النصارى حب النظافة
الظاهرية فان جميع ما ابتلى الله سبحانه وتعالى به قبضة مصر من
الوخم والوسخ أعطاه الافرنج من النظافة ولو على ظهر البحر فان أهل
المركب التي كنا فيها يحافظون على تنظيفها وازهاب الوسخ ما أمكن
حتى أنهم يغسلون مقعدها كل يوم من الايام ويكنسونها في صف النوم
كل نحو يومين وينفضون الفراش وغيره ويشممونها رائحة الهواء ويزيلون
أوخامها مع أن النظافة من الايمان وليس عندهم منه مثقال ذرة ومع
ما عند الفرنسيات من النظافة الغريبة بالنسبة لبلادنا فانهم لا يعدون
أنفسهم من الامم كثيرة الاعتناء بالنظافة كما يفهم من هذه العبارة
الترجمة من كتاب العوائد والاخلاق المؤلف باللغة الفرنسية وعبارته
أعظم الناس اعتناء بنظافة المنازل أهل الفلمنك فتجد في مدنهم غالب
حاراتهم مباطة بالحجر الابيض المتهد بالتطيف وبيوتهم بحملة من خارجها
أيضا وشبابيهم القزاز تغسل دائما بل وحيطانهم الخارجة وقد توجد
النظافة في حصه من بلاد الانكليز وبلاد الاقاليم المجتمعة من أمريكا
وهي قليلة في فرنسا والنمسا وغيرها ومن الامم من هي كثيرة الاتساع
وكثيرة القمل بل تجد بعض أناس يأكلهم القمل ولا يبالون وقد ذهب
داء البرص من منذ انتشار الاقصه البيض التي تفصيل ويغير بها كل
أسبوع مرة أو عدة مرات فالملابس البيض من جملة ما أتبع النظافة
والسلامه من آثار الاوساخ الرديئة

❦ الفصل الرابع فيما رأينا من الجبال والبلاد والجزائر ❦

قد مررنا على جزيرة كريد سبع يوم من سفرنا ورأينا على بعد جبلها الشاخ المسمي عند اليونان ايدا الشهير بالامور الغربية في تواريخهم ثم في اليوم الثالث عشر منه رأينا جزيرة سيسيليا بكمر السينين واللام وبالمملتين وبعضهم يكتبها بالمعجمتين وهي مشهورة باللسان العربي باسم صقاليه أو صقليه وهذه الجزيرة على الجنوب من بلاد ايطاليا ومنفصلة عنها بالبغاز المسمي بوغاز مسينه بفتح الميم وتشديد السين المكسورة المهملة وسكون الياء وفتح النون وهي من أعظم جزائر البحر المتوسط وأخصبها ولذلك كانت تسمي في الزمن السابق شونة رومة وكانت في الاعصر السالفة سببا لحرب الرومانيين مع أهل قرطاجة أي سكان الغرب ثم انتهى الامر الى أنها وقعت تحت حكم الرومانيين ثم انتقلت منهم الى ملوك اليونان ثم فتحها المسلمون ثم تغلب عليها النصارى الزمرندية بضم النون المشددة وسكون الراء وفتح الميم وكسر الدال وفتح الياء المشددة فرقة من الفرنساوية ثم خكمها بعض ملوك الاسبانيول ثم النيمسا ثم انتهى الامر الى أن كانت جزءا من مملكة نابلي الكنان المسماة بولية حتي إنها هي ونابلي قد يسميان الآن عند الأفرنج السيسيليتين بتقليب سيسيليا على نابلي وفي كتب الجغرافيا ان أهل هذه الجزيرة مائة ألف نفس ومدنها فوق الجبال وقد رأينا بهذه الجزيرة على بعد في اليوم الرابع عشر الجبل المسمي منتتنا بفتح الميم وسكون النون وكسر التاء الفوقية وسكون التاء المثلثة ومنتتنا كلمة مركبة من كلمتين احدهما منت معناها جبل والاخري اثنا فلاحسن كتابتهما هكذا منت اثنا وهو مشهور

الآن بلقطة جبل ويظهر لي أن هذا الاسم تحريف جبل فهو عربي أدخله المسلمون في هذه الجزيرة وأطلقوه على هذا الجبل فبقي بعد خروجهم إلى الآن وتغير بتصحيح أهل هذه الجزيرة له وهذا الجبل جبل نار فانه يخرج منه بالنهار دخان وبالليل لهب وقد يتدفق مواد حجرية محترقة ثم أن جبال النار تسمى بالافرنجية الجبال الملكية ويسمى الجبل الناري بلكان بضم الباء الموحدة وسكون اللام وقد صحف هذا الاسم بالعربية إلى لفظه بركان بالراء ولعله تعريب عن لغة أهل الاندلس ويسمى طهمه بفتح الطاء وسكون الهاء كما ذكره المسعودي في كتابه المسي مروج الذهب وفوهة البركان تسمى بالفرنساوية كراتيره بكاف وتاء فوقه مكسورتين وفتح الراء الثانية ولا يوجد جبل النار غالبا إلا في الجزائر وقد ذكر أرباب رصد هذا الجبل أن ارتفاعه على ظهر سبلج البحر المحيط ألف وتسعمائة قدم وثلاثة أقدام وأن دورة قاعدته نحو خمسة وخمسين فرسخا فرنساوية ودائرة فوهته ربع فرسخ ثم أن العادة أن جبل النار يهيج ثم يسكن ثم يهيج وقد يمكث مدة مطلقا حتي يظن الناس خموده بالكلية ثم يهيج ثانية بعد مضي مدة أعصر وقد هاج جبل اثنا إحدى وثلاثين مرة ومنها هيجانه سنة ألف وثمانمائة وتسعه بتاريخ الافرنج وأعظم هيجانه ما كان سنة سبعمائه وثلاثة وتسعين حيث أنه سخر مدينه كابل وأهلك ثمانية عشر ألف نفس وعلامة هيجان البراكين شدة العجيج والقرقة والدوى تحت الأرض وابتداء التدخين أو ازدياده قال بعض الطبائعية اننا اذا قابلنا حوادث الزلازل بحوادث البراكين رأينا كأن هاتين الحادثتين معلوتان لعلة واحدة وهي أنيران التي تحت الأرض أو المحتقنه في باطنها إلا أن آثار الزلازل أوسع من

آثار البراكين يعني أن آثار الزلازل تظهر في متسع عظيم من الأرض بخلاف آثار جبال النار فلا تمتد إلا بجوار قرب جبل النار وقد جرت العادة أيضاً أن الزلزلة تعظم بقدر البعد من البركان علل ذلك بعضهم بقوله أن النار التي تحت الأرض تحاول منسأ لتخرج منه فإن كان في الأرض بركان فإنها تخرج منه فتذهب قوة النار فتهدد الزلزلة بخلاف الأرض الخالية عن البراكين فإن النيران تحاول منفسافها فلا تجده فتخرج الأرض بذلك وقال بعض الحكماء أيضاً أن كلا من الحوادث البركانية والزلازل صادر عن جاذبية المحاكاة المسماة بالفرنساوية إلا كترسته بكسر الهمزة وسكون الكاف وكسر اثناء والراء وكسر السين وفتح التاء المسماة لرئيس بفتح الراء المشددة وكسر السين التي هي خاصة الكهربا عند حكمها قال بعضهم في رد هذا القول أنه يناق ما اعتمده بعض الحكماء في بناء الأرض ونظم طبقات صخورها ومن القواعد المقررة أن ثوران البركان يغلب كل ما قل علوه ويقل كلما عظم علوه وهذا ما جرت به العادة والله سبحانه وتعالى أعلم وفي اليوم الخامس عشر رسينا على مدينه مسينه ولم نخرج من السفينه أبداً لأنهم لا يمكنون من يجي من البلاد الشرقيه الى بلادهم أن يدخلها إلا بعد البكرتينه وهي مكث أيام معلومه لاذهاب رائحة الوباء ولكنهم يحيئون الانسان بسائر ما يحتاج ويناولهم الثمن فيضعونه في ماعون فيه خل ونحوه مع التحفظ اتمام راجع الفضل الاول من المقالة الثانية وقد تزودنا من هذه المدينه ما احتجنا اليه من الفواكه والخضراوات والمياه العذبه الى آخره وقد أقنا بموردها خمسة أيام وشاهدنا من بعد قصورها العاليه وهياكلها الشاعخه الساميه ورأيناها توقد قناديلها ووقدناها قبل أن يدخل وقت الغروب وتمكث بعد شروق الشمس وقد

سمعنا بها اصوات النواقيس مدة اقامتنا حتي أن ضربهم النواقيس مطرب
 حدا وقد صنعت في ليلة من الليالي في المحادثة مع بعض الظرفاء مقامة
 ظريفة مضمونها ثلاثة معان الاول المجادلة في أنه لا مانع من أن الطبيعة
 السايمة تميل الي استحسان الذات الجميلة مع العفاف وأنشأت في ذلك
 جملة شواهد لطيفة وأنشأت فيه قولي

أصبو الى كل ذي جمال * ولست من صبوتي أخاف
 وليس لي في الهوي ارتياب * وإنما شيمتي العفاف
 اثنائي سكر المحب من معاني خمر عيني محبوبه واستغنائها عن الراح براحتة
 وأنشأت في هذا المعني قولي

قد قلت ما بدا والكاس في يده * وجوهر الخمر فيها شبه خديه
 حسبي نزهة طرفي في محاسنه * ونشوتي من معاني سحر عيذه
 الثالث في تأثير النفس بضرب الناقوس اذا كان من يضرب الناقوس ظريفاً
 يحسن ذلك وقد أنشدت في هذا المعني قول الشاعر

من جاء يضرب بالناقوس قلت له * من علم الظبي ضرباً بالنواقيس
 وقلت للنفس أي الضرب يؤلمكي * ضرب النواقيس أم ضرب النوي قيسي
 وذياتها ببعض أبيات مجنسة والبحث في معناها ونوع تجانيسها وبالجواب
 من بعض الغاز نحوية الى آخره وليس هذا محل بسط الكلام في ذلك
 ثم سرنا من هذه المدينة اليوم المتم العشرين من مدة سفرنا وسرنا حتي حاذينا
 جبل النار وجاوزناه وفي الرابع والعشرين جاوزنا مدينة نابلي وتسمى
 باللغة التركية بولييه وتعديناها بنحو تسعين ميلاً فانعكس الريح وصار قدام
 السفينة هاباً من المقصد اليها فصارت تميل عن المقصد لاليه لانه من جهة
 الهواء ويعجيني قول بعضهم

ومنهف عني يميل ولم يمل * يوما الى فقلت من ألم النوى
لم لا تميل الى يا غصن النقا * فاجاب كيف وأنت من جهة الهوا
فبانعكاس الرمح رجعنا الى مدينة نابلي بعد أن جاوزناها ورسينا
عندها ولم ندخلها لما تقدم وهي من المدن العظمى ببلاد الافرنج وملكمها
يحكم على بلاد جزيرة صقلية المتقدمة ومدينه نابلي هي كرسى هذا
الملك وقد تسمى باللغة العربية نابل الكتان ولعله لان كتانها جيد للغاية
وقد كانت مملكة نابلي في يد الاسلام ومكثت نحو مائتي سنة ثم تغلبت
عليها النصارى النور منديه هي ومملكة صقلية ولم تزل الى الآن في أيدي
النصارى الايطاليين حتي أنها تسمى بلاد ايطاليا الجنوبية وقد أسلفنا
أن مدينه نابلي هي احدى البنادر الاصلية بالبلاد الافرنجية ثم رأينا
في اليوم التاسع والعشرين جزيرة قرسقة بضم القاف وسكون الراء وضم
السين وفتح القاف التي هي في حكم الفرانسييس وتسمى الآن جزيرة
قرس وقد فتحها المسلمون ولم يكتسوا فيها زمنا طويلا وهي وطن نابليون
بضم الباء وسكون اللام وبالباء الشهير باسم بونا برته الذي تغلب على مصر
في غزوة الفرنساويه ثم تولى سلطنة فرانسه مع أن أباه كان رئيساً في
الطوبجية وفي اليوم الثالث والثلاثين رسينا على فرضه مرسيليا فكانت مدة
مكثنا في البحر ثلاثة وثلاثين يوما ومنها مكثنا خمسة أيام قدام مرسينه بفتح
الميم وتشديد السين واللام وفتح النون ونحو يوم قدام نابلي وتأخرنا كثيراً
بلعب الرياح ولولا ذلك لوصلنا في أقل من هذه المدة بشي يسير .

﴿ المقالة الثانية ﴾

[illegible]

فتكلم على كروية الارض وعلى سيرها ووضع ذلك فتأخذ من كلامه ان الارض كرة ولا يغير اعتقاد تحركها او سكونها مات هذا الشيخ سنة الف ومائتين وستة وعشرين من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وازكى السلام وخلفه حفيده المسمى باسمه ثم ان هذا البيت الذي كنا فيه للكرثينا متسع جدا به القصور والحدايق والبناء المحكم فيه عرفنا كيفية احكام ابنة هذه البلاد واتقانها وامتلأنا بالرياض والخياض الى اخره ولم نشعر في اول يوم الا وقد حضر لنا أمور غريبة في غالبا وذلك انهم احضروا لنا عدة خدم فرنساوية لانعرف لغاتهم ونحو مائة كرسي للجلوس عليها لان هذه البلاد يستغربون جلوس الانسان على نحو سجادة مفروشة على الارض فضلا عن الجلوس بالارض ثم مدوا السفرة للفظور ثم جاؤا بطبليات عالية ثم رصوها من الصحون البيضاء الشبيهة بالمعجمية وجعلوا قدام كل صحن قدحا من القزاز وسكينه وشوكة وملقه وفي كل طبليه نحو قزازتين من الماء واناء فيه ملح وآخر فيه خلفل ثم رصوا نحو الى الطبليات كراسي لكل واحد كرسي ثم جاؤا بالطبيخ فوضعوا في كل طبلية صحنا كبيرا او صحنين لتعرف احد اهل الطبليه ويقسم على الجميع فيعطى لكل انسان في صحنه شيئا يقطعه بالسكينة التي قدامه ثم يوصله الى فمه بالشوكة لا بيده فلا يأكل الانسان بيده اصلا ولا بشوكة غيره او سكينته او يشرب من قدحه ابدا ويرغمون ان هذا النظم واسلم عاقبة وبما يشاهد عند الافرنج انهم لا يأكلون ابدا في صحون النحاس بل ولا في اوانيها ابدا ولو مبيضا فهي للطبخ فقط بل دائما يستعملون الصحون المطلاة للطعام عندهم عدة مراتب معروفة وربما كثرت وتعددت كل مرتبة منها فاول اقتراحهم

الطعام يكون بالشورية ثم بعده باللحوم ثم بكل نوع من انواع الاطعمة كالخضراوات والنبطورات ثم بالسلطة وربما كانت الصحنون المطلاة بلون الطعام المقدم فصحنون السلطة مثلا خضر منقوشه بلون السلطة ثم يختتمون اكلهم بأكل الفواكه ثم بالشراب الخدر الا انهم يتعاطون منه القليل ثم بالشاي والقهوة وهذا الامر مطرد للغني والفقير كل على حسب حاله ثم ان الانسان كلما أكل طعاما في صحنه غيره واخذ صحنه غير مستعمل لياكل فيه طعاما آخر ثم انهم احضروا لنا آلات الفراش والعادة عندهم انه لا بد ان ينام الانسان على شيء مرتفع نحو سرير فاحضروا ذلك لنا ومكثنا في هذا المحل ثمانية عشر يوما لانخرج منه ابدا غير انه متسع جدا وفيه حدائق عظيمة ومحال متسعة للتمشي فيها والتنزه في رياضها ومن هذا البيت ركبنا العربيات المزينة الجميلة التي تستمر عندهم ايام الليل واطراف النهار تفرقع وسرنا بها الى بيت في المدينة لكنه في حواشيه من القصور المصنوعة خارج المدينة بجدرانها وادواتها فكثنا منتظرين التوجه الى مدينة باريس ومدة مكثنا في هذا البيت كنا نخرج بعض ساعات للتسلي في البلد وندخل بعض القهاوي والقهاوي عندهم ليست مجعما للحرا فيش بل هي مجمع لأرباب الحشمة اذ هي مزينة بالامور العظيمة النفيسة التي لاتليق الا بالغناء الثام واثمان ما فيها غلبة جدا فلا يدخلها الا اهل الثروة واما الفقراء فانهم يدخلون بعض قهاوي فقيرة او الخمارات والمحاشش وقد اسلفت ان مدينة سكندرية تشبه في حالها مرسليليا واذكر هنا ان الفرق بينهما اتساع السكك والطرق اتساعا مفرطا لمزور جملة عربيات معا في طريق واحد ثم ان سائر القاعات او الاروقة او المنادر العظيمة يوضع في حيطانها

الجوانية مرأي عظمة كبيرة حتى انه ربما كانت سائر جوانب القاعة. كلها من زجاج المرأة ليظهر لها رونق عظيم فاول مرة خرجنا الى. البلدة ومررنا بالدكاكين العظيمة الوضع المزججة بهذه المرايا والمشجونه. بالنساء الجميلات وكان هذا الوقت وقت الظهيرة وعادة نساء هذه البلاد كشف الوجه والرأس والتحرر وما تحته والقفا وما تحته واليدين الى قرب. المنكين والعادة أيضا ان البيع والشراء بالاصالة للنساء واما الاشغال فهي. لارجل فكان لنا بالدكاكين والقهواوي ونحوها فرجة عليها وعلى ما يمرها. وكان اول ما وقع عليه بصرنا من التحف قهوة عظيمة دخلناها فرأيناها. عجبية الشكل والترتيب والقهوجية امرأة جالسة على صفة عظيمة وقدامها. دواة وريش وقائمة وفي قاعة بعيدة عن الناس محل لعمل القهوة وبين محل جلوس الناس ومحل القهوة صيدان القهوة ومحل الجلوس للناس مرصوص بالكراسي المكبوة بالمسجرات ومن الطااولات المصنوعة من الحشب الكابلي الحيد وكل طاولة مفروشة بحجر من الرخام الاسود. او المنقوش وفي هذه القهوة يباع سائر انواع الشراب والفطورات فاذا طلب الانسان شياً طلبه الصبيان من القهوجية وهي تأمر باحضاره له. وتكتبه في دفترها وتقطع به ورقة صغيرة فيها الثمن وتبعها مع الصبي. للطالب حين يريد الدفع والعادة ان الانسان اذا شرب القهوة احضره معها السكر ليخلطه فيها ويذبه ويشربه ففعلنا ذلك كمادتهم وفنجان القهوة عندهم كبير نحو اربعة فناجين من فناجين مصرو بالجملة فهو قدح. لافنجان وهذه القهوة اوراق الوقائع اليومية لاجل المطالعة فيها وحين دخولي بهذه القهوة ومكثي بها ظننت انها قصبة عظيمة نافذة لما ان بها. كثيرا من الناس فاذا ابدا جماعة داخلها او خارجها ظهرت صورهم في

كل جوانب الزجاج وظهر تعددهم مشياً وقياما فيظن ان هذه
القهوة طريق وما عرفت انها قهوة مسدودة الا بسبب اني رأيت عدة
صورنا في المرأة فعرفت ان هذا كله بسبب خاصية الزجاج فعادة المرأة
عندنا ان نثنى صورة الانسان كما قال بعضهم في هذا الشأن

ابرقع منظر المرأة عنه * مخافة ان نثنيه لعيني

اقاسى ما اقاسى وهو فذ * فكيف اذا تجلى فرقدين

وعادتها عند الافرنج بسبب تعددها على الجدران وعظم صورتها ان تعدد

الصورة الواحدة في سائر الجوانب والاركان ومن كلامي

يغيب عني فلا يبقى له اثر * سوى نقاي ولم يسمع له خبر

فان بدا وارى المرأة طلعتة * يلوح فيها بدور كلام صور

وقال شيخنا المطار لم ار اللطف تخيلا في هذا المعنى من قول ابن سهل

التي بمرآة فكرى شمس صورته * فمكسها شب في أحشائي اللهم

قال الحريري في ملبح بيده مرآة

راى حسن صورته في المرأة * فاصبح صباها مدنفا

وصير يعقوب اسماله * يشير بان قد رأي بوسفا

وسأني كمال الكلام على ذلك كله في ذكر مدينه باريس ومدة اقامتنا

في مرسيليا بعد الكرنيتين اشغلناها ايضاً بتعلم تقطيع الحروف يعني

تعلم تهجي اللغة الفرنسية ثم انه يوحد في مدينه مرسيليا كثير

من نصارى مصر والشام الذين خرجوا مع الفرنسية حين خروجهم

من مصر وهم جميعاً يلبسون لبس الفرنسيين وندر وجود احد من

الاسلام الذين خرجوا مع الفرنسيين فان منهم من مات ومنهم من

تنصر والعياذ بالله خصوصاً المماليك الجورجية والجركية والنساء

اللواتي اخذهن الفرنسييس صغار السن وقد وجدت امرأة عجوزا
 باقية على دينها ومن تنصر انسان يقال له عبد العال ويقال انه كان ولاء
 الفرنسييس بمصر اغاء انكشاريه في أيامهم فلما سافروا تبعهم وتقى على
 اسلامه نحو خمسة عشر سنة ثم بعد ذلك تنصر والعاياذ بالله بسبب الزواج
 بنصرانية ثم مات بعد قليل ولقد رأيت له ولدين وبناتوا في مصر
 وهم على دين النصرانية احدهما معلم الان في مدرسه ابى زعبل ومثله
 ما حكاها لى بعضهم ان سر عسكر المسلمانو المتولى في مصر بعد قتل الجزال
 كليز بفتح الكاف وكثر الللام وكثر الباب كان اسلم في مصر نفاقا كما
 هو الظاهر ويسمى عبد الله وتزوج بنت شريف من اشراف رشيد
 فلما خرج الفرنسييس من مصر واراد الرجوع اخذها معه فلما وصل
 رجع الى النصرانية وابدل العمامة بالبرنيطة ومكث مع زوجته وهي على
 دينها مدة ايام فلما ولدت واراد زوجها ان يعمد ولده على عادة النصراني
 لينصره ابنت الزوجه ذلك وقالت لانصر ولدي اصلا ولا اعرضه للدين
 الباطل فقال لها الزوج ان كل الاديان حق وان مالها واحد وهو عمل
 الطيب فلم ترض بذلك ابد ا فقال لها ان القرآن ناطق بذلك وانت مسالمة
 فعليك ان تصدقي بكتاب نبيك ثم ارسلنا حضار اعلم الافرنج بالالغه العربية
 البارون دسائي فانه هو الذي يعرف يقرأ القرآن وقال لها سليه عن
 ذلك فسألته فاجابها بقوله انه يوجد في القرآن قوله تعالى ان الذين امنوا
 والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل
 صالحا فهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فحجها
 بذلك فاذنت بمعمودية ولدها ثم بعد ذلك انتهى الامر على ما قيل انها
 تنصرت وماتت كافرة ومما رأيت من جملة المصريين في مرسيليا انسانا

لابسا ايضاً كالأفرنج واسمه محمد منطلق اللسان في غير اللغة العربية
 فلا يعرف من اللسان العربي الا اليسير فسألته عن بلده ببر مصر فاجاب
 بانه من مدينه اسيوط من اشرافها وان اياه يسمي السيد عبد الرحيم
 وهو من اكابر هذه البلدة واهمه تسمي مسعوده او قريباً من ذلك الاسم
 وانه اختطفه الفرساوية في حال صغره ويقول انه باق على اسلامه وانه
 يعرف من الامور الدينية الله واحد ومحمد رسوله والله الكريم ومن
 المعجائب انني بعد كلامه توسمت فيه الخير وكان على وجهه سمة اشراف
 اسيوط حقيقة فان صح كلامه كان من اولاد سيدي حرير بن سيدي
 ابي القاسم الطهطاوي واشراف طهطا من اولاد سيدي يحيى بن القطب
 الرباني سيدي ابي القاسم وله ولد اثلث يسمي سيدي على البصير ذريته
 اهل جزيرة شندويل وشهرة سيدي ابي القاسم الطهطاوي لا تخفى على
 من يعرفه وان لم يذكره سيدي عبد الوهاب الشعراني في الطبقات وكثير
 من الاشراف بالبلاد العثمانية ينتهي نسبهم الى سيدي حرير المتقدم وبما
 رأيته في مرسيليا الملعبه المسماة السبكنا كل وامرها غريب ولا يمكن
 معرفتها بوصفها بل لا بد من رؤيتها بالعين ولذا ذكرها في الكلام على باريس
 ومكثنا في هذه البلدة خمسين يوماً وتوجهنا الى باريس

(الفصل الثاني في الخروج من مرسيليا)

(الى دخول باريس وفي المسافة بينهما)

اعلم أن عادة المسافرين من مرسيليا الى باريس بالعربات أن
 يستأجروا العربدة أو موضعاً فيها فالما أن يأكلوا على كبشهم أو يدفعوا
 قدرأ معلوماً للعربية والفوت مدة الطريق ثم إن السفر يكون ليلاً
 ونهاراً إلا وقت الاكل ونحوه وكل البلاد التي في الطريق فيها مواضع

[illegible]

﴿ المقالة الثالثة ﴾

(الفصل الاول في تخطيط باريز من جهة وضعها الجغرافي)
(وطبيعة ارضها ومزاج اقليمها وقطرها)

اعلم ان هذه المدينة تسمى عند الفرنسيين باري بالباء الفارسية التي تنفخ بين الفاء والباء ولكن يكتب هذا الاسم بباريس ولا ينطق بالسين ابدا فيه كما هو عادة الفرنساوية من انهم يكتبون بعض الحروف ولا يلفظون بها ابدا خصوصا حرف السين في اخر بعض الكلمات فانه لا ينطق به ابدا مثلاً آتينه بامالة التاء مدينة حكما اليونان تكتب بالفرنساوية آتينس وتقرأ آتين ثم ان العرب والترك ونحوهم يكتبون بباريس او بريس او باريز وربما قالوا فايس واظن ان الا وفق كتابتها بالسين وان اشتهر على السنة غير أهلها قراءتها بالزاي ولعل ذلك انما نشأ عن ان السين في اللغة الفرنساوية قد تقرأ زايا في بعض الاحيان ببعض شروط وان كانت مفقودة هنا الا في حال النسبة فان النسبة الى باري عند الفرنسيين بارزياتي وهذا بعينه هو السبب لان النسبة ترد الاشياء الى أصولها ولكن هذه القاعدة في النسبة العربية والنسبة هنا أعجمية وقد حشيت في بعض اشعاري التي انشدتها فيها على كتابتها بالسين حيث قلت
لئن طلقت باريسا ثلاثا * فما هذا سوى لوصال مصر
فكل منهما عندي عروس * ولكن مصر ليست بذت كفر

وقلت

لقد ذكروا شمس الحسن طرا * وقالوا ان مطالعها بمصر
ولكن لورآها وهي تبدو * بباريس لخصوه بذكر

وسميت بذلك لان طائفة من قدماء الفرنساوية كانت على نهر السين
تسمى الباريزيين ومعناها في اللسان القديم الفرنساوي سكان الاطراف
والخواشي وليس هذا الاسم منقولاً عن باريس اسم رجل شهير كما قلناه
بعضهم ثم ان هذه المدينة من اعمار مدائن الدنيا ومن أعظم مدائن
الافرنج الآن وهي كرسي بلاد الفرنسيس وقاعدة ملك فرنسا وسيأتي
تفصيل ذلك في محله وهي موضوعة في التاسعة والاربعين درجة وخمسين
دقيقة من العرض الشمالي يعني انها بعيدة عن خط الاستوا جهة الشمال
بهذا القدر واما طولها فانه يختلف فاذا اعتبرنا خط نصف النهار الذي
ينسب اليه الفرنساوية اطوال سائر الاماكن وهو خط نصف النهار
المرسوم في رصدهم الساطاني وهو يمر بباريس فهو حينئذ مبدأ الاطوال
على حساب الفرنساوية فيكون طولها صفراً واما اذا حسبنا على خط نصف
النهار الذي كان يأخذ بطليموس الاطوال منه ولا زال الى الآن مبدأ
اطوال بعض الامم كاهل الفلمنك وهو خط نصف نهار الجزائر الخالدات
بحر المغرب كانت باريس في عشرين درجة تقريباً من الطول الشرقي
ولئذ كركنا هنا كيفية معرفة درجتي الطول والعرض من مكان من
الامكنة وثمرة ذلك وان كان يخرجنا عما نحن بصدده فنقول (اعلم ان
علماء الهيئة قد أوضحوا بالدلة كروية الارض وانها غير صادقة التكوير
ثم صنعوا على هيئتها صورة وسموها صورة الارض ولا مكان تقسيم
الارض وتسهيل معرفتها توهموا فيها دوائر انصاف نهار ودوائر متوازية
ومحوراً وقطين ورسموها على صورتها المصطنعة فمحور الكرة الارضية
هو الخط الموازي لمحور الفلك وطرفاه هما القطبان ويسمى أحدهما

القطب الشمالي والآخِر القطب الجنوبي ودوائر أنصاف النهار هي الدوائر التي تعبر من أحد القطبين الى الآخر وعلّة تسميتها بذلك انه اذا كانت الشمس في سمت رأس محل يمر عليه هذا الخط دخل وقت الظاهر بذلك المحل ومركز هذه الدوائر هو مركز الارض وأما الدوائر المتوازية فهي الدوائر الواقعة اعلمدة على دوائر انصاف النهار وهي التي بينها وبين مركزها تواز على محور الارض واعظمها دائرة الاستواء وهي الدائرة العظمى المستوية البعد من القطبين وهي تنصف الكرة نصفين احدهما النصف الشمالي والآخِر النصف الجنوبي ثم ان دوائر انصاف النهار والدوائر المتوازية كسائر الدوائر تنقسم الى ثمانية وستين درجة وكل درجة تجزي الى ستين دقيقة وكل دقيقة الى ستين ثانية وكل ثانية الى ستين ثالثة وهكذا والافرنج تقسيم آخر جديد وهو ان الدائرة تنقسم الى اربعة ارباع وكل ربع يجزي الى مائة تسمى درجات مائتية وكل درجة مائة دقيقة مائتية وكل دقيقة مائة ثانية كذلك وهكذا وهذا نشأ عن استعمالهم الحساب الاعشاري والحساب المترى والاول أشهر استعمالا وبهذه الدوائر يحدد الطول والعرض وذلك أن العرض هو بعدد دائرة متزاوية عن المتوازية العظمى التي هي دائرة الاستواء فان أخذته جهة الشمال كان عرضاً شالياً ونهايته تسعون درجة وان كان جهة الجنوب فجنوبي ونهايته كذلك وأما الطول فهو بعد خط نصف النهار عن خط نصف نهار آخر مصطلح على أنه أولى وهو شرقي وقدره مائة وثمانون درجة وغربي وقدره كذلك وقد وضع أصحاب الجغرافيا في الكرة أو الخُرطات على كل دائرة متوازية ما تبعده من الدرجات عن دائرة الاستواء كما جعلوا على كل دائرة نصف نهار عدد درج بعدها من دائرة نصف النهار الاوليه وقد رسم كما أسلفناه

بطليموس الحكيم دائرة نصف النهار الاولى في الجزائر الحالدات فلما
انكشفت بلاد أمريكة احتار الافرنج أن يجعل أهل كل قطر من الاقطار
خط نصف نهارهم الاولى ببلادهم لينسبوا اليها ماعداها كما صنع
الفرنساوية فانهم جعلوا خط نصف نهارهم الاولى في مدينة باريس
وبقيت منهم أم كالمانث على أخذ الأطوال من جزيرة الحديد بالجزائر
الحلدات وفي الواقع أن الاولى كما هو الظاهر اتخذ مبدأ أطوال مشترك
لجميع الأمم بنسب اليه ماعداه ويكون في قطر لا عمار بعده معلوم أو ممتاز
بجزية كمكة انشرفة ثم أن كيفية تحديد الطول حينئذ يمكن أخذه بابتفاوت
الاقوات وذلك أنه من المعلوم أن الشمس أو الارض كما يقوله الافرنج
تقطع حركتها اليومية في أربعة وعشرين ساعة فهي تقطع من الدائرة
التي ترسمها في سيرها خمسة عشر درجة في كل ساعة فتكون تقطع
درجة كل أربع دقائق يعني أنه اذا دخل وقت الظهر في القاهرة مثلا
فلا يدخل وقته في المكان الذي يبعد عنها جهة الغرب بخمسة عشر
درجة إلا بعد ساعة ويدخل بعد ساعتين فيما يبعد عنها بثلاثين درجة
وهلم جراً وبمكس ذلك في المكان الذي يبعد عنها جهة المشرق فانه اذا
كان الظهر في القاهرة يكون مضي ساعة بعد الظهر في المكان الذي
يبعد عنها جهة المشرق بخمسة عشر درجة ويكون مضي ساعتان فيما
يبعد عنها في هذه الجملة بثلاثين درجة الى آخره فاندكر هنا حينئذ
انه اذا كان الظهر في أصول البلاد الغربية من باريس والشرقية منها
كيف يكون فيها وبذلك يفهم بعدها عن هذه البلاد فيقال اذا كان وقت
الظهر في مصر القاهرة لا يدخل وقته في باريس الا بعد مضي ساعتين
الا أربع دقائق واذا كان الظهر في اسلامبول كان في باريس بعد مضي

ساعة وستة وأربعين دقيقة وإذا كان في بغداد كان دخوله في باريس بعد ساعتين وثمانية وأربعين دقيقة وفي حلب إذا دخل الظهر لا يدخل في باريس إلا بعد ساعتين وثلاث وإذا دخل الظهر في الجزائر لا يدخل في باريس إلا بعد أربعة دقائق تقريباً وإذا دخل في تونس فيدخل في باريس بعد مضي نصف ساعة ودقيقتين ووقت الظهر في اصفهان يدخل في باريس بعد مضي ثلاث ساعات واثنين وعشرين دقيقة وإذا كان في مدينة بكن بكسر الباء والكاف كرسى ملك الصين يكون في باريس سبع ساعات واحدى وأربعين دقيقة وفي مدينة رومة الكبرى نصف ساعة وثمانية دقائق وأربعين دقيقة وفي مدينة رومة الكبرى نصف ساعة وثمانية دقائق وهذه البلاد على الشرق من مدينة باريس وأما البلاد التي على غربها فإذا كان الظهر في مدينة مدريد كرسى ملك الاندلس فانه يكون فات وقته في باريس باربعة دقائق وإذا كان في مدينة أشبونة كرسى البرتغال فانه يكون فات وقته في باريس بخمسة دقائق ونصف وإذا دخل وقته في فيلادلفيا بكسر الفاء وسكون الياء وفتح اللام وكسر الدال المهملة وسكون اللام وكسر الفاء مدينة بامريكة فانه يكون قد مضي بعده في باريس خمس ساعات وثلاثة عشر دقيقة وإذا كان وقته في مدينة ريوجانيرو بكسر الراء وضم الياء وكسر النون وسكون الياء فانه ثلاث ساعات تقريباً وإذا كان نصف النهار في جزيرة كنفوا كرسى سلطنة ابريزيله في أمريكة الموسقو يكون نصف الليل في باريس فانهما متقاطران والمسافة بين باريس واسكندرية سبعمائة وتسعة وستون فرسخاً فرساويا وبينها وبين القاهرة ثمانمائة وتسعة فراسخ وبينها وبين مكة المشرفة سبعمائة وأربعون فرسخاً وبينها وبين اسلامبول خمسماية وستون فرسخاً وبينها وبين حلب ثمان مائة وستة

وستون فرسخاً وبينها وبين مرا كس سبع مائة وخمسة وعشرون فرسخاً وبينها وبين تونس ثمانمائة وسبعون فرسخاً وبينها وبين مدينة لوندرة كرسى الانكليز مائة فرسخ وبينها وبين مدينة بترغ كرسى الموسقو خمسمائة وستة وأربعون فرسخاً وبينها وبين مدينة موسقو كرسى الموسقوبية القديم ستماية فرسخ وبينها وبين مدينة رومه كرسى البابا ثلاثماية وخمسة وعشرون فرسخاً وبينها وبين مدينة بجه كرسى النمسا ثلثماية وخمسة وعشرون أيضاً وبينها وبين مدينة نابلي ثلثماية وأربعة وثمانون فرسخاً وارتفاعها بالنسبة لسطح البحر المحيط ثمانية عشر قامة ومن المعلوم انها من بلاد المنطقة المعتدلة فليست في غاية الحرارة ولا في غاية البرودة فان أقصى درجات الحر فيها يكون احدى وثلاثين درجة ونصف وهذا نادر والحر الاوسط تسعة وعشرون درجة وأقصى درجات البرد بها في الغالب اثنا عشر درجة ونادر بلوغه ثمانية عشر والبرد الاوسط سبع درجات ومعلوم ان درجة الحر تحسب من شروع المتجمدات في الذوبان الى حد فور ان الماء ودرجات البرد من شروع في الجمود والاغلب فيها عدم صحو الزمن وكثرة الغيوم بحيث تملك الشمس في الشتاء عدة أيام لا تنكشف ولا يرى جرمها غالباً وفي أيام الغيوم يصلح لها ما في ديوان الشهاب الحجازي من قول الشاعر

تظل الشمس ترمقنا بطرف * خفي مدنف من خلف ستر

تحاول فتق غيم وهو يائي * كنهين يحاول فتق بكر

وقد فقد بعض الشعراء الورقة المشتملة على البيت الاول وعثر على الورقة المشتملة على البيت الثاني من هذين البيتين فكملة بقوله

ازال الغيم ضوء الشمس عنا * فما زالت وقد حجببت بستر

تحاول فتق غيم وهو يائي * كعنين يحاول فتق بكر
وقد ضمن هذا المعنى العلامة الصفقي في قوله
وطلمة مضر معشوقى ولكن * أريد وصالها وتريد هجري
احاول من تحجبها اختراقا * كعنين يحاول فتق بكر
وضمن ذلك أيضا في عكا فقال

وعكا الفريدة في جمال * لها مهج الفرا عن دون مهر
وخاطبها سوى من كان فيها * كعنين يحاول فتق بكر
ففض ولي النعم جتاما وزالت بكارتها فكان ما ظن انه عنين بالنسبة
اليها هو شديد قوي على فض الحتام لجميع مدن الشام وغير الشام وكان
جديرا بقول الشاعر

يا مليك الارض بشرا * لك فقد نلت الارادة

حصن عكار يقينا * هو عكا وزيادة

وقد ارخ شعراء مصر أخذ مدن الشام والروم واجادوا * وأما المطر
فانه لا ينقطع في هذه المدينة في سائر فصول السنة واذا نزل في الغالب
نزل بكثرة فلذلك احتاجوا في دفع ضرره الى جعل اعلى الدور منحدره
لتنزل منها المياه الى اسفل الدور وفي سائر البيوت والطرق بحار وبالوعات
فترى وقت المطر سائر طرق باريس محدودة بمنجار كالقنات الجارية المياه
خصوصا وارض هذه المدينة مبلطة بالحجر فلا تشرب المياه ابدا بل
تسير الى هذه المجاري ومنها الى البالوعات وتغير مزاج الهواء والزمن
في باريس امر عجيب فانه قد يتغير في اليوم الواحد او مع مابعدده حال
الزمن مثلا يكون في الصباح صحو عجيب لا يظن الانسان تغيره فلا يمضى
نصف ساعة الا ويذهب بالكلية ويخلفه المطر الشديد وقد يكون حريوم

من الايام اربعة وعشرين درجة ولا يصل اليوم الآتي الى اثني عشر
وهكذا قل ان يأمن الانسان تغير الوقت بهذه البلاد فمزاجها كمزاج
أهلها كما سيأتي ومعلوم انه ينبغي ان يحفظ الانسان من ضرر هذا
التغير وان كان هوا باريس في الجملة طيباً مناسباً للصحة ومع ان حرها
لا يصل الى حر القاهرة في الغالب فهو غير مألوف ابداً ولعل ذلك
للانتقال من شدة البرد الى شدة الحر وأما بردها فانه وان كان في طاقة
الانسان تحمله من غير عظيم تعب فانه لا يمكن للناس الشغل الا بالتدفئة
بالنار فلذلك كانت سائر قهاويها وخاناتها ومعاملها وحواليها مداخن
مبنية في الاوض ليوقد فيها النار وهي مرتبة على وجه بحيث لا ينتشر
في الاوضة دخان الحطب فان هذه المداخن نافذة الى الهواء فيجذب
الهوا الدخان ويطرده خارج البيت وفي بعض الاوض يصنعون نوعاً من
الفرن له باب من حديد ويلحقون به قصبة من صفيح وينفذون هذه
القصبة في فرجة تتصل بأهوا فيضعون الخشب في الفرن ويلقون باب الحمى
فيصعد الدخان جهة القصبة ومنها يصعد الى الحلا فتسخن الفرن وتحمي
قصبتها فتسخن الاوضة او الرواق او نحوها وعندهم نوع آخر عجيب
يسمى المداخن المسقوبية وعادة المدخنة او الفرن المسماة عند الفرنسيين
ابو الا ان ظاهرها مطلق طلاء عظيم في غاية النظافة والمدخنة دائماً مرسومة
الجوانب ولها عرصة من حديد وهي عند الفرنسيين لحسن صناعتها
من زينة المحل فيكتفونها في الشتاء ومن أعظم أكرام الضيف عندهم
في الشتاء تقريبه جهة النار ولا عجب في ذلك نسأل الله انقاذنا من حر
نار جهنم والله در القائل

النار فأكهة الشتاء فمن يرد * أكل القوا كهشائاً فليصطل

وبالجملة فالتدفئة في الشتاء عند الفرنساوية جزؤ من المؤنة فهذا ما يستعينون به على البرد وأما ما يستعينون به على التوقى من ضرر المطر فهو المظلات المسماة في مصر بالشمسيات يعنى وقايات الشمس وتسمى تلك عند الفرنساوية وقاية المطر وفي الحر تمشي النساء بالشمسيات ولا يمكن للرجال ذلك أبداً وأرض هذه المدينة مفلاحة دسمة مثمرة فكيف لا وما من بيت من البيوت الواقعة إلا وبه بستان عظيم الاشجار والخضروات وغيرها وأغلب النباتات الغربية توجد بهذه البلدة فإنهم يعتنون بتطبيع النباتات كالحيوانات الغربية ببلادهم مثلاً شجر النخل لا ينحرج إلا في الاقاليم الحارة ومع ذلك فإن الفرنساوية صنعوا كل الحيل حتى زرعوا منه شيئاً وإن كان لا يثمر إلا أنه ينفعهم في الرجوع اليه عند قراءتهم في علم النباتات وقد اشتهر عندنا أن النخل لا يوجد إلا ببلاد الاسلام ويرد عليه انه عند كشف بلاد أمريكة وجدوا بها نخلاً غير منقول كما هو الظاهر من بلادنا فانظر هذا مع قول الفاضل القزويني في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ما نصه * نخل شجرة مباركة عجيبة من عجائبها انها لا تنبت إلا في بلاد الاسلام انتهى ولعل النخل الموجود في غير بلاد الاسلام نوع مخصوص يصدق عليه اسم النخل عند أهل النباتات والمقصود على بلاد الاسلام نخل التمر لمناسبة مزاج قطرها فتأمل وبقر ب أرض باريس عين ماء معدني باردة الماء ويشقها نهران أحدهما وهو الاعظم والاشهر يقال له نهر السين يفتح السين والآخر نهر غويلان قال بعض علماء الكيمياء من الافرنج ان أقل المياه خليطاً بالمواد الخارجية نيل مصر ونهر الكنك ببلاد الهند ونهر السين بباريس ويتفرع على ذلك اعتبار ماؤها في فن الطب

من الامور المناسبة لصحة الابدان وانه يحسن تطيب وطبخ الخضروات
 بها دون غيرها وتحليل الصابون بها للغسل ونحو ذلك وفي نهر السين
 بداخل باريس ثلاثة جزائر إحداها تسمى جزيرة السيثة وكان بها
 باريس القديمة والسيثة بكسر السين وسكون الياء وفتح الفوقية معناها
 المدينة فكأنه قيل جزيرة المدينة وشتان بين هذا وبين النيل والروضة
 والمقياس فان نزهة الانسان في الروضة والمقياس لا تضاهي لان الخليج
 يعبر مصر والسين يعبر باريس إلا أن نهر السين بتمامه يشق باريس
 وتجري بها السفن العظيمة الوسق وبه الارصفة الجيدة والنظافة على
 حوافيه ومع ذلك فنزحته غير سارة وشتان أيضاً بين ماء النيل والسين
 من جهة الطعم وغيره فان ماء النيل لو كانت العادة جرت بترويقه قبل
 استعماله كما هو العادة في ماء نهر السين لكان من أعظم الادواء وأقول
 أيضاً إنه فرق بعيد بين طعم ماء نهر السين وماء العيون والقطوع
 والسواقي ببلاد ضعيف مصر وبالجملة والتفصيل ففرق بعيد بين تربة
 مصر وباريس ومياههما وفواكههما إلا في نحو الخوخ وأقليمهما فلولاً
 نجامة أهل باريس وحكمتهم وبراعتهم وحسن تدبيرهم واعتناؤهم
 بتعهد مصالح بلادهم لكانت مدينتهم كلا شيء فانظر مثلاً الى نهر السين
 فإنه وان كان نزهة في أيام الحر فإنه قد يباغ في وقت الشتاء ثماني درجات
 من الجمود والانعقاد حتى انه يمكن أن يداس عليه بالعربات وانظر الى
 أشجار هذه المدينة فإنها تكون مورقة في أيام الحر وفي أيام البرد لا
 تجدها إلا قرعة رديئة المنظو كأنها حطب مصلب وهذا في سائر البلاد
 الباردة وقال بعضهم في هذا المعنى

سألت الغصن لم تعري شتاء * وتبدو في الربيع وأنت كاسي

فقال لي الربيع على قدوم * خلعت على البشير به لباسي
قال بعضهم في وصف يوم برد وأجاد في يوم برد جعله الله منه في حمي
ومحال حرب كان الظفر فيه لابن ماء السماء كأنما ماجت الأرض
فرحاً لانهالال السحاب وقويت أوتادها إذ صار لها بالسماء من جبال
المطر أمد الأسباب * وكان السماء قد رأت ما بالأرض من السرور *
فبعثت تهنيتها بصوت الرباب * فلكم تفتحت أعين النور لعيون الغمام
الساجدة * ولكم استمرت به مسرة واستقرت به سائمة * ولكم فحكمت
الأرض لبكاء السماء بمدامعها * وظهر البشر على وجهها وانظر الى
زمن تلك المدينة فإنه دائماً معتم في سائر أيام الشتاء وغالب أيام الحر فإذا
تنزه الانسان ساعة تنكد ساعة أخرى وذهب حظه بالرعد والبرق
وانهطال المطر والصواعق وأهلها لا يبالون بذلك فيقال في سائر أيامها
ما قاله بعضهم في وصف يوم شديد البرد من أنه يوم يجمد خمره ويجمد
جره ويخف فيه الثقل اذا هجر ويثقل فيه الخفيف اذا هجم إلا أن
الفرنساوية يكثر من الملاهي في ليالي الشتاء لانهم يبذلون جهدهم
في التوقي من مضارها نسأل الله تعالى الوقاية من برد الزمهرير فلو
تعهدت مصر وتوفرت فيها أدوات العمران لكانت سلطان المدن ورئيسة
بلاد الدنيا كما هو شائع على لسان الناس من قولهم مصرام الدنيا وقد
مدحتهم مدة إقامتي ببائيس بقصيدة تتضمن مدح ولي النعمة دام عز
دولته آمين وها هي هذه القصيدة

ناح الحمام على غصون البان * فأباح شيمية مغرم ولهان
ما خلته منذ صاح إلا أنه * أضحى فقيد ألفه ومعاني
وكأنه يلتقي إلى إشارة * كيف اصطباري منذ نأى خلاني

مع انى والله مذ فارقتهم * ما طاب لي عيشي وصفو زماني
 لكنني صب أصون تلهفي * حتى كأني لست باللهفان
 وبباطن الاحشاء نار لو بدت * جراتها ما طاقها الثقلان
 أبكى بعيني مهجتي لفراقهم * وأود أن لا تشعر العينان
 لي مذهب في عشقهم واريته * ومذاهب العشاق في اعلان
 ماذا علي اذا كتمت صبايتي * حتى لو أن الموت في الكتمان
 ما أحسن القتلى بأغصان التقى * ما أطيب الاحزان بالغزلان
 قالوا اتهمى والهوى يكسوا الفتى * أبداً ثياب مذلة وهوان
 فاجبتهم لو صح هذا اني * أختارذلي فيه طول زماني
 والذل للعشاق غير معرة * بل عين كل معزة للعاني
 أصبوا الى من حاز قدا أهيفا * يزري ترنحه بغصن البان
 واحن نحو شقيق تم خده * قد نم فيه شقائق النعمان
 ووروقي أبدا نزاهة مقلتي * في حس طلعة فاك فتان
 أمسي واصبح بين شعر حالك * ومنير وجه هكذا الموان
 ولطالما قضيت معه حقبة * ونسيم مصر معطر الاردان
 زمن على به لمصر فديتها * حق وثيق عاطل النكران
 لو شابهت عيناى فائض نيلها * لم يوف بعد شفائه أجزائي
 أولو حكى قلبي بحار علومها * طربالما أشكوا من الحققان
 ولكم بازهرها شمس اشرقت * وأنارت الاكوان بالعرفان
 فشذا عبر علومهم عم الوري * وسرت مآثرهم لكل مكان
 وحوتهمو مصر قصارت روضة * وهمو جناها المبتغي للجاني
 قد شبهوها بالعروس وقد بدا * منها العروسي بهجة الاكوان

قالوا تعطر روضها فاجبتهم * عطارها حسن شذاه معاني
 خبر له شهدت اكار عصره * بكال فضل لاح بالبرهان
 لو قلت لم يوجد بمصر نظيره * لاجبت بالتصديق والاذعان
 هذا لعمري ان فيها سادة * قد زينوا بالحسن والاحسان
 يا أيها الخافي عليك فخارها * قاليك أن الشاهد الحسان
 لو كنت أقسم أن مصر لجنة * لا بر كل البر في أيما
 دار يحق لها التفاخر سيما * بعزرها جسدوي بني عثمان
 حاز المحامد اذ دعي بمحمد * ورقى العلى فعلى على الاقران
 من كان مثل أميرنا فقريته * اسكندرا وكسرى انوشروان
 في وجهه النصر القريب على العدا * لاحت بشأره لكل معاني
 في كفه سيفان سيف عناية * والشهم ابراهيم سيف ثاني
 سل عنه ينيك الحجاز مشافها * بدمار اهل السيف والبهتان
 من قبل كانت سبلة مذعورة * والآن صارت في كمال أمان
 لاغرو أن نجد أدامت شكره * فلقد كساها حلة الايمان
 وسعت إلى زنج طلايع جيشه * فاطاعت العاتي من السودان
 وتقلب الاروام عدل شاهد * كم منه قد نالوا شديد طعان
 حتي لقد باؤا بوافر خزيهم * وتقاسموا حظاً من الحسران
 لم تخط قامه رمح أغراضها * واصابة الاغراض نيل أماني
 أحبي بدولته علوماً قد غدت * لوضوحها تجلى على الازهان
 بطل مكارمه الجليلة قلدت * هام الزمان مكلل التيجان
 يهنيك يا مصر لقد حزت اليها * بمحمد باشا على الشأن
 فاحظي بفخر حكمه وتمتعي * وبذلك اقتخرى على البلدان

مدى اكف الشكر وابتهلى بان * يبقية مولا طويل زماني
وأما مصر فانها سليمة من مكاره برد باريس كما أنها خالية أيضاً عن الامور
المحتاج اليها في وقت الحر مثل الاستعانة على نظرية الزمن فان أهل
باريس مثلاً سهل عندهم رش ميدان متسع من الارض وقت الحر
فانهم يصنعون دنا عظيماً ذا عجالات ويمشون العجلة بالخيول ولهذا الدن عدة
بزايير مصنوعة بالهندسة تدفع الماء بقوة عظيمة وعزم سريع فلا تزال
ماشية والبرايير مفتوحة حتى ترش قطعة عظيمة في نحو ربع ساعة لا يمكن
رشها بجملته رجال في أبلغ من ساعة ولهم غير ذلك من الخيل فمصرنا أولى
بهذا لغلبة حرها ثم من غرائب نهر السين انه يوجد فيه مراكب عظيمة
فيها أعظم حمامات باريس المشيدة البناء وفي كل حمام منها أبلغ من مائة
خلوة وسيأتي ذكرها ومن الامور المستحسنة أيضاً انهم يصنعون مجارى
تحت الارض توصل ماء النهر الى حمامات أخرى وسط المدينة أو الى
صهاريج بهندسة مكملّة فانظر أين سهولة هذا مع ملئ صهاريج مطر بحمل
الجمال فان ذلك أهون مصرفاً وأيسر في كل زمن وشطوط هذا النهر
داخل المدينة مرصعة بحيطان عظيمة عالية فوق الماء نحو قامتين يطل
المار بجانبها على النهر وهي محكمة البناء وقناطر هذا النهر بباريس ستة
عشر قنطرة فمنها قنطرة تسمى قنطرة بستان النباتات ولها أربعماية قدم
من الطول وعرضها سبعة وثلاثون قدماً وهذه القنطرة خمسة قواصير
من الحديد محكمة ومسنودة على حجارة من أحجار النحاتة وقد بنيت
هذه القنطرة في خمس سنوات وصرف فيها ثلاثون مليون فرنك يعني
ثلاثين الف فرنك وتسمى هذه القنطرة قنطرة استرلتر سميت بذلك
باسم محل غلب فيه نابليون ملك النمسا والموسقو فيقال لهذه الواقعة

واقعة أستر لنز ويقال لها واقعة السلاطين الثلاثة ويقال لها واقعة موسم
 تنويج نابليون وأستر لنز بلدة وقعت هذه النصره بقربها وهذه النصره
 تستحق عند فرنساوية الذكر الجميل على ممر الدهور فلذلك ايدوها
 ببناء هذه القنطرة قسميتا بهذا الاسم للتذكرو بقاء الآ نأرو نهر السين يشق
 باريس نحو فرسخين وعرضه فيها مختلف فعند القنطرة المتقدمة يكون
 من الطول مائة ستة وستين متراً وقوة سير مياهه المتوسطة عشرون برمقا
 في كل ثانية او الف ومائتين في كل دقيقة وسطح أرض باريس صنفان
 فالاول جبس والثاني طين ماء نهر السين بعد زيادته وأرضها مركبة من
 راقات مختلفة فالراق الاول مزرعة طينية مرمله ذات حصي اثاني طفل
 محتاط بجبس وصدف الثالث طفل صواني الرابع طفل جيرى صدف الخامس
 حجر الجير المخلوط بصدف السادس البحر الملح السابع طين شبيه
 بالابليزي الثامن طباشير وجير مفحوم طباشيرى ثم أن هذه المدينة
 مشقوقه ومحتاطة بصفوف أشجار مرصوة على سمت الخطوط المتوازية
 لا يخرج بعضها عن بعض أبداً وعلى منوالها بطريق شبرا وفي أبي زعبل
 وحهاد أباد وهي مورقة في أيام الحر يستظل المار بها من حر الشمس
 وتسمى البلوار بضم الباء وسكون اللام فيوجد في باريس بلوارات خارجة
 كالسور للمدينة وبلوارات داخل المدينة ومحيط البلوارات الخارجة
 أبلغ من خمسة فراسخ ونصف وعدد بلوارات باريس اثنان وعشرون
 بلواراً وفي هذه المدينة عدة فسجات عظيمة تسمى المواضع يعنى الميادين
 كفسيحة الرملية بالقاهرة في مجرد الانساع لافي الوساخة وعددها خمسة
 وسبعون ميداناً وهذه المدينة أبواب خارجية برانية كباب النصر بالقاهرة
 وهي ثمانية وخمسون باباً وبهذه المدينة أربع قنات وثلاثة دواليب لجري

المياه بالنواير الا أنها عظيمة وستة وثمانون صهرمجاً ومائة وأربعة عشر حنفية على الطرق ومما يدل على عمارة هذه المدينة كون أهلها دائماً في الزيادة البينة وأرضها في الاتساع وعماراتها في التكميل والتحسين فان أهلها الآن يعنى أهل الاستيطان بها نحو مليون من الانفس ومحيطها سبع فراسخ فرناوية ومطايا هذه المدينة كغيرها من بلاد فرانس العربات الا أنه يكثر فيها ذلك ويتنوع ولا تزال تسمع بها قرعة العربات ليلاً ونهاراً بغير انقطاع وسيأتي تفصيل ذلك في غير هذا المحل

﴿ الفصل الثاني في الكلام على أهل باريس ﴾

أعلم ان الباريزيين يختصون من بين كثير من النصارى بذكاء العقل ودقة الفهم وغوص ذههم في العويصات وليسوا مثل النصارى القبطة في أنهم يميلون بالطبيعة الى الجهل والغفلة وليسوا اسراء التقليد أصلاً بل يحبون دائماً معرفة أصل الشيء والاستدلال عليه حق ان عامتهم أيضاً يعرفون القراءة والكتابة ويدخلون مع غيرهم في الامور العميقة كل انسان على قدر حاله فليست العوام بهذه البلاد من قبيل الانعام كعوام أكثر البلاد المتبربرة وسائر العلوم والفنون والصنائع مدونة في الكتب حتى الصنائع الدنيئة فيحتاج الصنائعي بالضرورة الى معرفة القراءة والكتابة لا تقان صنعتة وكل صاحب فن من الفنون يجب ان يتدع في فنه شيئاً لم يسبق به أو يكمل ما ابتدعه غيره ومما يعينهم على ذلك زيادة عن الكسب حب الريا والسمة ودوام الذكر فهم يقتدون بقول الشاعر

لعمري رأيت المرء بعد زواله * حديثاً بما قد كان يأتي ويصنع

فحيث الفتي لابد يذكر بعده * فذكرناه بالحسنى أجل وارفع
وقول ابن دريد

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعي
وقيل لاسكندر لو استكثرت من النساء كثر ولدك وطاب بهم
ذكرك فقال دوام الذكر في حسن السيرة والسنن ولا يحسن لمن غلب
الرجال ان تغلبه النساء ومن طباع الفرنساوية التطلع والتولع بسائر
الاشياء الجديدة وحب التغيير والتبديل في سائر الامور خصوصا في
امر الملبس فانه لاقرار له أبدا عندهم ولم تقف لهم الى الآن عادة في
التزني وليس معنى هذا انهم يغيرون ملابسهم بالكلية بل معناه انهم
يتنوعون فيه مثلا لا يغيرون لبس البرنيطة ولا ينتقلون منها الى العمامة
وانما هم تارة يلبسون البرنيطة على شكل ثم بعد زمن ينتقلون منه الى
شكل آخر سواء في صورتها أو لونها وهكذا ومن طباعهم المهارة والحفة
فان صاحب المقام قد تجده يجري في السكة كالصغير ومن طباعهم أيضا
الطيشان والتلون فينتقل الانسان منهم من الفرح الى الحزن وبالعكس
ومن الجد الى الهزل وبالعكس حتى ان الانسان قد يرتكب في يوم واحد
جملة أمور متضادة وهذا كله في الامور الغير المهمة وأما في الامور المهمة
فأراؤهم في السياسات لا تتغير كل واحد يدوم على مذهبه ورأيه ويؤيده
مدة عمره ومع كثرة ميلهم الى أوطانهم يحبون الاسفار فقد يمشون
السنين العديدة والمدة المديدة طوافين بين المشرق والمغرب حتى انهم
قد يلقون أنفسهم في المهالك لمصلحة تعود على أوطانهم فكانهم مصداق
قول الحاجري

كل المنازل والبلاد عزيزة * عندي ولا كمواطني وبلادي

وقال آخر

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
 كم منزل في الارض يالفه الفتى * وحينئذ أبدا لأول منزل
 ومن خصالهم محبة الغربا والميل الى معاشرتهم خصوصا اذا كان
 الغرب متجملا بالثياب النفيسة وانما يحملهم على ذلك الرغبة والتشوف الى
 السؤال عن أحوال البلاد وعوائل أهلها ليظفروا بمقصدهم في الحضر والسفر
 وقد جرت عادة النفوس الى الطمع من الدنيا بما لا نظفر به كما قال الشاعر
 ان النفوس على اختلاف طباعها * طمعت من الدنيا بما لم تظفر
 وليس عندهم المواساة الا باقوالهم وافعالهم لا باموالهم الا أنهم
 لا يمنعون عن أصحابهم ما يطلبون استعارته لاهبته الا اذا وثقوا بالمكافئة
 وهم في الحقيقة أقرب للبخل من الكرم وقد ذكرنا علة ذلك في ترجمتنا
 مختصر السير والعوائد في ذكر الضيافة وفي الحقيقة أصل السبب هو ان
 الكرم في العرب ومن أوصافهم توفيتهم غالبا بالحقوق الواجبه عليهم
 وعدم افعالهم أشغالهم ابدا فانهم لا يكونون من الاشغال سواء التقى والفقير
 فكان لسان حالهم يقول ان الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيها ومن
 المركوز في طباعهم حب الريا والسمة لا الكبر والحقد فهم كما يقولون
 في مدح أنفسهم أخلص قلوبا من الغنم عند ذبحها وان كانوا عند الغضب
 أشد اقتراسا من النمر فان الانسان منهم اذا غضب قد يؤثر الموت
 على الحيا فقل ان يفوت زمن يسير من غير ان يقتل انسان نفسه
 خصوصا من داء الفقر والعشق ومن طباعهم الغالبية وفاء الوعد وعدم
 الغدر وقلة الحيانة ومن كلام بعض الحكماء المواعيد شبك الكرام يصطادون
 بها محامد الاحراز وقال آخر كفر النعمة من لؤم الطبيعة ورداءة الديانة

وقال آخر الشكر وكاء النعمة والوفاء به صلاح العقي وقيل وعد الكريم
الزم من دين الغريم وقال بعضهم الحيانات تؤذي الامانات ومن طباعهم
الغالبية الصدق ويعتنون كثيرا بالمروءة الانسانية قال بعضهم في مدحها
المروءة اسم جامع للمحاسن كلها ومن الصفات التي يقبح وصف الانسان
بها عندهم كفر النعم مثل غيرهم فيرون ان شكرهم المثلج واجب وأظن
ان جميع الامم ترى ذلك وان كانت قد تفقد هذه الصفة عند أفراد
فهو خروج عن الطبع فهي كشفقة الوالد وبر الولد فانهما قد يختلفان
في بعض الافراد مع انهما صفتان جبيلتان عند سائر الامم والملل ومن
خصالهم أيضا صرف الاموال في حظوظ النفس والشهوات الشيطانية
واللهو واللعب فانهم مسرفون غايه السرف ثم ان الرجال عندهم عبيد
النساء وتحت أمرهم سواء كن حوامل أم لا قال بعضهم ان النساء عند
الهمل معدات للذبح وعند بلاد الشرق كامتعة البيوت وعند الافرنج
كالصغار المدلجين قال الشاعر

أعص النساء قتلك الطاعة الحسنة * فلن يسود فتى يعطى النساء رسنه
يعقنه عن كثير من فضائله * ولو سعي طالباً للعلم الف سسنه
ولا يظن الافرنج بنسائهم ظناً سيئاً أصلاً مع أن هفواتهن كثيرة
معهن فان الانسان منهم ولو من أعيانهم قد ينبت له فجور زوجته فيجرها
بالكلية وينفصل عنها مدة العمر فلا يعتبر الآخرون بذلك مع أنه ينبغي
الاحتراس منهن كما قال الشاعر

لا يكن ظنك إلا سيئاً * بالنساء ان كنت من أهل الفطن

ما رمي الانسان في مهلكة * قط إلا ظنه الظن الحسن

ومن كلام العرب العربا خطاباً لزوجته

ان امرء غره ممكن واحدة * بعدي وبعذك في الدنيا مغرور
ومن الامور المستحسنة في طباعهم الشبهة حقيقة بطباع العرب
عدم ميلهم الى حب الاحداث والتشبيب فيهم أصلاً فهذا أمر منسي
الذكر عندهم تأباه طبيعتهم وأخلاقهم ومن محاسن لسانهم وأشعارهم
انها تأتي تغزل الجنس في جنسه فلا يحسن في اللغة الفرنسية قول
الرجل عشقت غلاماً فان هذا يكون من الكلام المنبوذ المشكل فلذلك
اذا ترجم أحدهم كتاباً من كتبنا يقاب الكلام الى وجه آخر فيقول
في ترجمة تلك الجملة عشقت غلاماً أو ذاتاً يتخلص من ذلك فانهم يرون
هذا من فساد الاخلاق والحق معهم وذلك أن أحد الجنسين له في غير
جنسه خاصة من الخواص يميل بها اليه نكاسة المغناطيس في جذب
الحديد مثلاً ونكاسة الكهرباء في جذب الاشياء ونحو ذلك فاذا اتحد
الجنس انعدمت الخاصة وخرج عن الحالة الطبيعية وهذا الامر عندهم
من أشد الفواحش حتى انه قلما ذكره صريحاً في كتبهم بل يكونون
عنه بما أمكن ولا يسمع التحدث به أصلاً ويعجبني قول الشيخ
عباس النيني

كلفت بسعدي والرباب وزينب * ولم أعتبر أس العذار ولامه
ولا اخترت تشيباً بأمرد مذهباً * وإن ذم طبعي من يراه ولامه
وما حسنه عندي سوى في عجاجة * وحمل قناة كالشهاب ولامه
ويغشى سعير الحرب ليس بصدء * حنانيك عن ضرب الرقاب ولامه
ومن خصالمهم الرديئة قلة عفاف كثير من نساءهم كما تقدم وعدم
غيرة رجالهم فيما يكون عند الاسلام من الغيرة ومما قاله بعض أهل المجون
الفرنساوية لا تغتر بآباء امرأة اذا سألتها قضاء الوطر ولا تستدل بذلك

على عفافها ولكن على كثرة تجربتها انتهى كيف والزنا عندهم من العيوب والردائل لا من الذنوب الاوائل خصوصاً في حق غير المتزوج فكان نساءهن مصداق قول بعض الحكماء لا تغتر بامرأة ولا تشق بحال وان كثر * وقال آخر النساء حبائل الشيطان * وقال الشاعر

تتمتع بهاماسا عفتك ولا تكن جزوعا * اذا بانث فسوف تبين *

فان هي أعطتك الليان فانها * لآخر من طلابها ستلين

وان خلفت لا ينقض النأي عهدا * فليس لمخضوب البنان يمين

وبالجملة فهذه المدينة كباقي مدن فرانسا وبلاد الافرنج العظيمة مشحونة بكثير من الفواحش والبذع والضلالات وان كانت مدينة باريس من أحكم سائر بلاد الدنيا وديار العلوم البرانية واثينة الفرنساوية وقد قابلتها فيما تقدم نوع مقابلة باثينة أي مدينة حكماء اليونان ثم رأيت بعض أهل الأدب من الفرنساوية قال ما معناه أن الباريزيين أشبه الناس بأهل آثينة أو هم اثنيوهذا الزمان وان عقولهم رومانية وطباعهم يونانية انتهى وقد أسلفنا أن الفرنساوية من الفرق التي تعتبر التحسين والتقييس العقلين وأقول هنا أنهم ينكرون خوارق العادات ويعتقدون انه لا يمكن تخلف الامور الطبيعية أصلاً وإن الأديان إنما جاءت لتدل الانسان على فعل الخير واجتناب ضده وان عمارة البلاد وتطرق الناس وتقدمهم في الآداب والظرافة تسد مسد الأديان وإن الممالك العامرة تصنع فيها الامور السياسية كالأموال الشرعية ومن عقائدهم القبيحة قولهم أن عقول حكمائهم وطباغيهم أعظم من عقول الأنبياء وأزكى منها ولهم كثير من العقائد الشنيعة كإنكار بعضهم القضاء والقدر مع أن من الحكماء العاقل من يصدق بالقضاء ويأخذ بالحزم في سائر الأشياء

وان كان لا ينبغي للانسان أن يحيل الاشياء على المقادير أو يحتج بها قبل الوقوع فان من الامثال التي سارت بها الركبان * من دلائل المعجز كثرة الاحالة على المقادير ومن كلام بعضهم اذا وقعت المجادلة فالكوت. أفضل من الكلام واذا وقعت المحاربة فالتدبير أفضل من التقدير ومنهم جماعة يعتقدون أن الله تعالى خالق الخلق ونظمهم نظاماً عجيباً فرغ منه ثم لا يزال يلاحظهم بصفة له تعالى تسمى صفة العناية والحفظ تتعلق بالممكنات إجمالاً بمعنى انها تمنعها عن خلل انتظام الملك وسندكر بعض عقائدهم في غير هذا المحل ثم ان لون أهل باريس البياض المشرب بالحمرة وقل وجود السمرة في أهلها المتناسلين بها وانما ندر ذلك لانهم لا يزوجون عادة الزنجية للابيض أو بالعكس محافظة على عدم الاختلاط في اللون بل لا يعدون انه قد يكون للزنج جمال أصلاً بل لون السواد عندهم من صفات القبح فليس لهم في الحجة مذهبان ولا يحسن عندهم قول الشاعر في غلام أسود

لك وجه كأن بنائي خطته * بلفظ تمسكه آمالي

فيه معنى من الدور ولكن * نفقت صبغها عليه الليالي

بل لسان حالهم دائماً ينشد قول الآخر

ألا ان عندي عاشق السمر غالط * وان الملاح البيض أبهى وأبهج

واني لاهوى كل بيضاء عادة * يضيء لها وجه وثمر مفلج

وحسبي اني اتبع الحق في الهوى * ولا شك أن الحق أبيض أبلج

على أنه لا يحسن عند الفرنسيات استخدام جارية سوداء في الطبخ ونحوه لما ركز في أذهانهم ان السودان عارون عن النظافة اللازمة ونساء الفرنسيات بارعات الجمال والاعطافة حسان المنساية والملاطفة

يتبرجن دائماً بالزينة ويختلطن مع الرجال في المنزهات وربما حدث
التعارف بينهم وبين بعض الرجال في تلك المحال سواء الاحرار وغيرهن
خصوصاً يوم الاحد الذي هو عيد النصرى ويوم بطالتهم وليلة الاثنين
في البالات والمراقص الآتي ذكرها وبحسن قول بعضهم شعر

والراقصات وقدمالت ذوائها * على خصور كاوساط الزناير

يخفي الراسقما عنافيفضحها * عقد البنود وشداث الزناير

ومما قيل أن باريس جنة النساء وأعراف الرجال وجحيم الخيل
وذلك أن النساء بها منعمات سواء بمالهن أو بجمالهن وأما الرجال فانهم
بين هؤلاء وهؤلاء عبيد النساء فان الانسان يحرم نفسه وينزه عشيقته
وأما الخيل فانها تجر العربيات ليلاً ونهاراً على أحجار أرض باريس
خصوصاً اذا كانت المستأجرة للعربية امرأة جميلة فان العربي يجهد
خيله ليوصلها الى مقصدها عاجلاً فالخيل دائماً معذبة بهذه المدينة وحيث
أن باريس من بلاد الفرنسيين فمعلوم أن لسان أهلها هو اللسان الفرنسي
ولنذكر هنا نبذة من ذلك فنقول اعلم أن اللسان الفرنسي من
الافرنجية المستحدثة وهو لسان الغلوية يعني قدماء الفرنسيين ثم كمل
من اللغة اللاطينية وأضيف اليه شيء من اللغة اليونانية النيمساوية
ويسير من لغة الصقالبة وغيرها ثم حين برع الفرنسيون في العلوم نقلوا
كلمات العلوم من لغات أهلها وأكثرت الكلمات الاصطلاحية يونانية
حتى كان لسانهم من أشبع اللسان وأوسعها بالنسبة لكثرة الكلمات
غير المترادفة لا بتلاعب العبارات والتصرف فيها ولا بالمحسنات البديعية
اللفظية فانه خال عنها وكذا غالب المحسنات البديعية المعنوية وربما عد
ما يكون من المحسنات في العربية ركازة عند الفرنسيين مثلاً لا تكون

التورية من المحسنات الجيدة الاستعمال إلا نادراً فإن كانت فهي من هزليات
ادبائهم وكذلك مثل الجنس التام والناقص فإنه لا معنى له عندهم وتذهب ظرافة
ما يترجم لهم من العربية مما يكون مزيناً بذلك مثل قول صاحب البديعية
من العتيق ومن تذكاري سلم * براءة العين في استهلالها بدم
ومن أهيل النقي ثم النقي وبدا * تناقض الجسم من ضر ومن ضرر
ولا يمكن أن ينقل إلى لغاتهم ما قلته في نظم مصطاح الحديث

صحيح جسمي من فرط الجوى عضلاً * ومرسل الدمع من عيني قد اتصل
تواترت قصتي في الناس قاطبة * حتي لضعفي رثالي كل من عذلاً
تغنن السحب عن عيني روايتها * كما يسلسل عنها القطر اذ هملاً
رفعت أمري إلى قاضي الهوى فأبي * وقال مالي على هذا المايح ولا
ياقلب صبراً على ما فيك من علل * ولا تشذ وتجزع وأترك الللال
ودع بقية ما ابقاه من رفق * لديه لا تعتبر تعنيف من عذلاً
فذاك لاح وبالتدليس مشتهر * وقوله منكر زور وما قبلاً
إلى آخر قولي فيها

وقفت حي عليه لا يجاوزه * وهكذا شأن صب في الهوى كمال
وسأني نعيم الكلام على ذلك وبالجملة فلكل لسان اصطلاح واصطلاح
اللغة الفرنسية قليل التصريف ما أمكن وتصريف الفعل مع فعل آخر
مثلاً إذا أراد الإنسان يخبر به أكل فإنه يقول املك ما كولا يعني فلا يمكن
تصريف أكل في بعض أحواله إلا مع فعل الملك أو التلبس فكأنه يقول
تلبست بالأكلي وإذا أراد أن يقول خرجت يقول أنا أكون مخرجاً يعني
خرجت وهكذا ويسمي فعل الملك وفعل الكينونة فعلين مساعدين يعني اتهم
يعنيان على تصريف الأفعال وتجردان عن معناها الأصلي وإذا أرادوا تعدي

الفعل قالوا فملت له الا كل يعني جعلته يأكل أو اكلته وفعلت له الخروج
يعني أخرجه وهكذا فلا يمكنهم تصريف الافعال كما يمكن في اللغة العربية
فذلك كانت لغتهم ضيقة من هذه الحيثية ثم أن قواعد اللسان الفرنسي
وفن تركيب كلماته وكتابتها وقراءتها يسمى أغرماتقي بالهمزة وسكون
العين وفتح الراء وتشديد الميم وكسر التاء وفتح القاف وأغرمير بتشديد
الميم عند الفرنسيين ومعناه فن تركيب الكلام من لغة من اللغات فكانه
يقول فن النحو فيه دخل فيه سائر ما يتعاق بالغة كما نقول نحن علوم
العربية ونريد بها الاثني عشر علماً المجموعة في قول شيخنا العطار
نحو وصرف عروض بعده لغة * ثم اشتقاق قريض الشعر انشاء
كدا المعاني بيان الخط قافية * تاريخ هذا العلم العرب احصاء
وبعضهم زاد البديع وآخر استحسن زيادة التجويد وبالجملة فباب
الزيادة والنقص فيها مفتوح اذا حصرها وتقسيمها في ذلك جملي لا حصري
والظاهر أن هذه العلوم جديرة بأن تسمي مباحث علم العربية فقط
فكيف يكون كل من الشعر والقريض والقافية علماً مستقلاً برأسه وكل
من النحو والصرف والاشتقاق علماً برأسه وانظر ما المراد بالتاريخ
وبكونه من العلوم العربية مع أن أول من ألف فيه علماء اليونان وأول
ما ظهر في هذا الفن كتب أو ميروس في واقعة تروادة ولم تؤلف فيه
العرب الا في الازمنة الاخيرة وعلم الخط قديم أيضاً فلا فرج يدخلون هذه
المباحث في علم تركيب الكلام بل يعدون منه المنطق والوضع والمناظرة
ثم أن اللغة الفرنسية كغيرها من اللغات الافرنجية لها اصطلاح خاص
بها وعليه ينبغي نحوها وصرفها وعروضها وقوافيها وبيانها وخطها وانشاؤها
ومعانيها وهذا ما يسمى أغرماتقي حينئذ سائر اللغات ذات القواعد لها

فمن يجمع قواعدها سواء كانت لدفع الخطأ في القراءة والكتابة فيها
أو لتحسينها فحينئذ ليست اللغة العربية هي المقصودة على ذلك بل كل
لغة من اللغات يوجد فيها ذلك نعم اللغة العربية أفصح اللغات وأعظمها
وأوسعها وأعلاها على السمع فحينئذ العالم باللغة اللاتينية يعرف سائر
ما يتعلق بها فله ادراك في النحو في حد ذاته وفي غيره كالصرف فمن
الجهل أن يقال أنه لا يعرف شيئا بدليل حمله باللغة العربية وإذا تجر
الإنسان في لغة من اللغات كان عالما باللغة الأخرى بالقوة يعني أنه لو
ترجم له ما في اللغة الأخرى وعبر له عنه كان قابلا لتلقيه ومقابلته بلغته
بل ربما كان يعرفه من قبل ويعرف زيادة عليه ويبحث فيه ويبطل
منه ما لا يقبله العقل كيم والعلم هو الملكة وحينئذ فقد لا يعرف
الإنسان المطولات باللغة العربية ويعرفه باللغة الفرنسية أو ترجم له
على أن كل لغة مخدومة فاهما مطوأمها وأطولها وسعدها نعم ليس
كل مائع ماء ولا كل سقف سماء ولا كل بيت بيت الله ولا كل محمد
رسول الله وكما قال الشاعر

هيات ما كل النسيم حجازيا * ولا كل نور يهيج الشرق والغربا
وقال آخر

وما كل مخضوب البنان يثنيه * ولا كل مسلوب الفؤاد جميل
فلا شك أن لسان العرب هو أعظم اللغات وأبهج وهل ذهب صرف
يحاك بهرج ولله در من قال
يليق الخطاب العربي بأهله * فبهدي الوفا للنقص والحسن للقببح
ومن شرف الأعراب أن يحمدا * أتى عربي الأصل من عرب فصيح
وأن المثاني أنزلت بلسانه * بما خصصته في الخطاب من المدح

ومع ما يترآء ان الاعجام لا تفهم لغة العرب اذا لم تحسن التكلم بها كالعرب
فهذا لأصل له ومما يدل على ذلك أنى اجتمعت في باريس بفاضل من
فضلاء فرنساوية شهير في بلاد الافرنج بمعرفة اللغات المشرقية خصوصا اللغة
العربية الفارسية يسمى البارون سلوستري دساسي وهو من أكابر باريس
واحد أعضاء جملة جمعيات من علماء فرنسا وغيرها وقد انتشرت تراجمه
في باريس وشاع فضله في اللغة العربية حتى أنه لخص شرحا للمقامات
الحريرية وسماه مختار الشروح وقد تعلم اللغة العربية على ما قيل بقوة
فهمه وذكاء عقله وغزارة علمه لا بواسطة معلم الا في مبدء أمره ولم
يحضر مثل الشيخ خالد فضلا عن حضور المغني مع أنه يمكنه قراءة
المغني كيف وقد درس البيضاوي عدة مرات غير أنه حين يقرأ ينطق
كالعجم ولا يمكنه ان يتكلم بالعربية الا اذا كان بيده الكتاب فاذا أراد
شرح عبارة أغرب في الالفاظ التي يتعذر عليه تصحيح نطقها ولذا ذكر
لك خطبته في شرحه لمقامات الحريري لتعرف نفسه في التأليف وقلم
عبارته فإنه بليغ وان كان به يسير من الرككة وسبب ذلك أنه تمكن من
من قواعد اللسان الافرنجية فلذلك مالت اليها عبارته في العربية قال
في طالعة شرحه التي حاول فيها الجري على نهج دينه ودين الاسلام
من غير ان يغين أحدهما

بسم الله المبدئي المعيد * الحمد لله العالي المتعالي * الذي له الاسماء
الحسنى * ولا يخالط صفاته عز وجل من صفات المخلوق شيء أقصى ولا
أدنى * العليم الذي ليس لعلمه نهاية * والحكم الحكيم الذي حكمه وحكمته
وراء كل حد وغاية * لا يمحصر لاهوت وجوده زمان ومكان * ولا
يشوب صفاء جبروته شائبة زيادة ولا نقصان * مسبب الاسباب الذي

لا يحرك في أطراف الارض والسماء متحرك الابدقته وأرادته * ولا
يتكلم في أكناف الافاق متكلم الا باللهامه وأفادته * أحمد حمد من
اعترف بتقصير فهمه وضعف عقله * فهداه برحمته وتوفيقه الى تحصيل
بعض العلوم والفنون * واشكر له شكر من كان يخبط في ظلام الجهل
فاخرجه برأفته وتأيبه الى فضاء الرشد ونور التميز حتى عرف الحق
اليقين من أباطيل الظنون * ثم أتوسل اليه سبحانه وتعالى بأنبيائه
المرسلين وأوليائه المقربين الذين كل واحد منهم كالغرة على جبهة الدهر *
وكانتاج على مفرق العصر * وأسأله عز وجل ان يجعاني من عباده
المهتدين * الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * انه على
كل شيء قدير وبأجابة هذا الدعاء جدير * أما بعد لما فضل الله جنس
الناس على سائر المبتدعات بفوائده الافهام * واختص بني آدم من بين
أصناف الحيوانات بكرامة الكلام * بعث في كل أمة من الأمم من
يكون في تمهيد قواعد البلاغة واستنباط أحكام شريعتها معروفًا مشهورًا *
ويصير لسالك طريقه الفصاحة أمامًا ودستورًا فمن اشتهر بذلك بين
الانام وصار المشار اليه في هذا الباب عند أهل الاسلام * مؤلف
المقامات المشهور بالحري وهو الشيخ الامام أبو محمد القاسم ابن علي
ابن محمد بن عثمان البصري الذي ازدرى من كان قبله من الادباء والفصحاء
واجهد من جاء بعده من الظرفاء والبلغاء * فاني لما رأيت ان كتابه
المذكور لم يزل مذكوره الى يومنا هذا لعلم الادب كالعالم المشهور بحسبه
الخاصة والعامة واسطة عقده * وخلاصة نقده * ويعتقدونه نور
مصباحه وضياء صباحه بل لا يشك احد منهم انه ازهار بستانه وأثمار
جنانه * وزلال مائه ونسيم هوائه * احييت ان أشرحه شرحًا متوسطًا

بين الإيجاز والتطويل * أ كشف الغطا عن مشكلاته ومجملاته بالتفسير
والتفصيل * وقد شرح المقامات الحريرية من علماء المشرق والمغرب
كثير ذكرهم الحاج خليفة في كتابه المسمى كشف الظنون * عن أسامي
الكتب والفنون * وما وصل بدي إليه من مؤلفاتهم شروح أربعة منها
غريب الإيضاح في غريب المقامات الحريرية للإمام برهان الدين أبي
الفتح ناصر ابن عبد السيد المطرزي الحواري المتوفى سنة عشر وستمائة
وهذا الشرح مع وجازته كتاب مفيد محصل للمقصود والمطرزي كانت
له معرفة تامة بالحو وال لغة والشعر وأنواع الادب وهو صاحب
كتاب المغرب تكلم فيه على الالفاظ التي يستعملها الفقهاء من الغريب
ومنها كتاب شرح ماغرض من الالفاظ اللغوية من المقامات الحريرية
تأليف الشيخ محب الدين عبد الله بن الحسين العكبري البغدادي المتوفى
سنة عشرة وستمائة قال اني رأيت المقامات الحريرية مشحونة بالالفاظ
اللغوية وهي أحد الكتب التي عني بها علما العربيين ودعاني ذلك الى
تفسير ماغرض من الفاظها على الإيجاز وقد كنت عثرت لبعض الناس
على شيء من ذلك الا انه أسهب بما لا يحتاج اليه وربما فسر اللفظة بغير
ما قصد منشئها ومنها شرح المقامات للاستاذ اللغوي النحوي أبي العباس
أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القسي الشريشي المتوفى سنة تسعة
عشر وستمائة وهو شرح طويل ذكر الشريشي انه لم يترك في كتاب
من شروح المقامات فائدة الا استخراجها ولا عائدة الا استدرجها ولا
نكتته الا عقلمها ولا غريبة الا استجقتها حتى صار شرحه تأليفا في
المقامات يعني عن كل شرح تقدم فيها ولا يخرج الى سواء في لفظه
من الفاظها ولا معنى من معانيها وقد أخذ شيئا كثيرا من شرح ابن ظفر

الصقلي صاحب كتاب سلوان المطاع في عدو ان الاتباع المتوفي بمدينة
 حماه سنة خمس وستين وخمسمائة ومن شرح الفندهجي وهو الشيخ
 الامام تاج الدين أبو سعيد محمد بن سماعات عبد الرحمن ابن محمد
 الحراساني المروزي الفندهجي وقيل البندهجي الصوفي المتوفي بمدينة
 دمشق سنة أربعة وثمانين وخمسمائة ومنها شرح آخر تأليف الشيخ
 شمس الدين أبي بكر محمد بن أبي بكر الرازي صاحب أسئلة القرآن
 ومختار الصحاح المتوفي بعد سنة ستين وستمائة وهذا الشرح لم يذكره
 الحاج خليفة في كتابه المذكور وهو شرح لطيف يشهد لصاحبه بكمال
 الادب الا ان النسخة التي هي في ملكي لنسخة ناقصة سقط منها نحو
 نصف الكتاب حتى لم يبق الا شرح الخطبة ثم شرح المقامة الخامسة
 والعشرين أخذنا من قول الحرري واني والله طالما تلقيت الشتاء بكافاته
 الى آخرها وشرح ما تلوها من المقامات الى قوله في المقامة الحسین
 ولم تزل معتكفاً على القيسح الشنع هذا ما كان لي من شروح
 المقامات وقد اجتمع عندي أيضاً نسخ ست من كتاب المقامات بلا شرح
 غير أن أكثرها يوجد به من التعليقات والحواشي مما ينتفع به القاري
 وقد اخترت من تلك الشروح والحواشي كلما يحتاج اليه طالب العلم في
 تحصيل المقصود ويستعين به الراغب في الادب على ادراك المطلوب ثم
 أضفت الى ذلك شيئاً كثيراً نقلته من كتب أئمة النحو واللغة ومن مجمع
 الامثال للعلامة الميداني وكتاب وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان لابن
 خلكان ثم من ديوان البحري ومن ديوان المتنبي وشرح المعلقات
 للزوزني وغير هذا من كتب الادب كل ذلك ليتيسر على من أعجبه
 الفوص في بحار اللغات العربية أن يظفر من دررها بكل يتيمة عقيلة

وليسهل على المولع بخرائب العلوم الادبية الشرقية أن يصل من جواهر معادنها الى كل فلذة ثمينه جزيلة وانما المرجو من نظر في هذا الشرح المختار أن لا يؤاخذني على ماظهر عليه من العثرات بل أن يستر بذيل كرمه ما استبان له من العورات (والله أسأله أن يجعل هذا الكتاب لمن تصفحه من أهل الشرق والغرب نافعاً مفيداً * ولجميع من أسرع الى مورده من أبناء جنسنا ومن غير جنسنا هنيئاً مريئاً حميداً) انتهى كلامه وقال في المقدمة الفرنسية لهذا الكتاب أن المقامات البديعية تفضل المقامات الحريية وقد ترجم الى الفرنسية عدة مقامات من الاثنين في مجموعة كتاب الانيس المفيد للطالب المستفيد وجامع الشذور من منظوم ومنثور وبالجملة فمعرفة خصوصاً في اللغة العربية مشهورة مع أنه لا يمكنه أن يتكلم بالعربي الا بغاية الصعوبة وقد رأيت له في بعض كتبه توقعات عظيمة وايرادات جلية ومناقضات قوية وله اطلاع عظيم على الكتب العالمية المؤلفة في سائر اللغات وسبب ذلك كله تمكنه من لغته بالكلية ثم تفرغه بعد ذلك لمعرفة اللغات ومن جملة مؤلفاته الدالة على فضله كتاب في النحو سماه التحفة السنية في علم العربية فانه ذكر فيه علم النحو على ترتيب عجيب لم يسبق به أبداً وله مجموع سماه المختار من كتب أئمة التفسير والعربية في كشف الغطاء عن غوامض الاصطلاحات النحوية واللغوية فمجموعه وترجمه من العربية الى الفرنسية وله غير ذلك من المؤلفات والتراجم خصوصاً في اللغة الفارسية فانه بارع فيها غاية البراعة وشهرته بالفضل في بلاد الافرنج لا تنكر حتي أنه قد انحف بعلامات الشرف من كبار ملوكهم ثم ان القنون باللغة الفرنسية قد بلغت درجة اوجها حتي ان كل علم فيه قاموس مرتب على حروف

المعجم في الفاظ العلم الاصطلاحية حتي علوم السوقه فانها لها مدارس
كمدرسة الطباعة يعني مجالس علماء الطباعة وشعرائها وان كان هذا
من انواع الهوس غير أنه يدل على اعتناء هذه البلاد بتحقيق سائر الاشياء
ولو الدنيئة وسواء في ذلك الذكور والاثاث فان للنساء تاليف عظيمة
ومنهن مترجمات للكتب من لغة الى أخرى مع حسن العبارات وسبكها
وجودتها ومنهن من يتمثل بانشائها ومراسلاتها المستغربة ومن هنا يظهر
لك أن قول بعض أرباب الامثال جمال المرء عقله وجمال المرأة لسانها
لا يليق بتلك البلاد فانه يسهل فيها عن عقل المرأة وقريحتها وفهمها وعن
معرفة ائمة العلوم الادبية الفرنسية لا بأس بها ولكن لغتها وأشعارها
مبنية على عادة جاهلية اليونان وتأليفهم ما يستحسنونه فيقولون مثلاً الله
الجمال والله العشق والله كذا فالفاظهم في بعض الاحيان كفرية صريحة
وان كانوا لا يعتقدون ما يقولون وانما هذا من باب التمثيل ونحوه وبالجملة
فكثير من الاشعار الفرنسية لا بأس بها ولذا كرر لك شيئاً من بعض
اشعارهم مترجمة من كلام بعضهم للعبد الفقير

وإذا القلوب تعلقت * رأت الجميع جيلا

كسفينة تسبح الى * شعب يكون مهولا

لهفى على زمن الهنسا * ان صح كان بخيلا

وقوله مترجماً الى

ودع القلب فيك يا قاتلي * يا خيال المسعد الزائر

أن زوحي بالجراح اصطلت * وعلى البرء لست بالقادر

وسروري في الهوى لحمة * مثل زهر الورق الزاهر

ومن القصيدة المسماة نظم العقود في كسر العود للخواجه يعقوب المصري

منشأ الفرنساوي استيطاناً وقد اعتنيت بترجمتها سنة ألف ومائتين واثنين
وأربعين وأخرجتها من ظلمات الكفر الى نور الاسلام قول صاحبها
ونظمه للعبد الفقير

زادني الحال اذ صفا لي حاني * وغناي بالعود والالخان
باسم ربي والسادة الاعيان * وترنمت شجوة بالحسان
* وبسمدي ذات الحيين المفدي *

قصني سمعها الى انشادي * ورمى النار لحظها في فؤادي
فلها شعري غدا في اتقادي * وبدا من حماسه في انفراد
* لذوي الفهم والمعارف يهدي *

أحرق العشق قلبها كاحتراق * فانت تطأ الاظفار بالعناق
فتضامنا ضمة المشتاق * وتلائمنا عادة العشاق
* ففئت لتخجل العنق قد *

شفت السمع من رقيق التغاني * واستمع يا أخي صوت المثاني
يا خليلي بالله هلا تراني * اني قد أحييت شعرا بن هاني
* بعد ان كان قد توسد لحدا *

وبعد هذا بعدة أبيات نخلص الشاعر الى ذم العشق وتوابعه فقال
واحياي واخجلني صارفني * اني في هوى الملاح أغني
برخيم الغني كظلي أغن * وباوتاري ابتدى وأثنى
* ما أرى هذا للفضائل أجدي *

أفأيا ميكلها لي عقيمه * أو مالي عواقب مستقيمة
بل على طاعة الهوى مستديمه * أفأهذه مراق ذميمة
* إقتني هزلها وارفض جدا *

أعلى اجتراع كاس نصيب * خامل ليس كافل لاريب
مع أني والله غير مريب * همتي همه الذكي النجيب
* تقص المجد والسوا تتمدى *

وقال يذم نفسه ويونحها على العزم على فراق محبوبته لاسيما وهي
تأذي من فراقه

ويح عز وسودد نشتره * بنواح الملاح اذ نشتره
ياقوادي سل عند أي فقيه * يغفر الذنب من قتال بتيه
* لنوال الفخار علك تهدي *

ياقوادي قد اسلمتكم الامور * ويا باحتك متجرا لن يبور
افرضي على الظبا أن تجورا * لسب الفيك اسفا مقهورا
* حيث قديت قلبها الآن قدا *

ومن جملة قوله في مدح أقدينا حفظه الله مخاطباً لمصر في هذه القصيدة
بسياسات فيك أضحي كفيلا * بيد دانت من مضي التقيلا
جددت في جبينك الاكليلا * نصرت غصنا فيك حازدولا
* وأعادت فيه الشيبه ودا *

وقال فيها مخاطباً لولي النعمة حفظه الله تعالى مشير الى واقعة المماليك
فعلك الخير بعده حسن ذكر * مستمر على مدى كل دهر
فاغتم حفظ مشتهى نيل مصر * فلقد شابه دماسيف نصر
* وغدا في حماك ينفق رفدا *

وهذه القصيدة كغيرها من الأشعار المترجمة من اللغة الفرنسية
عالية النفس في أصلها ولكن بالترجمة تذهب بلاغتها فلا تظهر علو نفس
صاحبها ومثل ذلك لطائف القصائد العربية فانه لا يمكن ترجمتها الى غالب

اللغات الافرنجية من غير ان يذهب حسنهما بل ربما صارت باردة وسيأتي
تتميم الكلام على غالب الآداب الفرنساوية والعلوم والفنون
الفصل الثالث في تدبير الدولة الفرنساوية

ولنكشف الغطاء عن تدبير الفرنساوية ونستوفي غالب أحكامهم .
ليكون تدبيرهم المعجيب عبرة لمن اعتبر فنقول قد سلف لنا ان باريس
هي كرسي بلاد الفرنسيس وهي محل إقامة ملك فرانس وأقاربه وعيلته
المسماة البربون بضم الباء الموحدة وسكون الراء وضم الباء الثانية فلا
يكون ملك فرانس الا من هذه العيلة ومملكة الفرنساوية متوارثة ومسكن
ملك فرانس سراية تسمى التولري بضم التاء وكسر الواو وكسر الراء
والغالب ان الفرنساوية يعبرون عن ديوان فرانس بقولهم كايئة التولري
يعني ديوان هذه السراية أي ديوان الملك ثم ان أصل القوة في تدبير
المملكة الملك فرانس ثم للجماعة أهل شمبر دوبر بفتح الشين وسكون
الميم يعني ديوان البير بفتح الموحدة أي أهل المشورة الأولى ثم لديوان
رسل العملات ثم ان الديوان الاول يعني ديوان البير هو في قصر
بباريس يسمى قصر لقسمبورغ والديوان الثاني قصر بوربون ثم يلي
ديوان رسل العملات ديوان الوزراء والوكلاء ثم ديوان يسمى الديوان
الخصوصي وبعد ذلك يوجد ديوان يسمى ديوان أسر الملك وديوان
يسمى ديوان الدولة للمشورة فيئخذ ملك فرانس صاحب قوة تامة
في مملكته بشرط رضا تلك الدواوين المذكورة وله خصوصيات آخر
سيأتي ذكرها في السياسة الفرنساوية ووظيفة أهل ديوان البير تجديد قانون
مفقودا وابقاء قانون موجود على حاله ويسمى القانون عند الفرنساوية
شريعة فلذلك يقولون شريعة الملك الفلاني ومن وظيفة ديوان البيران

يمضد حقوق تاج المملكة ويحامي عنه ويمناع سائر من يتعرض لها
وانعقاد هذا الديوان يكون مدة معلومة من السنة في زمن اجتماع
ديوان رسل العملات باذن ملك الفرنسيس وعدد أهل ذلك الديوان
غير منحصر في سدة مخصوصة ولا يقبل دخول الانسان فيه الا وهو
ابن خمسة وعشرين سنة ولا يشرك في الشوري الا وهو ابن ثلاثين
سنة ما لم يكن من بيت المملكة والا فبمجرد ولادته يحسب من أهل
هذا الديوان ويشرك في المشورة حين يبلغ عمر خمسة وعشرين
سنة وكانت وظيفة البيرية متوارثة للذكور فيقدم أكبر الاولاد ثم بعد
موته يقدم من يليه وهكذا ووظيفة ديوان رسل العملات غير متوارثة
وظيفةهم امتحان القوانين والسياسات والاوامر والتدبير والبحث عن
أيراد الدولة ومدخولها ومصرفها والمنازعة في ذلك والممانعة عن الرعية
في المكوس والفرد وغيرها ابعادا للظلم والجور وهذا الديوان مؤلف من
عدة رجال ينصبهم أهالي العملات وعددهم أربعماية وثمانية وعشرون
رسولا ولا يقبلون الا بعد بلوغ كل واحد منهم أربعين سنة ولا بد
ان يكون لكل واحد منهم عقارات تبلغ فردتها الف فرنك كل سنة *
وأما الوزراء فانهم متعددون فمنهم وزير الامور الداخلية ثم وزير الحرب
ثم وزير الامور الخارجية ثم وزير البحر والخارجين من بلاد الفرنسيس
النازلين ببلاد يعمرونها في غير بلاد الفرنسيس ثم وزير الخزينة ثم
وزير الامور الدينية ثم وزير تعليم الفنون والصنائع ثم وزير التجارات
ووزير الامور الداخلية نظير الكتخدا بصر مصر ووزير الخزينة نظير
الحازندار ووزير التجارات نظير ناظر التجارات ووزير الامور
الخارجية نظير رئيس أفتدي بالدولة العثمانية ووزير الحرب نظير ناظر

عموم الجهادية وهكذا غير أنه عندنا ليس وزيراً وعندهم يعدونه من الوزراء * وأما الديوان الخصوصي فانه تخصيص الملك لجماعة بمشورته اياهم على مادة مخصوصة والغالب على أهل هذا الديوان كونهم من أقاربه ووزرائه وأما ديوان سر الملك فانه يتألف من وزراء السر ومن أربعة وزراء آخر لهم وزارة مطلقة ثم جماعة من أرباب المشورة في الدولة وأما ديوان الدولة فانه يتألف ممن يعينه الملك من أقاربه من الوزراء التسعة الكائنين سر الدولة ثم من وزراء الدولة المطلقين ومن أرباب المشورة ومن جماعة وكلاء على التقارير ومن جماعة يستمعون للمشورة ليتعلموا تدبير الدول ومن ذلك يتضح لك أن ملك فرنسا ليس مطابق التصرف وإن السياسة الفرنسية هي قانون مقيد بحيث أن الحاكم هو الملك بشرط أن يعمل بما هو مذكور في القوانين التي برضى بها أهل الدواوين وإن ديوان البير يمانع عن الملك وديوان رسل العمارات يحامي عن الرعية والقانون الذي يمشي عليه الفرنسية الآن ويتخذونه أساساً لسياستهم هو القانون الذي ألفه لهم ملكهم المسمى لويس الثامن عشر بضم اللام وكسر الواو ولا زال متبعاً عندهم ومبرضاً لهم وفيه أمور لا ينكر ذووا العقول انها من باب العدل * والكتاب المذكور الذي فيه هذا القانون يسمى الشرطة ومعناها في اللغة اللاتينية ورقة ثم تسوخ فيها فأطلقت على السجل المكتوب فيه الاحكام المقيدة فلنذكره لك وإن كان غالب ما فيه ليس في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لتعرف كيف قد حكمت عقولهم بأن العدل والإنصاف من أسباب تعمير الممالك وراحة العباد وكيف انقادت الاحكام والروايا لذلك حتى غمرت بلادهم وكثرت معارفهم وتراكم غنائمهم وارتاحت قلوبهم فلا تسمع

فيهم من يشكو ظلماً أبداً والعدل أساس العمران ولنذكر هنا نبذة مما
قاله فيه العلماء والحكماء أو في ضده من كلام بعضهم ظلم اليتامى والايامى
مفتاح الفقر * والحلم حجاب الافات * وقلوب الرعية خزان ملكها
فما أودعه إياها وجده فيها * وقال آخر لاسلطان إلا برجال ولا رجال
إلا بمال ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل * وقيل فيما يقرب من
هذا المعنى سلطان الملوك على أجسام الرعايا لا على قلوبهم * وقال بعضهم
أبلغ الاشياء في تدبير المملكة تسديدها بالعدل وحفظها من الخلل وقيل
إذا أردت أن تطاع فأطلب مايستطاع ان المولى اذا كلف عبده مالا
يطيقه فقد أقام عذره في مخالفته * وقال بعضهم شعراً يفيد أن النصر
يتوقف على العدل

تروم ولاية الجور نصراً على العدا * وهيات يلقي النصر غير مصيب
وكيف يروم النصر من كان خلفه * سهام دعاء من قسي قلوب
وقال آخر

لا يفلح المغتال والظالم * والبغي مرعي نبتة وخيم
فمضجع الظالم بنس المضجع * ومصرع الباغى فبئس المصرع
أن القصاص واقع بالمثل * والدهر يجزي بيسير الفعل
وفي هذا القانون عدة مقاصد المقصد الاول (الحق العام للفراساوية)
الثاني كيفية تدبير المملكة * الثالث في منصب ديوان البير * الرابع (في
منصب ديوان رسل العمالات الذين هم أمناء الرعايا ونوابهم) الخامس
في منصب الوزراء) السادس في طبقات القضاة وحكمهم * السابع في
حقوق الرعية قال صاحب الشرطة المذكورة

﴿الكلام على حق الفرنساوية المنصوب لهم﴾

المادة الاولى سائر الفرنساوية مستوون قدام الشريعة (المادة
اثناية يعطون من أموالهم بغير امتياز شيئاً معيناً ليت المال كل إنسان
على حسب ثروته * المادة الثالثة كل واحد منهم متأهل لأخذ أي
منصب كان وأي رتبة كانت المادة الرابعة ذات كل واحد منهم مستقل
بها ويضمن له حريتها فلا يتعرض له انسان الا ببعض حقوق مذكورة
في الشريعة وبالصورة المعينة التي يطلبها بها الحاكم (المادة الخامسة كل
انسان موجود في بلاد الفرنسيس يتبع دينه كما يحب لا يشاركه أحد
في ذلك بل يعان على ذلك ويمنع من يتعرض له في عبادته * المادة
السادسة يشترط أن تكون الدولة على الملة القاثوليكية الحوارية الرومانية
(المادة السابعة تعمير كنائس القاثوليكية وغيرهم من النصرانية يدفع
لها شيء من بيت مال النصرانية ولا يخرج منه شيء لتعمير معابد غير
هذا الدين المادة الثامنة لا يمنع انسان في فرانس ان يظهر رأيه وأن
يكتبه ويطبعه بشرط أن لا يضر مافى القانون فاذا ضر ازيل (المادة
التاسعة سائر الاملاك والاراضي حرم فلا يتعدى احد على ملك آخر
(المادة العاشرة للدولة دون غيرها ان تكره انساناً على شراء عقاره
لسبب عام التفع بشرط ان تدفع ثمن المثل قبل الاستيلا) المادة الحادية
عشر جميع ماضي قبل هذا القانون من الآراء والفتن يجب نسيانه
وكذلك ماوقع من المحكمة واهل البلد (المادة الثانية عشر أخذ العساكر
قد يترتب وينقص عما كان عليه وقد يعين بقانون معلوم وضع عساكر
في البر والبحر

﴿ كيفية تدبير المملكة الفرنسية ﴾

المادة الثالثة عشر ذات الملك محترمة ووزراؤه هم الكفلاء في كل ما يقع يعني هم الذين يطالبون ويحكم عليهم ولا يمكن أن يمضي حكم الا اذا أنفذ أمر الملك المادة الرابعة عشر الملك هو أعظم أهل الدولة فهو الذي يأمر وينهى في عساكر البر والبحر وهو الذي يعقد الحرب والصالح والمعاهد والتجارة بين ملته وغيرها وهو الذي يولى المناصب الاصلية ويحدد بعض قوانين وسياسات ويأمر بما يلزم ويمضيه اذا كان فيه منفعة للدولة (المادة الخامسة عشر) تدبير أمور المعاملات بفعل الملك وديوان البير وديوان رسل العملات (المادة السادسة عشر يقرر الملك وحده جزاء القوانين ويأمر باعلانها واظهارها) المادة السابعة عشر يبعث القانون بأمر الملك الى ديوان البير أولا ثم الى ديوان رسل العملات الا قانون الجبايات والفردة فانه يبعث أولا الى ديوان رسل العملات (المادة الثامنة عشر تنفذ الدولة القانون اذا رضي به جمهور كل من الديوانين) المادة التاسعة عشر لا حد للديوانين أن يلتمس من الملك اظهار قانون في أمر كذا وان يبين له فائدة وضع ذلك القانون (المادة العشرون) يضع هذا القانون بأحد الديوانين في مجلس سري وما صنعه أحد الديوانين واستقر رأيه عليه يبعثه للديوان الآخر بعد التفكير عشرة أيام * المادة الحادية والعشرون اذا رضي الديوان الآخر بالقانون فانه يسوغ عرضه على الملك فاذا طرحه الديوان الآخر لا يمكن عرضه له أي لذلك الديوان مدة اجتماعه في هذه السنة * الثانية والعشرون للملك وحده هو الذي يأذن بالقانون ويظهر للرعية * الثالثة والعشرون

ماهية الملك محدودة له مدة مملكته على كيفية واحدة لا تزيد ولا تنقص
عن القدر المعين له عند توليه من مجلس ديوان البير يعني ديوان المشورة
الاولى الرابعة والعشرون ديوان البير هو جزء ذاتي لتشريع القوانين
التدبيرية الخامسة والعشرون يجتمع هذا الديوان ويفتح مدة أشهر
بأمر الملك في زمن واحد مع انفتاح ديوان رسل العملات فيفتحان معا
في يوم واحد ويفلقان كذلك (السادسة والعشرون لو اجتمع ديوان
البير قبل انفتاح ديوان رسل العملات أو قبل اذن ملك فرانسا كان سائر
الترتيب الصادر من هذا المجلس مدة الاجتماع بمَنوع الامضاء وملغيا السابعة
والعشرون تسمية الشخص بـير فرانسا هو حق الملك وعدد أهل ديوان
البير غير محدود وللملك أن يلقب البير بأي لقب كان وله أن يجعل ذلك
اللقب له مدة حياته وأن يجعله متوارثاً لذريته (الثامنة والعشرون يمكن
أن يدخل البير في الديوان وهو ابن خمسة وعشرين سنة ولا يبدي رأيه
في المشورة الا بعد بلوغه في السن ثلاثين سنة) التاسعة والعشرون
رئيس ديوان البير هو قاضي قضاة فرانسا مهر دار ملكها أي وزير
الخاتم ملكها فان اعتذر خلفه من أهل الديوان من يعينه الملك لذلك
الثلاثون أقارب الملك ودراريه يكون لهم الدخول في مرتبة البير به بمجرد
ولادتهم ويجلس كل منهم بعد رئيس ذلك الديوان ولا يكون لهم كلمة
ورأي في المجلس الا بعد بلوغهم في السن خمسة وعشرين سنة (الحادية
والثلاثون لا يمكن لاحد من أهل مجلس البير ان يدخل في ذلك الديوان
عند انفتاحه الا باذن من الملك بأن يبعث رسولا فان فعلوا ذلك كان
مافعل محضرتهم لاغياً الثانية والثلاثون كل اراء ديوان البير يجب كتبها
عن غيرهم اثلاثة والثلاثون ديوان الملك هو الذي يستقل بالقضاء على

الحياة في الدولة ونحوها من كل ما يضر الدولة مما هو مقرر في القوانين
(الرابعة والثلاثون) لا يمكن أن يقبض أحد على واحد من أهل ديوان البير
إلا بأمر ذلك الديوان ولا يمكن أن يحكم عليه غيرهم في مواد الجنايات

❖ ديوان رسل العمالات الذين هم وكلاء الرعية ❖

الخامسة والثلاثون ديوان رسل العمالات مؤلف من جملة رسل ينتمون
المنتخبون بكسر الحاء الذين يقال لهم اللكتور بكسر اللام المشددة
وسكون الكاف وترتيبها مصنوع بقوانين مخصوصة * السادسة والثلاثون
كل العمالات تبقى على ما هي عليه قبل هذه الشرطة من عدد ما لها من
الرسل * السابعة والثلاثون * من الآن فصاعدا تختار الرسل لتمكث
سبع سنوات لخمسة كما كانت * الثامنة والثلاثون * لا يصلح الإنسان
للدخول في ديوان الرسل إلا إذا بلغ أربعين سنة وكان له أملاك
يدفع عليها ألف فرنك فردة (التاسعة والثلاثون) لا بد أن يجمع
في كل عمالة خمسون ألف نفس موجود فيهم شرطا السن والملك
المذكور أن يختار الرسل منها فإن لم يكمل ممن يدفعون ألف فرنك
خمسون وجب تكميلها بما لهم أملاك يدفعون عليها دون ألف فرنك
ثم اختيار رسل من جملة الخمسين * الأربعون * شرط اللكتوراي
المنتخب للرسل أن لا يسمع إلا إذا كان له ملك يدفع فردته ثمانية فرنك
وإن يكون قد بلغ من العمر ثلاثين سنة * الحادية والأربعون * رؤساء
مجلس المنتخبين ينصبهم الملك فيدخلون في أهل هذا المجلس * الثانية
والأربعون * يجب أن يكون نصف رسل العمالات فصاعدا مستوطناً
عادة في تلك العمالة * الثالثة والأربعون * رئيس ديوان رسل العمالات

ينصبه الملك ويختاره من خمسة رسل يعرضهم ذلك الديوان (الرابعة والاربعون مجالس هذا الديوان تكون جهرية الا اذا أراد خمسة من رسل العملات كتم شيء فانه يجوز اخراج الناس الا جانب من الديوان * الخامسة والاربعون * الديوان ينقسم الى دواوين صغيرة تسمى البورو يعني مكاتب قاهل هذه البور وتمتحن الاشياء التي ينوبها الملك ويبعثها لها * السادسة والاربعون لا يقع تصليح شيء في آداب سياسات فرانسا ولا يمضي الا اذا رضي به الملك ويبحث فيه في تلك الدواوين الصغيرة السابعة والاربعون ديوان رسل العملات يتلقا تقارير طلب الفزد والمكوس ولا تصل الى ديوان البير الا اذا رضى بها ذلك الديوان * الثامنة والاربعون لا يمكن ان ينفذ أمر الملك في الفرد الا اذا رضى به الديوانان وأقره الملك (التاسعة والاربعون فردة العقار لا تقطع الاسنة فسنة ويمكن قطع غيرها لاجل معلوم * الخمسون على الملك أن يأمر بفتح الديوانين كل سنة ولكن متى أراد وله أن يبطل ديوان رسل العملات بشرط أن يصنع ديوان رسل جديد وأن لايزيد في تجديده الاخر عن ثلاثة أشهر * الحادية والخمسون لا يمكن أن يقبض أحد على انسان من أهل مجلس رسل العملات مدة فتح الديوان وشهرا قبل فتحه وشهرا ونصفا بعده الثانية والخمسون لا يمكن أن يتبع أحد من أعضاء الديوان بسبب مادة من مواد العقوبات مادام الديوان مفتوحا وما دام اجتماع الديوان الا اذا أخذه على فعله في وقته واذن الديوان بأخذه) الثالثة والخمسون عرض الحال الذي يعرض على احد الديوانين لا يقبل الا اذا كان مكتوبا واداب السياسة الفرنسية لا يجوز ان يقدم الانسان تقريرا في المجلس

﴿ الوزراء ﴾

المادة الرابعة والخمسون * يجوز ان يكون الوزير من أهل كل من الديوانين وله زيادة على ذلك حق الحضور في أحدهما ومتى طلب ان يتكلم في الديوان وجب ان يصنى الى كلامه * الخامسة والخمسون * يسوغ لديوان رسل العملات ان يتهم الوزراء فتسمع دعواه في ديوان الير ليحكم بينهم ذلك الديوان فيفصل خصومتهم السادسة والخمسون * لايتهم الوزير الا بخيانة في التدبير بالرشوة أو باختلاس الاموال فيحكم عليه على حسب ماهو مسطر في القوانين المختصة

﴿ طائفة القضاة ﴾

المادة السابعة والخمسون * الحكم حق الملك يعتبر كأنه صادر منه فيحكم القضاة المنصبون من الملك الذين لهم ماهية من بيت المال ويبتون الحكم باسم الملك اثامنة والخمسون * اذا ولي الملك قاضيا وجب أبقاؤه ولا يجوز عزله (التاسعة والخمسون * القضاء المنصبون وقت هدم الشرطة لا يمكن عزلهم ولو تجدد قانون آخر * الستون إقامة قضاء المعاملات لا يمكن أبطالها أبدا) الحادية والستون إقامة قضاء للمصالحة تبقى أيضا ولكن قاضي المصالحة يجوز عزله وان كان منصبة يأتي له من الملك (الثانية والستون لا شيء يخرج عن حكم هؤلاء القضاة) الثالثة والستون لا يسوغ بسبب ما تقدم تجديدهم أو مجالس زائدة الا بجمع قضاة النقبا يقال لهم بريوتال اذا احتاج الامر الى ذلك الرابعة والستون إقامة الدعوى واتشاجرتين الخصوم تقدم الحاكم الشرعي تكون على

رؤس الا شهاد في مواد العقوبات الا اذا كان الذنب مضر اشهاره .
 بين العامة او مخلا بالحياء فان أهل المحكمة يخبرون الناس . بأن هذا
 الامر يقع سرا * الخامسة والستون * اقامة المحكمين المسماة .
 جوربة الجنابات لا تبطل ابدا واذا لزم تغير بعض شيء في مواد القضا
 لا يمكن الا اذا كان بقانون من الديوانين (السادسة والستون * قانون
 معاقبة الانسان بالاستيلاء على ما تملكه يده قد أبطل بالكلية ولا يمكن
 تجديده أبداً) السابعة والستون * للملك أن يعفو عن الانسان وأن
 يخفف مواد العقوبات * الثامنة والستون كتب قوانين السياسات التي
 عليها العمل الغير المناقضة لما في هذه الشرطة لا يذبح حكم ما فيها إلا اذا
 تغير بقانون آخر *

﴿ حقوق الناس التي يضمنها الديوان ﴾

المادة التاسعة والستون كل أهل العسكرية سوى أصحاب خدمة
 دائمة أو متروكين لوقت الحاجة وكل النساء المتوفي عنهن أزواجهن
 وهم في العسكرية يبقى لهم مدة حياتهم وظيقتهم ودرجتهم وخرجتهم
 (السبعون ديون الرعية التي في ذمة الديوان هي مضمونة على حسب
 اصطلاح الدولة مع أرباب الديوان) المادة الحادية والسبعون لم يفضل
 لأهل الشرف القديم من درجات الشرف الا الاسم فقط وكذلك لأرباب
 الشرف الجديد ثم للملك فرانساً أن يعطي درجة الشرف الفرانساوى
 لأي إنسان شاء ولكن ليس له أن يخص من يعطيه ذلك برفع الفرد
 ونحوها عنه فليس للشرف مزية غير التسمية * اثانية والسبعون من له
 علامة التميز المسماة درجة الشوالية يعني الفارس في فنه فان له أن يحفظها .

على الصورة التي يعينها ملك فرنسا لهذه الدرجة * الثالثة والسبعون * القبائل والنزلات الخارجة من فرنسا لتعمير بلاد أخرى وللاستيطان بها تكون مدبرة بقوانين وسياسات أخرى * الرابعة والسبعون * لكل ملك من ملوك فرنسا أن يحلف عند تولية المملكة الفرنسية أن لا يجيد عن هذه الشرطة ثم إن هذه الشرطة قد جعل فيها تغيير وتبديل من منذ الفتنة الأخيرة الحاصلة سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة والف بتاريخ الميلاد فراجعها في باب قيامه الفرنسية وطلبهم للحرية والمساواة انتهى فإذا تأملت رأيت أغلب ما في هذه الشرطة نفيساً وعلى كل حال فأمره نافذ عند الفرنسية ولندكر هنا بعض ملاحظات فنقول * قوله في المادة الأولى سائر الفرنسيين مستوون قدام الشريعة معناه سائر من يوجد في بلاد فرنسا من رفيع ووضيع لا يختلفون في إجراء الأحكام المذكورة في القانون حتى أن الدعوة الشرعية تقام على الملك وينفذ عليه الحكم كغيره فانظر الى هذه المادة الأولى فانها لها تسلط عظيم على إقامة العدل وإسعاف المظلوم وإرضاء خاطر الفقير بأنه العظيم نظراً الى إجراء الأحكام ولقد كادت هذه القضية أن تكون من جوامع الكلم عند الفرنسية وهي من الأدلة الواضحة على وصول العدل عندهم الى درجة عالية وتقدمهم في الآداب الحاضرة وما يسمونه الحرية ويرغبون فيه هو عين ما يطلق عليه عندنا العدل والانصاف وذلك لان معنى الحكم بالحرية هو إقامة التساوي في الأحكام والقوانين بحيث لا يجوز الحاكم على انسان بل القوانين هي المحكمة والمعتبرة فهذه البلاد حرية بقول الشاعر

وقد ملأ العدل أقطارها * وفيها توالي الصفا والوفا

وبالجملة اذا وجد المعدل في قطر من الاقطار فهو نسبي اضافي
للمعدل كلي حقيقى فانه لا وجود له الآن في بلدة من البلدان فانه
كالايمان الكامل والحلال الصرف وأمثال ذلك ونظائره فلا معنى لحصر
المستحيل في الغول والعنقاء والخل الموفي كما هو مذکور في قوله

لما رأيت بني الزمان وما بهم * خل وفي للشدايد اصطفى
أيقنت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الموفي

مع أن ذلك ممنوع في العنقاء فانها نوع من الطيور موجود الافراد
يذكره أرباب علم الحشائش وذكر الثعلبي في قصص الانبياء قضية
العنقاء مع سيدنا سليمان في تكذيبها بالقدر نعم لا وجود للعنقاء بالمعنى
المشهور عند العامة من العرب والافرنج من أنها من أعلاها عقاب ومن
أسفلها أسد وعلى كل حال فلها في الجملة وجود * وأما المادة الثانية
فانها محض سياسة ويمكن أن يقال ان الفرد ونحوها لو كانت مرتبة في
بلاد الاسلام كما هي في تلك البلاد لطابت النفس خصوصاً اذا كانت
الزكوات والنفى والغنيمة لاننى بحاجة بيت المال أو كانت ممنوعة بالكلية
وربما كان لها أصل في الشريعة على بعض أقوال مذهب الامام الاعظم
ومن الحكم المقررة عند قدماء الحكماء الخراج عمود الملك ومدة اقامتي
بباريس لم أسمع أحداً يشكو من المكوس والفرد والحيايات أبداً ولا
يتأثرون بحيث أنها تؤخذ بكيفية لا تضر المعطي وتنفع بيت مالهم خصوصاً
وأصحاب الاموال في أمان من الظلم والرشوة * وأما المادة الثالثة فلا
ضرر فيها أبداً بل من مزايها أنها تحمل كل انسان على تعهد تعلمه
حتى يقرب من منصب أعلى من منصبه وبهذا كثرت معارفهم ولم يقف
عندهم على حالة واحدة مثل أهل الصين والهند ممن يعتبر توارث الصنائع

والحرف ويبقى للشخص دائماً حرفة أبيه وقد ذكر بعض المؤرخين أن
مصر في سالف الزمان كانت على هذا المنوال فان شريعة قدماء القبط
كانت تعين لكل إنسان صنعة ثم يجعلونها متوارثة عنه لأولاده قيل
سبب ذلك أن جميع الصنائع والحرف كانت عندهم شريفة فكانت هذه
العادة من مقتضيات الاحوال لانها تعين كثيراً على بلوغ درجة الكمال
في الصنائع لان الابن يحسن عادة مارأى أباه بفعله عدة مرات بحضرته
ولا يكون له طمع في غيره فهذه العادة كانت تقطع عرق الطمع وتجعل
كل إنسان راضياً صنعه لا يتمنى أعلى منها بل لا يبحث الا عن اختراع
أمور جديدة نافعة لحرفته توصل الى كمالها انتهى ويرد عليه انه ليس
في كل انسان قابلية لتعلم صنعة أبيه فقصره عليها ربما جعل الصغير خائباً
في هذه الصنعة والحال انه لو اشتغل بغيرها لتجبح حاله وبلغ أماله *
وأما المادة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فانها نافعة لاهل البلاد
والغرباء فلذلك كثر أهل هذه البلاد وعمرت بكثير من الغرباء * وأما
المادة الثامنة فانها تقوى كل انسان على أن يظهر رأيه وعلمه وسائر
ما يخطر بباله بما لا يضر غيره فيعلم الانسان سائر ما في نفس صاحبه خصوصاً
الورقات اليومية المسماة بالجرنالات والكازيطات الاولى جمع جرنال
والثانية جمع كازيطة فان الانسان يعرف منها سائر الاخبار المتجددة
سواء كانت داخلية أو خارجية أي داخل المملكة أو خارجها وان كان
قد يوجد فيها من الكذب مالا يحصى إلا أنها قد تتضمن أخباراً تتشوف
نفس الانسان الى العلم بها على أنها بما تضمنت مسائل علمية جديدة
التحقيق أو تنبيهات مفيدة أو نصائح نافعة سواء كانت صادرة من الجليل
أو الحقير لانه قد يخطر ببال الحقير مالا يخطر ببال العظيم كما قال بعضهم

لا تحقر الرأي الجليل يأتيك به الرجل الحقير فان الدرة لا تستهان
لهوان غواصها وقال الشاعر

لما سمعت به سمعت بواحد * ورأيت فاذن هو الثقلان

فوجدت كل الصيد في جوف الفرا * ولقيت كل الناس في انسان

ومن فوائدها ان الانسان اذ فعل فعلا عظيما او ردثا وكان من
الامور المهمة كتبه أهل الجرنال ليكون معلوما للاخص والعام لتزغيب
صاحب العمل الطيب ويرتدع صاحب الفعلة الخبيثة وكذلك اذا كان
الانسان مظلوما من انسان كتب مظالمه في هذه الورقات فيطلع عليها
الخاص والعام فيعرف قصة المظلوم والظالم من غير عدول عما وقع فيها
ولا تبديل وتصل الى محل الحكم ويحكم فيها بحسب القوانين المقررة
فيكون مثل هذا الامر عبرة لمن يعتبر وأما المادة التاسعة فانه عين العدل
والانصاف وهي واجبة لضبط جور الاقوياء على الضعاف وتعتيقها بما في
العاشر من باب اللياقة الظاهرة * وفي المادة الخامسة عشر نكتة لطيفة
وهي ان تدبير أمر المعاملات لثلاثة مراتب المرتبة الاولى الملك مع
وزرائه والثانية مرتبة البيرية الحماية للملك والثالثة مرتبة رسل العملات
الذين هم وكلاء الرعية والمحابون عنهم حتى لا تظلم من أحد وحينما كانت
رسل العملات قائمة مقام الرعية ومتكلمة على لسانها كانت الرعية كأنها
حاكمة نفسها وعلى كل حال فهي مانعة للظلم عن نفسها بنفسها أو هي آمنة
منه بالكلية ولا يخفى عليك حكمة باقي المواد

خلاصة حقوق فرنساوية الان بعد سنة ١٨٣٨ وتصلح الشرطة

بحقوق فرنساوية الواجبة لهم والواجبة عليهم

مضمون الشرطة بعد التغيير

الفرنساوية مستوون في الاحكام على اختلافهم في العظم والمنصب والشرف والغنا فان هذه مزايا لانفع لها في الاجتماع الانساني والتحضر فقط لا في الشريعة فلذلك كان جميعهم يقبل في المناصب العسكرية والبلدية كما انه يعين الدولة من ماله على قدر حاله وقد ضمنت الشريعة لكل انسان التمتع بحريته الشخصية حتى لا يمكن القبض على انسان الا في الصور المذكورة في كتب الاحكام ومن قبض على انسان في صورة غير منصوصة في الاحكام يعاقب عقوبة شديدة ومن الاشياء التي ترتبت على الحرية عند الفرنسية ان كل انسان يتبع دينه الذي يختاره يكون تحت حماية الدولة ويعاقب من تعرض لعبادة في عبادته ولا يجوز وقف شيء على الكنائس أو إهداء شيء لها الا باذن صريح من الدولة وكل فرنساوي له أن يبدي رأيه في مادة السياسات أو في مادة الاديان بشرط أن لا يخل بالانتظام المذكور في كتب الاحكام * كل الاملاك على الاطلاق حرم لاهلك فلا يكره انسان أبدا على إعطاء ملكه الا لمصلحة عامة بشرط أخذ قبل التخليه قيمته والمحكمة هي التي تحكم * بذلك كل انسان عليه ان يعين في حفظ الملكية العسكرية بشخصه بمعنى أنه كل سنة يجمع أولاد إحدى وعشرين سنة لتضرب القرعة لاخذ العساكر السنوية منهم ومدة خدمة العسكرية ثمان سنوات وكل فرنساوي عمره ثمانية عشر سنة وله حقوقه البلدية فانه يمكنه ان يتطوع ويدخل العسكرية ويعافى من العسكرية عدة أناس الاول من طوله دون متر وخمسة وسبعون سنتا يعني أربعة أقدام وعشرة برامق * الثاني أصحاب العلل * الثالث الابن أكبر الاخوات الايتام من أبيهم وأمهم * الرابع الابن البكري أو المنفرد أو ابن الابن الأكبر أو المنفرد عند فقده اذا كانت

الام أو الجدة لزوج لها أو كان أبوه أعمى أو سنه سبعين سنة *
 الخامس البكري أحدا لاخوين الذين وقعا في قرعملة واحدة * السادس
 الاخ الذي أخوه فاضل تحت البيرق أو مات في الخدمة أو جرح بجرح
 في الحرب * ولو أراد انسان أن ينوب عنه غيره فان المنوب عنه يضمن
 النائب سنة من خوف الهرب الا اذا كان الهارب قبض عليه في السنه أو مات
 تحت بيرق الفرنساوية وفي أحد وعشرين في شهر ديسمبر من كل سنة
 كل العساكر التي تمت خدمتهم ياذن لهم بالعود الى محالهم ولما كان لا يمكن
 لكل انسان ان يدخل بنفسه في عمل الدولة وكالت الرعية بتمامها في ذلك
 أربعماية وثلاثين وكيلا تبعها الى باريس في المشورة وهؤلاء الكلاء تختارهم
 الرعية وتوكلهم بان يمانعوا عن حقها ويصنعوا ما فيه مصلحة لها وذلك ان كل
 فرنساوي مستكمل للشروط التي منها ان يكون عمره خمسة وعشرين سنة
 له ان يكون ممن له مدخل في انتخاب رسل عمالاته * وكل فرنساوي له ان
 يكون رسولا اذا كان عمره ثلاثين سنة ويكون موصوفا بالشروط المذكورة
 في كتاب الاحكام * وفي كل مأمورية مجمع اختبار وانتخاب ومجامع
 انتخاب للاقاليم الصغيرة ومجامع المأموريات الكبيرة مؤلفة من المنتخبين
 الكبار وتعين ١٧٢ رسولا ومجامع انتخاب الاقاليم الصغيرة تعين ٢٥٨
 رسولا ودقاتر أرباب الانتخاب تطبع وتكتب في الطرق شهرا قبل
 فتح مجامع الانتخاب حتي انه يمكن لكل انسان أن يكتب أعلاما به
 وكل منتخب بكسر الحاء يكتب رأيه سرا في ورقة ويعطيها للرئيس
 مطوية والرئيس يضعها في أثناء القرعة وديوان رسل العمالات يتجدد
 أهله بالكلية كل خمس سنوات ولا يمكن أخذ الفرد الا بخلصة من
 مشورة الديوانين مقرررة من طرف الملك يمكن لاهل البلدان أن يرسلوا

أهل الدوائن بطرق المرضحول يشتكوا من شيء أو يعرضوا شيئاً نافعاً
القضاة لا يتمزلون فلا يحكم على انسان الا بقضاة محل استيظانه* والدعاوي
تقام جهرا وذنوب الجنائيات لا يحكم فيها الا بحضور جماعة يسمون
الجوريين والعقوبة بالقبض على الاموال بطلت، للملك أن يعفو عن
المعاقب بالموت وأن يخفف العقاب الشديد* على الملك وورثته أن
يحافوا عند ارتقاء الكرسي بان يعملوا بما في كتاب قوانين المملكة*
ثم أنه يطول علينا ذكر الاحكام الشرعية أو القانونية المنصوبة عند
الفرنساوية فلنقل أن أحكامهم القانونية ليست مستنبطة من الكتب
الساوية انما هي مأخوذة من قوانين أخر غالبا سياسية وهي مختلفة
بالكلية عن الشرائع وليست قارة الفروع ويقال لها الحقوق الفرناوية
أي حقوق الفرناوية بعضهم على بعض وذلك لان الحقوق عند الافرنج
مختلفة ثم أن بباريس عدة محاكم وفي كل محكمة قاض كبير كانه قاضى
القضاة وحوله رؤساء وأرباب مشورة ووكلاء الخصوم ومحامون للخصوم
ونواب عن المحامين وموقع الوقائع

❦ الفصل الرابع في عادة سكني أهل باريس وما يتبع ذلك ❦

من المعلوم أن البلدة أو المدينة تبلغ من الحضارة على قدر معرفتها وبعدها
عن حالة الخشونة والتوحش والبلاد الافرنجية مشحونة بأنواع المعارف
والآداب التي لا ينكر انسان أنها تجلب الانس وتزين العمران وقد
تقرر أن الملة الفرناوية ممتازة بين الامم الافرنجية بكثرة تعلقها بالفنون
والمعارف فهي أعظم أدبا وعمرانا والبنادر أولى في العمارات عادة من
القرى ومن الضياع والمدن العظمى أولى من سائر البنادر وتحت المملكة

أولى من سائر ماعداها من مدن تلك المملكة فينئذ لا عجب ان قيل ان باريس التي هي قاعدة ملك الفرنسيين من أعظم بلاد الفرنج بناء وعمارة وان كانت عماراتها غير جيدة المادة فهي جيدة الهندسة والصناعة على أنه ربما يقال أيضاً أن مادتها جيدة الا أنها ناقصة لقلة كثرة حجر الرخام فيها وبخلوها عن بعض أشياء آخر وكيف لا وأساس حيطانها من أحجار النحاته وكذلك الحيطان الخارجية وأما الداخلية فانها تتخذ من الخشب الحديد في الغالب وأما عواميدها فهي غالباً من النحاسة فقل ان كانت من الرخام كما ان تبليط الارض يتخذ من حجر البلاط وقد يكون من الرخام الاسود مع البلاط وذلك ان الطرق دائماً مبلطة دائماً بحجر البلاط المربع والحيشان مبلطة بالبلاط المذكور والقيعان بالآجر او بالخشب او بالمرمر الاسود مع البلاط المشغول وجودة الحجر او الخشب تختلف باختلاف يسار الانسان ثم ان حيطان الغرفات والارض من خشب كما تقدم وهم يطولونه بالطلاء ثم يسترون الحيطان بورق منقوش نقشا نظيفاً فهو احسن من عادة تبييض الحيطان بالجير فان الورق لا يعود منه شيء على من مس الجدار بخلاف الجير بل وهو اهون مصرفاً واعظم منظر او اسهل فعلاً خصوصاً في اوضاعهم المزينة بأنواع من الامتعة التي لا يمكن الافصاح عنها غاية ما يقال ان الفرنسيون يحاولون اضعاف نور الارض بوضع الستائر الملونة خصوصاً الخضراء وارض اوضاعهم مبلطة بخشب او بنوع من القرميد الاحمر ويحكون ارض الاوضة كل يوم بالشمع الاصفر المسمى عندهم شمع الحك وعندهم حكاً كون بالاجرة معدونه لذلك بالخصوص وتحت أسرتهن المكسوة بالخيشات وبالمسجرات وغيرها سجادات عظيمة يطؤونها بالنعال وفي كل اوضة مدخنة للنار وهي على شكل صفة القفل

مرحلة بجيد الرخام وفوقها ساعة بشتخته وحول الساعة من
الجهتين آنية من تقليد الرخام الأبيض أو من البلور فيهما أزهار
أو تقليد أزهار وحول هذا من الجهتين من القناديل الافرنجية
الدولابية التي لا بدرك صورتها حقيقة الا من رآها موقودة وفي غالب
أوضاعهم آلة الموسيقى المسماة البيان بكسر الباء وضم النون فاذا كانت الاوضة
أوضة شغل وقراءة ففيها طاولة مشتملة على آلات الكتابة وغيرها مثل
سكاكين قطع الورق المصنوعة من العاج أو البقس أو غيرها وأغلب
الاوض مشحون بالصور خصوصا صور الاقارب وفي أوضة الشغل
أيضا قد توجد صور عجيبة وأشياء من غرائب ما كان عند القدماء على
اختلافهم وربما رأيت على طوالة الشغل أوراق الوقائع على اختلاف
أجناسها وربما رأيت أيضا في أوض الاكابر النجفات العظيمة التي توقد
بشموع العسل وربما رأيت أيضا في أوضاعهم في يوم تاتي الناس طوالة
وعليها جميع الكتب المستجدة والوقائع وغيرها لتسليته من أراد من
الضيوف ان يسرح ناظره وينزه خاطره في قراءة هذه الاشياء وهذا
يدل على كثرة اهتمام الفرنسيين بقراءة الكتب فهي أنسهم ومن التوقيعات
اللطيفة الكتاب وعاء مليء علما وظرف حشى ظرفا ومن لك بروضة
تقلب في حجر وبستان يحمل في كم وما أحسن قول بعضهم شعرا

دفتري مولسي وفكري سميري * ويدي خادمي وحلمي ضجيجي
ولساني سبني وبطشي قريضي * ودواتي عيشي ودرجي ربيعي

وقال

لنا جلساء ما يمل حديثهم * الباء مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علم ماضي * وعقلا وتأديبا ورأيا مسبدا

فان قلت أمواتا فما أنت كاذب * وان قلت أحياء فلست مفقدا
ومن كلام بعضهم * نعم المحدث الدقير * ومن كلام بعض الظرفاء *
مارأيت باكيا أحسن تبسما من القلم ثم ان جميع هذه التحف يكمل
الانس بها بحضور سيدة البيت أي زوجة صاحبه التي تحيي الضيوف
أصالة وزوجها يحيمهم بالتبعية فاین هذه الاوض بما احتوت عليه من
اللطائف من أوضنا التي يحيي فيها الانسان باعطا شبق الدخان من يد
خادم في الغالب اسود اللون وأما السقوف فانها من الخشب النفيس
ثم ان البيت في العادة مصنوع من أربع طبقات بعضها فوق بعض ماعدا
البناء الارضى فلا يحسب دورا وقد يصل الى سبعة أدوار وغيرها تحت
الارض من المخادع التي تستعمل أيضاً لربط الحبل أو المطبخ أو ذخائر
البيت وخصوصا النبيذ والخشب للوقود ثم ان البيت عندهم كما في بيوت
القاهرة مشتمل على عدة مساكن مستقلة ففي كل دور من أدوار البيت
جملة مساكن وكل مسكن متنافذ الاوضات وقد جرت عادتهم بتقسيم
اليوت الى ثلاثة مراتب المرتبة الاولى بيت عادي والثانية بيت لاحد من
الكبار والثالثة بيوت الملك وأقاربه ودواوين المشورة ونحوها فالاول
يسمى يتسا والثاني يسمى داراً والثالث يسمى قصراً أو سراية ويمكن
أيضاً تقسيم اليوت من حيثية أخرى الى ثلاثة مراتب أيضاً المرتبة
الاولى اليوت التي لها حاجب ولها باب كبير يسع دخول العربية منه
والثانية اليوت التي داخلها دها ليزولها بواب ولا يمكن أن تدخل العربية
من بابها والثالثة اليوت التي لا بواب لها أي لا مكان للبواب فيها يسكن
فيه ووظيفة البواب في باريس ان ينتظر الساكن الى نصف الليل فإذا
أراد الساكن ان يسهر في المدينة زيادة عن نصف الليل فعليه ان ينبه

البواب لينتظره ولكن لا بد ان يعطيه بعض شيء وليس على الحارات
بواب أصلا وليس لها أبواب كما في مصر ثم ان العقارات بباريس غالية
التمن والكرا حتى ان الدار العظيمة قد يباع ثمنها مليون فرنك يعنى نحو
ثلاثة ملايين قروش مصريه ثم ان كرا المساكن في باريس قد يكون
لمجرد المسكن وقد يستأجرها الانسان بفراشها العظيم وجميع أثاثها وآلاتها
وآلات البيت عند الفرنسيين هي آلات الطباخة والمأككل باجمعها بطقمها
المشتمل على الفضيّات ونحوها وآلة الفراش للنوم وهو في الغالب عدة
طراحت احداها من الريش وملاية فرشه تتغير كل شهر وحرامات
الغطائم آلات التجميل وتلقى الزوار وهي الكراسي المكسوة بالحرير
المشغول ونحوه والسدلات المكسوة كذلك والكراسي العادية والآلات
العظيمة المنظر كالساعات الكبيرة المسماة عندهم بنيدول وكاواني
الازهار العظيمة وغيرها من أواني القهوة المموهة بالذهب وكالنجفة
المعلقة التي تتقد بالشموع المكررة وتخزانة الكتب التي لها باب من
القراز يظهر منه ما فيها من الكتب جيدة التجليد وكل انسان له خزنة
كتب سواء الفنى والفقر حيث أن سائر العامة يكتبون ويقرؤون والغالب
أن الرجل ينام في أوضة غير الذي تنام فيها زوجته اذا تقدم الزواج ومن
العوائد التي لا بأس بها أن قصر ملك فرانس وقصور أقاربه تنفتح حين
خروج السلطان وأقاربه كل سنة الى الإقامة في الحلاء مدة أشهر فيدخل
سائر الناس للفرجة على بيت الملك وأقاربه فيرون أثاث البيت وسائر
الاشياء الغريبة ولكن لا يدخل أحد الا بورقة مطبوعة مكتوب فيها
الاذن بدخول شخص أو شخصين أو أكثر وهذه الورقة توجد عند
كثير من الناس فاذا طلبها الانسان ممن يعرفه أعطاها له فترى في

البيت ازدحاما عظيما للفرجة على جميع ما في حريم الملك وأقاربه وقد دخلت ذلك عدة مرات فرأيت من الامور العجيبة التي ينبغي التفرج عليها وفيه كثير من الصور التي لا تمتاز عن الناس الا بعدم النطق وفيه مصور كثير من ملوك فرانسا وغيرهم وكل أقارب السلطنة وكل الاشياء الغريبة وأغلب الاشياء الموجودة في حريم السلطنة مستحسنة من جملة جودة صناعتها لانفاستها بالمادة مثلا سائر الفراش كالكراسي والاسرة حتى كراسي المملكة مشغولة شغلا عظيما بالقصب الخيش ومطوية بالذهب الا أنه لا يوجد بها كثير من الاحجار الكريمة كما يوجد ببلادنا بيوت الامراء الكبار بكثرة فبنى أمور الفرنساوية في جميع أمورهم على التجميل لاعلى الزينة واظهار الغنا والتفاخر ثم سائر الاغنيا بباريس تسكن في الشتا في نفس المدينة وقد اسلفنا في ذكر طبيعة اقليم باريس أن كل بيت به مداخن تتقد فيها النيران في القيعان والاوز واما مدة الحرقان من له يسار يسكن في الحلالان القصور بالحلا أسلم هواء من داخل المدينة ومن الناس من يسافر في بعض بلاد فرانسا أو ما جاورها من البلاد ليستنشق رائحة البلاد الغربية ويطلع على البلاد ويعرف عوائد أهلها خصوصا من مدة من السنة تسمى عندهم مدة التعطيل أو مدة الفراغ يعني البطالة حتى النساء فانهن يسافرن وحدهن أو مع رجل يتفق معهن على السفر ويتفقن عليه مدة سفره معهن لان النساء أيضا متولعات بحب المعارف والوقوف على أسرار الكائنات والبحث عنها أو ليس انه قد يأتي منهن من بلاد الافرنج الى مصر ليري غرائبها من الاهرام والبرابي وغيرها فهن كالرجال في جميع الامور نعم قد يوجد منهن بعض نساء غنيات مستورات الحال يمكن من أنفسهن الاجني وهن غير متزوجات

فيشعرون بالحمل ويخشين على الفضيحة بين الناس فيظهرون السفر لجرد
السياحة أو لمقصد آخر ليلدن ويضعن المولود عند مرضع باجرة خاصة
ليتربي في البلاد الغربية ومع هذا الامر فليس بشائع وبالجملة ما كل بارقة
تجود بمائها ففي نساء الفرنساوية ذوات العرض ومنهن من هي بضد ذلك
وهو الاغلب لاستيلاء فن العشق في فرانس على قلوب غالب الناس
ذكورا واناثا وعشقهم معلل لانهم لا يصدقون بانه يكون لغير ذلك الا
انه قد يقع بين الشاب والشابة فيعقبه الزواج ومما ينبغي أن يمدح به
الفرنساوية نظافة بيوتهن من سائر الاوساخ وان كانت بالنسبة لبيوت
أهل الفلمنك كلاً شيء فان أهل الفلمنك أشد جميع الامم نظافة ظاهرة
كما أن أهل مصر في قديم الزمان كانوا أيضاً اعظم أهل الدنيا نظافة ولم
يقلدهم زرارهم وهم القبط في ذلك وكما أن باريس نظيفة فهي خالية أيضاً
من السميات بل ومن الحشرات فلا يسمع بان انسانا فيها لدغته عقرب
أبدا وتعهدهم فرنساوية تنظيف بيوتهم وملابسهم أمر عجيب وبيوتهم
دائماً مفرحة بسبب كثرة شبابيكن الموضوعة بالهندسة وضعا عظيما يجلب
النور والهوا داخل البيوت وخارجها وظرفات الشبابيك دائماً من القزاز
حتى اذا أغلقت فان النور لا يحجب أصلاً وفوقها دائماً الستائر للنفى والفقير
كما أن ستائر الفرش التي هي نوع من الناموسية غالباً لسائر أهل باريس

❖ الفصل الخامس في أغذية أهل باريس وفي عاداتهم في المآكل والمشرب ❖

اعلم أن قوت أهل المدينة هو الحنطة وهي في الغالب صغيرة الحبوب
الا اذا كانت منقولة من البلاد الغربية فيطحنونها في طواحين الهوا
والماء ويخزنونها عند الفران فيباع الخبز في دكانه وسائر الناس لها ترتيب

يومي تشتريه من الحجاز وعلة ذلك توفير الزمان والاقتصاد فيه لان سائر الناس مشغولون في أشغال خاصة فصناعة العيش في البيوت تشغلهم ثم أن المحتسب يأمر الحجازين أن يكون عندهم كل يوم من العيش ما يكفي المدينة وفي الحقيقة لا يمكن فقد العيش أبداً بمدينة باريس بل ولا فقد غيره من أمور الاغذية وادم أهل هذه المدينة اللحوم والبقول والخضروات والالبان والبيض وغيرها والغالب تعدد الاطعمة ولو عند الفقراء ثم ان المذابج عندهم تكون بأطراف المدينة لا داخلها ووحكمة ذلك أمران دفع الوحش ودفع أضرار البهائم اذا انفطت وكيفية الذبح تختلف عندهم * فأما ذبح الضأن فانه أهون من ذبح غيره فانهم ينفذون السكين وراء زوره يعني بين زوره ورقبته ثم يقطعونه بعكس ما نفعل وأما ذبح المعجول فانه مثله وأما الثيران فانهم يضربونها بمقامع من حديد في وسط رأسها فيدوخ من عظم الحنيط ثم يكررون ذلك حركات فيقطع الثور النفس مع بقاء الحركة ثم يذبحونه كما تقدم من ذبح الضأن ولقد بعثت خادماً لي مصرياً الى المذبح ليذبح ما اشتري منه كما هو عادتي فلما رأى معاملة الثيران بمثل ذلك الامر البشع جاء يستجير ويحمد الله تعالى حيث لم يجعله ثوراً في بلاد الافرنج والالذاق العذاب كالثيران التي رآها والمعجول والثيران تكون من البقر إذ لا وجود للمجواميس بهذه البلاد إلا للفرجة وأما ذبح الطيور فانهم يذبحونها على أنواع مختلفة من الذبح فمنهم من يصنع فيها كالغنم ومنهم من يقطع لسان الطائر ومنهم من يخنقه بفتلة خيط ومنهم من يذبحه من قفاه الى غير ذلك وأما الارانب فانها لا تذبح أبداً بل تخنق ليحقن فيها دمها وأما خبز الحنايز فلم أره لان له مذبجاً مخصوصاً والظاهر إنهم يصنعون بها

كالمجول ثم من الامور التي بها راحة للناس بمدينة باريس محال الاكل
المسماة الرسطراطوري اللوكنجه فانها مستوفية لما يجده الانسان في
بيته بل أعظم وقد يجد الانسان ما يطلبه حاضراً وفي هذه الرسطراطور
غرف لطيفة متعددة مستوفية لآلات البيوت وربما يوجد فيها محال
للنوم مفروشة بأعظم الفراش وكما يوجد في الرسطراطور أنواع المأكول
والمشارب يوجد فيها أنواع الفواكه والنقل وعادة الفرنسية الاكل
في طباق كالطباق العجمية أو الصينية لا في آنية النحاس أبداً ويضعون
على السفرة دائماً قدام كل انسان شوكة وسكيناً وملعقة والشوكة والملعقة
من الفضة ويرون أن من النظافة أو الشلينة أن لا يمس الانسان الشيء
بيده وكل إنسان له طبق قدامه بل وكل طعام له طبق وقدام الانسان
قدح فيصب فيها ما يشربه من قزازة عظيمة موضوعة على السفرة ثم
يشرب فلا يتعدى أحد على قدح الآخر فأواني الشرب دائماً من البلور
والزجاج وعلى السفرة غدة أواني صغيرة من الزجاج أحدها فيه ملح
والآخر فيه فلفل وفي الثالث خردل الى آخره وبالجملة قاذبات سفرتهم
وترتيبها عظيم جداً وابتداء المائدة عندهم الشورية واختتامها الحلويات
والفواكه والغالب في الشراب عندهم النبيذ على الاكل بدل الماء وفي
الغالب خصوصاً لا كبر الناس يشرب من النبيذ قدراً لا يسكر به أبداً
فان السكر عندهم من العيوب والذائل وبعد تمام الطعام ربما شربوا
شيئاً يسيراً من العرق ثم انهم مع شربهم من هذه الخمر لا يتغزلون بها
كثيراً في أشعارهم وليس لهم أسماء كثيرة تدل على الخمر كما عند
العرب أصلاً فهم يتلذذون بالذات والصفات ولا يتخيلون في ذلك معاني
ولا تشبيهات ولا مبالغات نعم عندهم كتب مخصوصة متعلقة بالسكاري

وهي هزليات في مدح الحمرة لا تدخل في الادبيات الصحيحة في شيء أصلاً ويكثر في باريس شرب الشاي عقب الطعام لأنهم يقولون انه هاضم للطعام ومنهم من يشرب القهوة مع السكر وفي عوائد أغلب الناس أن يفتنوا الخبز في القهوة المخلوطة باللبن ويتعاطونها في الصباح وإذا أردت بعض شيء يتعاق بالمأكول والمشرب فراجع فصل المأكول والمشرب في ترجمتنا كتاب قلائد المفاخر ثم ان الغالب أن ما يقطعه أهل هذه المدينة من الماء كل والمشارب كل سنة يكون هذا تقريبه فمن الخبز أبلغ من خمسة وثلاثين مليون فرنك ومن اللحوم تأكل نحو واحد وثمانين ألف ثور وأربعمائة وثلاثين ثوراً ومن البقر نحو ثلاثة عشر ألف بقرة. ومن الضأن أربعمائة وسبعين ألف كبش ومن الخنازير الوحشية والاهلية نحو مائة ألف خنزير ومن السم نحو عشرة ملايين افرنك. ومن البيض نحو خمسة آلاف فرنك ومن غرائب الاشياء أن فيها التحيل على عدم عفونة الاشياء التي من شأنها العفونة فمن ذلك ادخار اللبن بكيفية خاصة خمسة سنين من غير تغير وادخار اللحم طريا عشرة سنوات وادخار الفواكه لوجودها في غير أوانها ومع كثرة تفننهم في الاطعمة والفظورات ونحوها فطعامهم على الاطلاق عديم اللذة ولا حلاوة صادقة في فواكه هذه المدينة الا في الخوخ وأما خاراتها فانها لا تحصى فما من خارة إلا وهي مشحونة بهذه الحمارات ولا يجتمع فيها الا أراذل الناس وحرافيشهم مع نسائهم ويكثرون الصياح وهم خارجون منها بقولهم ما معناه الشراب الشراب ومع ذلك فلا يقع منهم في سكرهم اضرار أصلاً وقد اتفق لي ذات يوم وأنا مارٌّ في طريق باريس أن سكرانا صاح قائلاً ياتركي ياتركي وقبض بثيابي وكنت قريباً من دكان يباع فيه

السكر ونحوه فدخلت معه وأجلسته على كرسي وقلت لرب الخانوت على سبيل المزح هل تريد أن تعطيني ثمن هذا الرجل سكرًا أو نقلا فقال صاحب الخانوت ليس هنا مثل بلادكم يجوز التصرف في النوع الانساني فما كان جوابي له الا أنني قلت ان هذا الشخص السكران ليس في هذا الحال من قبيل الادميين وهذا كله والرجل جالس على الكرسي ولا يشعر بشيء من ذلك ثم تركته بهذا المحل وذهبت .

﴿ الفصل السادس في ملابس الفرنسيين ﴾

من المعروف عندنا ان غطاء رأس الافرنج البرنيطة وان لعالمهم في الاكثر الصرم السود او التاسومات وان لباسهم في الغالب هو الجوخ الاسود . واما الفرنسية فاتهم في الغالب ايضا على هذا الملبس الا انهم لا يلزمون ملبسا خاصا غير ان كل انسان يلبس باختياره ما تاذن له العادة بلبسه . والغالب ان لبسهم ليس له زينة وانما هو في غاية النظافة ومن العوائد العظيمة انتشار لبس القمصان والالبسة والصدريات تحت ملابسهم فان الموسر يغير في الاسبوع عدة مرات وبهذا يستعينون على قطع عرق الواغش فلذلك لا اثر للقمل ونحوه الا عند من اشتد به الفقر وملابس النساء ببلاد الفرنسيين لطيفة بها نوع من الخلاعة خصوصا اذا تزين باغلي ماعلين ولكن ليس هن كثير من الحلي فان حليهن هو الحلق المذهب في آذانهن ونوع من الاساور الذهب يلبسنه في ايديهن خارج الاكام وعقد خفيف في اجيادهن واما الخلاخل فلا يعرفونها ابدا ولبسنهن في العادة الاقمشة الرقيقة من الحرير او الشيت او البفت الخفيف هولهن في البرد شريط فروة فيضعونه في رقابهن ويرخين طرفيه كالمأزر

حتى يصل بطرفيه الى قرب القدمين ومن عوائدهن ان يحتزن
بحزام رفيع فوق انوابهن حتى يظهر الحصر نحيفا ويبرز الردف كشيئا
ومما انشده الحاجر في ديوانه وان كان فيه خروج قوله

ومزنى يا ليتني استاذ * كما افوز بضمة من خصره

القس يسقيه شربة خده * والمسلمين باسره في اسره

فوحقه لولا رشاقة قده * مارق اسلامي لشدة كفره

ومن العجائب انه يمكن الانسان أن يضع في الحصر وقت الحزام
فترى يديه لدقته ومن خصال النساء أن يشبكن بالحزام قضيباً من صفيح
من البطن الى آخر الصدر حتى يكون قوامهن دائماً معتدلاً لا اعوجاج
به ولهن كثير من الحيل ومن خصالهن التي لا يمكن للانسان أن لا
يستحسنها منهن عدم ارخاثن الشعور كمادة نساء العرب فان نساء
الفرانسييس يجمعن الشعور في وسط رؤسهن ويضعن فيه دائماً مشطاً
ونحوه ومن عوائدهن في أيام الحر كشف الاشياء الظاهرية من البدن
فيكشفن من الرأس الى ما فوق الثدي حتى انه يمكن أن يظهر ظهرهن
وفي ليالي الرقص يخلعن عن أدرعتهم وبالجملّة فلا يعد ذلك من الامور
المحلة عند أهل هذه البلاد ولكن لا يمكن لهن ابدا كشف شيء من الرجلين
بل هن دائماً لابسات للجرايات الساترة للساقين خصوصاً في الخروج
الى الطرق وفي الحقيقة سيقانهن غير عظيمة أصلاً فلا يصلح لهن قول الشاعر

لم أنسه اذ قام يكشف عامداً * عن ساقه كالؤلؤ البراق

لا تعجبوا ان قام فيه قيامتى * ان القيامة يوم كشف الساق

وملابس الحزن عند الفرنسييس أن يلبس علامة الحزن مدة معلومة
بها محل معلوم فالرجل يضع علامة الحزن في برنيطته مدة معلومة

والمرأة في ثيابها والولد على فقد أبيه أو أمه علامة الحزن ستة أشهر وعلى فقد الجدة أربعة أشهر ونصف والزوجة على فقد الزوج سنة وستة أسابيع وعلى فقد الزوجة ستة أشهر وعلى فقد الاخ أو الاخت شهرين وعلى فقد الحال والحالة والعم والعمة ثلاثة أسابيع وعلى فقد أولاد الاعمام والعمات والاخوان والحالات أسبوعين ثم ان مايباع في باريس من الجوخ كل سنة بنحو مليون فرنك تقريباً ومن الحرير بثلاثة ملايين فرنك ومن الفراوي بمليون فرنك ولعل السبب في ذلك هو ان الفراوي تشتري من خصوص باريس لاهل باريس ومن المتداول عند الفرنسيات استعمال الشعور العارية لنحو الاقرع وردي الشعر بل قد يستعملونها في الاحي والشارب للتقليد وقد شاعت عندهم تلك العادة من زمن لويز الرابع عشر ملك فرنسا حيث ان هذا الملك كان يلبسها ولا يخلعها من رأسه أصلاً الا عند النوم ولا زالت الى الآن مستعملة لكن للاقرع أوردي الشعر ومن الغريب انها تستعمل الآن في مصر بين نساء القاهرة

الفصل السابع في منزهات مدينة باريس

اعلم ان هؤلاء الخلق حيث انهم بعد أشغالهم المعتادة المعاشية لا شغل لهم بامور الطاعات فانهم يقضون حياتهم في الامور الدنيوية واللهو واللعب ويتفنون في ذلك تفنناً عجيباً فمن مجالس الملاهي عندهم محال تسمي التياتر بكسر التاء المشددة وسكون التاء الثانية والسبكتا كل وهي يلعب فيها تقليد سائر ما وقع وفي الحقيقة ان هذه الالعب هي جد في صورة هزل فان الانسان يأخذ منها عبرة عجيبة وذلك لأنه يرى فيها سائر الاعمال الصالحة والسيئة ومدح الاولى وذم الثانية حتى ان الفرنسيات

يقولون أنها تؤدب أخلاق الانسان وتهذبها فهي وان كانت مشتملة على المضحكات فكأن فيها كثير من المبكيات ومن المكتوب على الستارة التي ترخي بعد فراغ اللعب باللغة اللاطينية وما معناها باللغة العربية قد تنصاح العوائد باللعب وصورة هذه التياترات أنها بيوت عظيمة لها قبة عظيمة وفيها عدة أدوار كل دور له أوض موضوعة حول القبة من داخله وفي جانب من البيت مقعد متسع يطل عليه من سائر هذه الأوض بحيث أن سائر ما يقع فيه يراه من هو في داخل البيت وهو منور بالنجفات العظيمة ونحت ذلك المقعد محل للآلاتيه وذلك المقعد يتصل باروقة فيها سائر آلات اللعب وسائر ما يصنع من الأشياء التي تظهر وسائر النساء والرجال الممعدة للعب ثم أنهم يصنعون ذلك المقعد كما تقتضيه اللعبة فإذا أرادوا تقليد سلطان مثلا في سائر ما وقع منه وضعوا ذلك المقعد على شكل سراية وصوروا ذاته وانشدوا أشعاره وهلم جرا ومدة تجهيز المقعد يرخون الستارة لتمتع الحاضرين من النظر ثم يرفعونها ويبتدون اللعب ثم النساء اللاعبات والرجال يشبهون العوالم في مصر واللاعبون واللاعبات بمدينة باريس أرباب فضل عظيم وفصاحة وربما كان هؤلاء الناس كثير من التأليف الأدبية والأشعار ولو سمعت ما يحفظه اللاعب من الأشعار وما يبديه من التوريات في اللعب وما يجاوب به من التنكيت والتبكيك لتمجبت غاية المعجب * ومن المعجائب أنهم في اللعب يقولون مسائل من العلوم الغربية والمسائل المشككة ويتمقون في ذلك وقت اللعب حتى يظن أنهم من العلماء حتى أن الأولاد الصغار التي تلعب تذكر شواهد عظيمة من علم الطبيعيات ونحوها ثم أنهم يبتدون اللعب بالآلات الموسيقا ثم يلعبون ما يريدون لعه واللعبة التي تظهر تكتب في ورقة وتلصق في حيطان المدينة وتكتب في

التذاكر اليومية ليعرفها الخاص والعام وفي الليلة يلعبون لعبات وبعد فراغ كل لعبة ترخي الستارة اذا أرادوا مثلاً لعب شاه العجم البسو الاعبا لبس ملك العجم وأحضره وأجلسوه على كرسي وهكذا وفي هذه السبكتا كل يصورون سائر ما يوجد حتى أنهم قد يصورون فرق البحر لموسى عليه السلام فيصورون البحر ويجعلونه يتموج حتى يشبه البحر شها كليا وقد رأيت مرة في الليل أنهم ختموا التيار بتصوير شمس أن تسييرها وتنوير التيار بها حتى غلب نور هذه الشمس على نور النجف حتى كأن الناس في الصباح ولهم أشياء أغرب من هذا وبالجملة فالتيار عندهم كالمدرسة العامة يتعلم فيها العالم والجاهل وأعظم السبكتا كل في مدينة باريس المسماة الاوبرا بضم الهمزة وتشديد الباء المكسورة وفتح الراء وفيها أعظم الآلاتية وأهل الرقص وفيها الغناء على الآلات والرقص بإشارات كاشارات الاخرس تدل على أمور عجيبة ومنها تيار تسمى أوبرة كوميك فيغني فيها الاشعار المفرحة وبها تيار تسمى التيار الطليانية وبها أعظم الآلاتية وفيها تنشد الاشعار المنظومة باللغة الطليانية وهذه كلها من السبكتا كلات الكبيرة وفي باريس سبكتا كلات صغرى وهي مثل تلك الا أنها صغيرة وهناك أيضا سبكتا كلات أخرى يلعبون فيها الخيل والفيلة ونحوها ومنها التيار المسماة تيار كرنكوفي بكسر الكاف وفتح الراء وسكون النون وضم الكاف وكسر النون الثانيه وفيها فيل مشهور بالالعب الغربية معلم تعالما عجيباً وكما أن أعظم التيارات الاوبرة فاصغرها تيار تسمى تيار الكمت وهي معدة لنزاهة الصغار كالحاوي في مصر والكمت اسم معلم هذه السبكتا كل وكل اللاعبين واللاعبات صغار السن وهذه التيار يوجد بها كثير من الشعبيات والسيم ونحوها ولولم تشتمل التيار

في فرانس على كثير من النزغات الشيطانية لكانت تعد من الفضائل العظيمة الفائدة فانظر الى اللاعبين بها فانهم يحترزون ما أمكن عن الامور التي يفتتن بها الخلة بالحياة ففرق بعيد بينهم وبين عوالم مصر وأهل السماع ونحوها ولا أعرف اسما عربياً يليق بمعنى السبكتا كل أو التياتر غير أن لفظ سبكتا كل معناه منظر أو منزله أو نحو ذلك ولفظ تياتر معناه الاصلي كذلك ثم سمي بها اللعب ومحلّه ويقرب أن يكون نظيرها أهل اللعب المسمي خيالاً بل الخيالي نوع منها وتشتهر عند الترك باسم كمدية وهذا الاسم قاصر الا أن يتوسع فيه ولا مانع أن تترجم لفظة تياتر أو سبكتا كل بلفظ خيالي ويتوسع في معنى هذه الكلمة ويقرب من تصوير السبكتا كل أو هو منها مواضع يصور فيها الانسان منظر بلد أو أرض أو نحو ذلك فمن ذلك يانورمه وهو محل تنظر فيه فكري المدينة التي تريد تصويرها ففي صورة مصر ترى كأنك على منارة السلطان حسن مثلاً والرميلة تحتك وباقي المدينة ومنها كسمورة وفيه صورة بلدة ثم أخرى وهكذا ومنه ديورمه وفيه صورة دار ومنها اورانورمه وفيه صورة الفلك الاعظم وسائر ما يحتوي عليه مصوراً على مذهب الافرنج فالمتفرج فيه يمكنه أن يطالع علم الفلك ومنها أوروبورمه وفيه صورة بلاد الافرنج ومن المنزهات محال الرقص المسماة البال وفيه الغناء والرقص وقل ان دخلت ليلاً في بيت من بيوت الاكابر الا وسمعت به الموسيقى والمعنى ولقد مكثنا مدة لانفهم لغنائهم معني اصلاً لعدم معرفتنا بلسانهم والله در من قال في مثل هذا الامر

ولم افهم معانيها ولكن * ودت كبدي فلم اجهل شجهاها
فكنت كاني اعمي معني * يحب الغانيات ولا يراها

والبال قسمان بال عام ويدخله سائر الناس كالبال في القهاوى والبساتين
والبال الخاص وهو ان يدعوا الانسان جماعة للرقص والغناء والزهة
ونحو ذلك كالفرح في مصر والبال دائماً مشتمل على الرجال والنساء
وفيه وقفات عظيمة وكراسي للجلوس والغالب أن الجلوس للنساء ولا
يجلس أحد من الرجال الا اذا اكتفت النساء واذا دخلت امرأة على
أهل المجلس ولم يكن كرسي خاليا قام لها رجل واجاسها ولا تقوم لها
امرأة لتجلسها فالانثى دائماً في المجالس معظمة اكثر من الرجل ثم ان
الانسان اذا دخل بيت صاحبه فانه يجب عليه ان يحيي صاحبة البيت قبل
صاحبه ولو كبر مقامه ما يمكن فدرجته بعد زوجته او نساء البيت ومن
المنزهات جمعية الناس كضمة مصر الا ان فيها دائماً آلات الموسيقى والغنا
والرقص وبين كل نوبة من الموسيقى والغنا يقسم على الحاضرين بعض
مطعمومات ومشروبات خفيفة وبالجملة فالموسيقا بالاصالة والشراب الخفيف
بالتبعية هما حظ هذه المجالس كما قال الشاعر

هل العيش الاماء كرم مصفق * ترقرقه في الكاس ماء غمام

وعود بنان حين ساعد شدوه * على نغم الاوتار نأى زنام

وقد قلنا ان الرقص عندهم فن من الفنون وقد اشار اليه المسعودى
في تاريخه المسمى مروج الذهب فهو نظير المصارعة في موازنة الاعضا
ودفع قوى بعضها الى بعض فليس كل قوى يعرف المصارعة بل قد يغلبه
ضعيف البنية بواسطة الحيل المقررة عندهم وما كل راقص يقدر على
دقائق حركات الاعضاء وظهر ان الرقص والمصارعة مرجعها شيء واحد
يعرف بالتأمل ويتعلق بالرقص في فرنسا كل الناس وكأنه نوع من العياقة
والشلبة لا من الفسق فلذلك كان دائماً غير خارج عن قوانين الحياء بخلاف

الرقص في ارض مصر فانه من خصوصيات النساء لانه لتهيج الشهوات
واما في باريس فانه لظ مخصوص لا يشتم منه رابحة العمر ابدا وكل انسان
يغرم امرأة يرقص معها فاذا فرغ الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية
وهكذا وسواء كان يعرفها او لا وتفرح النساء بكثرة الراغبين في الرقص
معهن ولا يكفهن واحد ولا اثنان بل يحبين رؤية كثير من الناس يرقص
معهن لسأمة انفسهن من التعلق بشيء واحد كما قال الشاعر

ايا من ليس يرضيها خليل * ولا الفا خليل كل عام

اراك بقيه من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

وقد يقع ان من الرقص رقصة مخصوصة يرقص الانسان ويده في
خاصرة من ترقص معه واغلب الاوقات يمسكها بيده وبالجمله فس المرأة اياما
كانت في الجهة العليا من البدن غير عيب عند هؤلاء النصارى وكما حسن
خطاب الرجل مع النساء ومدحهن عد هذا من الادب وصاحبه الليت
تحبي اهل المجلس ومن التزم المواسم العامة التي تصنع في الصيف ومبناها على
الرقص والآلات وتسبيب البارود ونحو ذلك ومن المواسم العامة عندهم
ايام تسمى ايام الكرنوال وتسمى عند قبطة مصر ايام الرفاع وهي عدة
ايام يرخص لسائر الناس فيها سائر التقاليدات والتشكلات فيشكل الرجل
تشكل امرأة والمرأة في صورة رجل ويترأى الحواجه في صورة راع
ونحو ذلك وبالجمله فيباح سائر ما لا يضر براحة المملكة وانتظامها ويقول
الفرنساوية ان هذه الايام ايام جنون ويدور بهذه البلدة فحل أسمن
فحول فراسا في موكب عظيم مدة ايام الزفر الثلاثة ثم يذبحونه وينمطون
لصاحبه بخشيشا في نظير تسمينه له حتى يسمن سائر الناس عجلهم ومن
منتزهات باريس الحدائق العظيمة العامة ففي باريس نحو أربعة بساتين

كبري يتماشى فيها الخاص والعام فمنها حديقة تسمى الشمر ايزه معناه بالعربية رياض الجنة وهي من أرق المنتزهات وأنضرها وهي بستان عظيم يبلغ أربعين أريانا والأريان هو قياس يقرب من الفدان ومع أن طول طريقها نحو ألف فاتها موضوعة بحيث أنك إذا مددت نظرك رأيت طرفها الثاني قدام عينيك وفي هذه الروضة العظيمة دائما شيء من الملاهي لا يمكن حصره وسائر أشجار هذا البستان متصافة متوازية بعضها مع بعض رتب بحيث أنه يوجد مدخل من كل الجهات فهو على سمت الخطوط المستقيمة من سائر الجهات وفي وسط كل جملة من الاشجار يوجد محل مربع وهذه الحديقة يتصل أحد جوانبها بنهر السين وبينها وبينه رصيف وبجانبها الاخر بيوت باطراف الخلا وفيها كثير من القهاوي والرسطراطورات يعني بيوت الاكل وفيها سائر انواع الطعام والشراب وهي مجمع الاحباب والاكابر وبها كثير من المراج للخيول ويدخل فيها الاكابر والعربيات المزينة وفيها عدة آلاف من الكراسي بالاجرة يجلس عليها في زمن الربيع نهرا وفي زمن الصيف ليلا وأعظم اجتماع الناس فيها يوم الاخذ فانه يوم البطالة عند الفرنساوية وبالجملة فهذه الحديقة محل للمواسم وللافراح العامة والزينات وبها تماشى سائر النساء الجمالات ومن المنتزهات المحال المسماة البوار وهي الاشجار المتصافة المتوازية وقد أسلفنا بيانها وهي محل تماشى فيها سائر الناس في سائر الايام وفيه أعظم قهاوي باريس وتدور فيه الآلات المنتقلون بالآتهم وفيهم كثير من محال التياترات وبه أيضا تدور النساء اللواتي يتعرفن بالرجال سيما بالليل فهو في جميع الليالي وفي ليلة الاثنين يحوى كثيرا من الناس فترى فيه كل عاشق مع معشوقته ذراعه في ذراعها

الي نصف الليل ويصلح هنا قول الشاعر .

لا تلق الا بليل من توصله * فالشمس تمامة والليل قواد
كم عاشق وظلام الليل يستره * لاقى الاحبه والواشون رقاده
(وقال آخر)

أيها الليل طر بغير جناح * ليس للمين راحة في الصباح
كيف لا ابغض الصباح وفيه * بان عنى الوا الوجوه الملاح
ولا يمدح الليل الا من ترقب فيه وصال محبوبه (وتفقد فيه نيل مطلوبه)
بخلاف من كثر فيه حرقه وزاد أرقه وطال سهاده وطار رقاده فانه
يهوى الصباح ليذهب همه ويرتاح (قال الشاعر)

الا أيها الليل الطويل الا انجلي * بصبح وما الاصبح منك بامثل
فيالك من ليل كان نجومه * على صفحات الجو شدت يذبيل
(وقال آخر)

ليلي وليلي نفي نومي اختلافهما * بالطول والطول ياطوبني لو اعتدلا
يجود بالطول ليلي كلما بخلت * بالطول ليلي وان جادت به بخللا
(وقال من لا يشكوا من الليل)

ياليل طل أولاتطل * لا بد لي أن أسهرك
لو كان عندي قري * مابت أرعي قمرك
(وقال آخر مثله)

ياليل طل ياشوق دم * أنى على الحالين صابر
لي فيك أجر مجاهد * ان صح أن الليل كافر
وهذا أيضاً من باب الشكوي ومن المنتزهات أيضاً سوق تباع فيه
الازهار وفي هذا السوق تجدد سائر الاشجار والنباتات والازهار الغريبة

النادرة ولو في غير أوانها حتي أن الانسان يمكنه أن يجدد إستنانه في يوم واحد بان يشتري سائر ما يحتاجه ثم يزرعه في يوم وبالجملة فلا يمكن أن الانسان يتمتع بهذه المنزهات الا بصحة البدن

الفصل الثامن في سياسة صحة الابدان بمدينة باريس

لما كان من ضروريات الحكمة الاعتناء بحفظ صحة الابدان وكان الأفرنج أحكم الأمم كثر اعتناؤهم بهذا الفن وبتكميل آلاته ووسائله وكانوا أشد الناس مسارعة لما فيه نفع للبدن كالحمامات والحمام الباردة المياه وترييض الجسم وتعويده على الامور الشاقة كالعموم وركوب الخيل والالعب التي يخف بها البدن والحمامات في باريس متنوعة وفي الحقيقة هي انظف من حمامات مصر غير ان حمامات مصر انفع منها واتقن وأحسن في الجملة وذلك ان الحمام في مدينة باريس عدة خلوات في كل خلوة مغطس من نحاس يسع الانسان فقط وفي بعض الخلوات مغطسان وليس عندهم مغطس عام كما في مصر ولكن هذه العادة أسلم بالنسبة للعورة فانه لا طريقة ان يطلع الانسان على عورة آخر حتي ان الخلوة التي فيها مغطسان بين كل مغطس ستارة تمنع ان ينظر الانسان صاحبه وليس في دخول الانسان هذه المغطس الصغيرة لذة كالدخول في الحمامات ولا يعرق الانسان بها أبدا اذ الحرارة لا توجد الا في المغطس لافي الخلوة أبدا وان كان يمكن ان يوصي الانسان على حمام بالبخار فانهم يصنعون له ذلك ولكن بثمن آخر غير الثمن المعتاد وفي الحمام صفان من الخلاوي صف للرجال وصف للنساء وكما انه يوجد حمامات مستقرة يوجد حمامات منقولة فاذا طلب الانسان حماما في بيته أو كان مريضا

أو نحو ذلك فانهم يحملون اليه في عربة كالبرميل الماء البارد في شقة الساخن في أخرى ومعهما حم فيوضع اللحم في بيت الانسان ويملا من الماء المسخن فيغتسل الانسان منه ثم بعد فراغه يحملونه الى بيت الحمام ومن الحمامات حمام يضع فيه الانسان بعض بدنه لبعض الامراض فيسمى نصف حمام والحمامات بباريس كثيرة فاشهرها ثلاثون حماما تقريبا * ومن أمور الرياضات النافعة لصحة البدن مدارس يتعلم فيها علم السباحة وهي ثلاثة مكاتب على نهر السين ومنها مدارس لتخفيف البدن وجعله قابلا للاشياء العجيبة كالهلوانية والمصارعة ونحو ذلك

الفصل التاسع في الكلام على إعتناء باريس بالعلوم الطبية

اعلم ان مدينة باريس هي أعظم مدن الافرنج التي يرحل اليها الغربا لتعلم العلوم خصوصا العلوم الطبية وقد ينتقل اليها المرضى من بلاد بعيدة للبحث عن تدابيرهم فيها والعلوم الطبية التي تسمى أيضا علم الحكمة هي علم الطب والجراحة والتشريح وفن الفسيولوجيا من حاله وسياسة الصحة لحفظها وتطبيب الحيوانات وغير ذلك والحكماء في باريس كثيرون جداً حتى يوجد في كل خط عدة حكماء بل الطرق مملوءة من الحكماء حتى ان الانسان اذا أصيب في الطريق بداء فانه لا بد أن يجد الحكيم حالا لكثرة الحكماء بهذه البلدة ووضع المرضى بالنسبة للأطباء مختلف فمن المرضى من يطلب الطبيب ليزوره عنده وللحكيم قدر معلوم على كل مرة يأتيها اليه ومن المرضى من يذهب الى الطبيب في بيته وللطبيب ساعات معينة يمكن فيها قصدا في بيته لتلقى الناس ومن المرضى من ينتقل مدة معينة في بيت يسمى بيت الصحة معد

لمن يدفع قدرا معينا في نظير أكله وشربه وسكنائه وأطبيب بدنه وخدمته ونحو ذلك وفي باريس بيوت حكماء معدة لمن ابتلى بخلل شيء من عظام البدن كالأحديداب فإنه يدخل بيتا من هذه البيوت للتطبيب فيقومون بدنه بشيء من علم الحيل كما اذا كان انسان مقطوع أحد الأطراف فاتهم يجبرون ذلك بان يضعوا له من المعدن او الخشب شيئا في محله وفي هذه المدينة ايضا بيوت يدخل فيها النساء الحوامل المشرفات على الولادة لتلدن فيها وتقضين فيها مدة النفاس وفي هذه البيوت توجد القوابل وسائر ما يحتاج اليه في الولادة ومن المواضع المعدة للمرضى والتي يوجد فيها الاطباء المارستانات العامة فتدخلها المرضى للعلاج ولاقامة مدة المرض بلا عوض ثم ان الاطباء في باريس فرقتان احدهما الاطباء عامة لمطلق الامراض على تنوعها والاخرى لداآت خاصة وذلك ان علم الطب متسع جدا فقل ان يشتغل انسان بسائر فروع ويحققها فاحتياج اطباء فرنساوية الى ان الطبيب بعد ان يقرأ فروع العلوم الطبية ينبغي له ان يختار منها فنا ليصرف فيه همه ويتقوى فيه ويتبحر حتى يشتهر ويمتاز عن غيره من الاطباء بتحقيق ذلك الفن حتي يجلب اليه من به داء يدخله شيء من ذلك الفن فلذلك يوجد في باريس اطباء مثلا لخصوص مرض الرئة واطباء مرض العين تسمى المكحلاتية واطباء لامراض الاذنين واطباء لداء الاتف وتجييره حتي ان من اطباء الاتف من يمكنه بالحيلة ان يرجع الاتف المجدوع صحيحا وفي باريس اطباء تستعمل جاذبية المغناطيس الانسانية للاستعانة على مداواة الانسان وتفصيل ذلك ان في باريس جماعة من الطبائية تزعم انه ثبت عندهم ان بدن الانسان يشتمل على مادة سيالية يعني جاذبية المغناطيس الانسانية يعني ان هذه المادة

لها خاصية المغناطيس وتحصل هذه بتقريب اليد عدة مرات كالمنسج
فينعس الانسان او تغيب حواسه حتي لا يحس بشيء فاذا غاب وكان مريضاً
يمرض شديد عالج الحكماء بقطع شيء أو بفتح شيء من بدنه من غير ان
يشعر بشيء ابدوا وقد جرب ذلك في قطع ندى امرأة بعد مغناطيسيتها
فشكت عدة ايام ثم ماتت فقال علماء المغناطيسية انها ماتت بسبب آخر
لا بألم القطع فانها عاشت بعده فالمغناطيسية نافعة لمعالجة الامراض
العصبية وفي باريس ايضاً حكماً لخصوص مداواة خلل العقل اولاً لم
اعضاء التناسل او الخصوة ولخصوص الامراض الجلدية المنفرة وغيرها
كالجزام والجرب وفي باريس ايضاً حكماً لتوليد النساء فان العادة ايضاً
في باريس ان المرأة يولدها رجل حكيم عارف بامور الولادة وبها حكماً
لمعالجة البياض التي تنزل بالعين والماء الذي يعميها وبها حكماً لاجع
الصدر وداء الفالج الذي هو شلل بعض الاعضاء فيداوونه بعلاج يسمى
الاكبكتور بكسر الهمزة والكاف وسكون الميم وضم الباء وسكون الكاف
وضم التاء يعني شكات دبابيس كثيرة دقيقة فيخرجون بذلك شيئاً من
الدم ينفع لتخفيف ضرر هذا الداء وبها حكماً لعلاج اختلال خلقته
الانسان وهذا العلاج يسمى الارتوبيدي بضم الهمزة وسكون الراء
وضم التاء وكسر الباء وسكون الياء وفتح الدال يعني فن اصلاح خلل
اعضاء الاطفال فمن الحكماء من يصاح خلل الفم او الوجه ومنهم من
يشغل بتدبير الاعضاء الناقصة لسد خللها باعضاء اخري مدبرة ثم ان
فروع العلوم الطبية كثيرة فالشهور منها فن التشريح وفن تمييز امراض
الانسان من حال طبيعته وفن الكيمياء العقاقيرية وفن اسباب الامراض
الباطنية الطبية وعلم الجراحة الطبية ووضع العصابة على الجراح والتضميد

بالمراهم وفن تطيب ملازم الفراش المبتي بامراض ظاهرية وفن تطيب ملازم الفراش المبتي بامراض باطنية وفن معالجة النفسا وتوليد الحامل. وعلم الطبيعة التي تدخل الطب وعلم العقاقير والادوية المفردة او المركبة. صناعة المعالجة ومباشرة المريض ومدارس الحكمة بمدينة باريس ومنافعها شهيرة فمنها مدرسة كبيرة تسمى اكدمه الحكمة السلطانية وهي ديوان الحكماء السلطانية وهي مجموعة الحاجة المملكة الفرنسية ومباشرة الامراض العامة الضرر كالامراض الوبائية والامراض التي يعتقد الفرنسيون انها معدية وكمرض فصل البهايم ومن وظيفة علماء اكدمه الحكمة معالجة سائر الناس بما تجمله المملكة موقوفا على النفع العام كاشهار تلقيح البقري. لاجراج الجدرى وامتحان الادوية الجديدة والادوية المكتومة وامتحان الادوية المعدنية الاصلية او المصطنعة لادخالها في الادوية وبالجملة فاهل هذه الجمعية السلطانية اعظم الحكماء الفرنسيين. ولتذكر هنا بعض ما يتعاقب بما رستان باريس في فصل فعل الخير وقد اسلفنا بعض شيء من ذلك في الفصل السابق. ولتذكر لك نبذة من فن قانون الصحة وتدير البدن حتي تتم فائدة هذه الرحلة. وهذه النبذة ترجمتها في باريز لقصد استعمال جميع الناس بمصر لها الصغر حجمها. فهي وان كانت تخرجنا عما نحن بصدد الا ان منفعتها عظيمة وثمرتها جسيمة.

نصيحة الطبيب

المادة الاولى في وصية صحاح البدن

الاشك ان الاطباء معتبرون بين الناس لشدة نفهم عندهم ومع ذلك فالاولى الاستغناء عنهم لانهم رفقاء المرضى فلنحرص على حفظ

أنفسنا من أسباب المرض ومن الاحتياج الى الطيبة والدواء انجرب لمنح
الاحتياج اليه هو اعتياد الكد والقناعة ولذا ذكر لك بعض أمور آخر
الاول لا تسكن دارا مماسة لمزرعة مرتفعة أو دارا غائرة في الارض يسيرا
فان كلا هذين الموضعين يجعل الدار رطبة ومضرة للصحة فالعافية ولو
كانت قوية تذهب فيهما على تداول الايام * ارفع أرض بيتك بعض
قراريط برمل أو حصى أو طوب مسحوق أو ما أشبه ذلك وتجنب
البناء في أرض مماسة لأرض أعلا منها * اجعل منافس الهواء الى الجنوب
الشرقي أي اجعله بين الشرق والجنوب فان ذلك للصحة أسلم من جميع
الاضاع * الثاني الهواء المخزون يجلب الحمى المحرقة فوسع طاقك ليسهل
فيها دخول الهواء والنوروا فتحتها في غالب الاحيان لان البرد للصحة
أوفق من الحر فاهل الجانب الشمالي حياتهم وصحتهم أبرك من أهل
الجنوب والمريض يشفى في غرفة مفتوحة لسائر الرياح وربما هلك لو
كان بجانب الحرارة * الثالث بركة الماء الراكد اذا اشتد قربها من
البيوت فانه يتصاعد منها أبخرة لا تناسب الصحة بل تؤذيها أو ربما قتلت
وبسبب ذلك ترى بعض البلدان منتنا بالآوباء فاجتنب هذه الاشياء الجالبة
للأمراض والأوجاع * الرابع السكر يرعي البدن ويحرقه ويسرع بالمشيب
فنصيب من ينهمك على شرب الخمر وغيرها من المسكرات أن يصاب
بداء الذبول ويقتصر الاجل * الخامس من أسباب امراض اختلاف
الزمن كتعاقب الحر والبرد ونزول المطر السريع أو نزوله باردا في
وسط الايام الحارة فالولى ما يطرد هذه الامراض ان تلبس أزيد مما
يقتضيه الفصل فالبس أثواب الشتاء قبل فراغ الخريف ولا تجعل
خامها عند دخول الربيع واذا ابتل بدتك كله بماء بارد فاغتسل بالماء

الفاتر فان لم يتبل الا عضو فقط فاغسله وحده * السادس احذرا اذا اشتد
حرك ان تمكث في موضع بارد أو تشرب ماء شديدا البرودة والا فالعرق
يحبس حالا ويتداخل في الباطن ويتسبب عن ذلك داء الحنّاق وورم
الصدر والقولنج المحرق وغير ذلك فاذا نفذ القضاء وابتلى باحدها
فالواجب تداركه لعله يخف قاوّل ما تحسن بمبادي العلامات فضع القدمين
في ماء هين الحرارة وطر بالماء الفاتر ظاهر المتالم من الحلق أو الصدر
أو البطن واحتقن بالماء الفاتر المخلوط بيسير اللبن وتعاطى الشورية
التي صورتها أن تأخذ قبضة من زهر الحنّان وتضعها في اناء خزف مع
أوقية ونصف من جيد الخل ورش على الجميع قدح ماء مغلي وغط
الاناء ودعه يبرد فتى بردت هذه الشورية فصفها بخارقة وذوب فيها اوقيتين
من العسل فاذا فعلت ذلك فقد غنمت ما حرمت منه الطيب من الدراهم
فان ما تعطيه له منها ذاهب عن يدك وربما كان ذلك الطيب لا يفيدك
في هذا الداء شيئا

المادة الثانية في الدلالة على ما يصنع حين اخذ المرض في الظهور

اعلم ان كثيرا من الناس باعثناء فاسد يريد أن يداوي المرضى
فيهلكهم قاوّل ما يبدو قليل من الحمى أو القي فلا يجتد أحسن من تعريق
المريض فيضغطه تحت أغطية ثقيلة ويحجب عنه الهواء ويسقيه شورية
الخضراوات الحارة وربما سقاء خمرًا حارًا أو حلوا فهل من الاصحاحان
يستطيع حمل ذلك أو ليس ان هذا يمرض من ليس بمريض نعم قد
يكون العرق به الشفاء لكن حين تكون الامراض قد صدرت عند
انحباسه أو بعد تقليل هذه أو ازالها بكثرة تعاطى الشوربات وعلى كل حال

فلا بد من ادخال الهواء اللين في موضع المريض لما ان حاجة الانسان الى الهواء
 كحاجة السمك الى الماء والشوربات الحادة تزيد الحرارة التي نهلك المريض وتحرقه
 وتبيسه والخمر هو سم حقيق في الحمى فعليك بخلاف ذلك من الشوربات الرطبة
 الباردة فانها تذيب الاخلاط المنفسدة وتسهل خروجها وتخفف الحرارة
 وتنظف المعدة وبعض الناس يريد أن يرد العافية لذي الهي فيعطيه المرق
 فيضاعف ألمه مع ان من الحقيقة المقررة عند أكابر الاطباء ان المريض الذي
 به خيرة المعدة كلما أعطوه من الاغذية زاد ضعفه وهذه الاغذية اذا انفسدت
 بالاخلاط المعفونة التي تختلط معها في الجوف تنقلب مرضا جديدا فاما يتعين في
 شفاء المريض هو ما يضعف المرض ففي كل عشرين مريضاً يموتون في الارياض
 فأكثر من الثلثين يمكن أنه كان يشفى بلا شيء لو كان في موضع مستور من
 مضار رياح وكان لا يشرب الا ماء مبرداً ولكن لا مقر من القدر وأغلب
 الامراض الحادة والحميات يتقدمها أيام تشويش كيسيير الحذر وقلة
 النشاط وعدم شهية الاكل ويسير ثقل المعدة والتعب وثقل الرأس والنعاس
 الثقيل عديم الراحة غير المصلح القوى بل وثقل الصدر والميل الى البرودة
 وتيسر العرق غير المعتاد وانقطاع العرق المعتاد وعند ذلك يتيسر تدارك
 أو تخفيف هذه الامراض المضرة بأربعة الاول ترك سائر الاشغال
 الشاقة والمداومة على الاشغال الهينة * الثاني تقليل أكل المغذيات أو
 اجتنابها لا سيما ترك اللحم والمرق والبيض والنبيد * الثالث اكثار الشرب يعني
 ان يشرب كل يوم قزازة فأكثر في كل نصف ساعة طاسة من الشربة المذكورة
 في المادة السابقة أو من الماء الفاتر المخلوط في كل قزازة اما بخمسة عشر
 أو بعشرين حبة من الملح المعتاد أو بفنجان حل أو بملاعق من العسل
 الرابع الاحتقان بماء فاتر أو بهذا الدواء وهو أن تأخذ قبضتين من

الحشائش أو من زهر الحجازي وتغمرها وترش عليهما نصف قزازة ماء مغلي وتصفىها بخرقة وتضيف عليهما أوقية عسل

المادة الثالثة في الدلالة على ما يصنع حين ظهور المرض

اعلم أنه ينبغي للمريض إذا تلبس بالبرودة أو البس أو الالم أنه يلزم الفراش أو الجلوس وأن يتغطي زيادة عن عادته وأن يشرب في كل ربع ساعة قنجانا من مسخن الشربة السابقة فلا بأس بتغطية المريض حال بردهم ولكن لا بد من تخفيف الغطاء كلما خفت البرودة حتى يكون بمجرد انقطاعها ليس عليهم إلا الغطاء المعتاد ثم إن بعض أهالي القرى يعتادون النوم على طراحة مكبوسة ريشاً ويتغطون بغطاء ثقل من الزغب والحر الصادر عن الريش هو خطر على المحمومين لكن لما اعتيد على ذلك يمكن اغتفار هذه العادة في بعض الأحيان إلا في مدة الحر أو اشتداد الحما فليتخذ للنوم طراحت مكبوسة بالقش والغطاء ملاحف أو أكسية أقل خطراً من الريش فهذا هو ما يريح المريض وينبغي الحذر من تسخين هواء محل المريض ومن كثرة الناس واللفظ ومن الكلام معه إلا على قدر الحاجة ينبغي فتح طيقانه وأقله ربع ساعة في النهار وربع ساعة بالليل وينبغي مع فتح الطيقان فتح باب الغرفة ليتجدد الهواء ولكن لا يعاد المريض عن جريان الأهوية فلتسحب عليه ستائر فرشه أو ليحجب عن الهواء بكيفية أخرى وفي زمن الحر ينبغي إبقاء طاقة من الطيقان مفتوحة ويحسن أيضاً تجيير غرفته بخل مطلق فوق نحو مجرفة حديد تجماء وينبغي في الهجير والمريض متعب بالهواء الحار أن يرش بلاط غرفته وأن يوضع فيها فروع غليظة من شجر الصفصاف

ونحوه تغمس في إناء فيه ماء لتكون مسقية وليجتنب المريض تناول الاطعمة
 المغذية ولا يأكل الا يسيراً من خفيف البريد المنضج أو الارز المطبوخ
 بلهاء مع يسير من الملح ولا بأس في الصيف بالانثار المستوية وفي الشتاء
 بالتفاح المنضج أو البرقوق والاحاص بعد تيسهما وطبخهما فهذه الانثار
 اذا أكلت بلا اكثار منها تروي وتبرد وتصلح الصفراء المنفسدة الحارة
 فهي الاغذية اللائقة بالمحموم واستعمل الشراب الرطب والمبرد الذي
 ذكرناه سابقاً ولا بأس أيضاً أن تضع في نحو قزاة الماء طاسة من
 عصير الفواكه التي ذكرناها قريباً وبنغي للمريض أن يشرب كل يوم
 قزاتين من ماء فاكثر وان يتناول في المرة يسيراً ففي كل ربع ساعة
 يشرب فجاءنا ما لم يتم واللائق أن يكون الشراب غير شديد البرودة ففي
 اعتدال الزمن يكون في طراوة نسيم الغرفة ولو امتنع المريض من حاجة
 الانسان جملة أيام أو يبل بكثرة أو خرج بوله أحمر أو خلط في كلامه
 أو كانت حمته قوية أو كان وجع رأسه أو كليته شديداً أو كانت بطنه
 متألماً أو كان محتاجاً كثيراً الى النوم فليحتقن كل يوم مرة بالحقنة المركبة
 مما سبق ذكره في المادة الثانية فالاحتقان شفاء لمحموم الا اذا حدث
 للمريض العرق النافع فلا يحتقن واذا خف المرض فينبغي الخروج من
 الفراش في اليوم ساعة فاكثر كما يمكنه ولكنه لا بد من نصف ساعة أولاً
 فينبغي ترك فراشه وهو متلبس بالعرق ومن المستحسن تصليح فراشه كل
 يوم وتغيير ما على بدنه كل يومين اذا تيسر ذلك ومن الضرر اليين الحكم
 بخلاف ذلك وظن أنه يخاف على المريض من خروجه من فراشه فيتركه في
 ثيابه المتسخة وهذه الثياب لا تقتصر في اضرارها على ابقاء أصل المرض
 فقط بل تقويه قبل أن المريض تعبان جداً وهذه حجة غاطلة ولو سلم أن

استعمال ذلك يتعبه درجة فانه يزيد ما بقى من قوته ويسرع تخفيف ألمه

﴿ المادة الرابعة في معالجة الناقه ﴾

اعلم انه ما دام بالانسان قليل من الحمى فلا يتناول الا الاغذية الخفيفة التي ييناها فاذا انقطع عرق الحمى فلا باس ان يتناول غيرها كقليل من اللحم الطري او السمك او المرقه والبيض هين النضج فهذه الاغذية تصاح القوي بشرط عدم الاكثار فيما يتناول منها والا فتبطي الصحة لان المعدة الضعيفة من المرض ليست متأهله الا ليسير الهضم فلواعطيتها فوق ما في قوتها فلا ينهضم سائر ما يدخل فيها بل يفسد وقوام البدن انما هو بما تهضمه المعدة لا بما يصل اليها فقط فينبغي للناقه ان يكون كالمريض في تناوله قليلا في كل مرة ولكن في غالب الاوقات وان لا يتعاطي في المرة الا جنسا واحدا من الاطعمة وان لا يكثر من تغيير الاطعمة وان لا يستعمل في مضغ ما يتناوله من الجوامد وان لا يكثر من الشرب وخير الشراب هو الماء المخلوط بشيء من الانبذة وليسر على قدرا ما يستطيع ماشيا او راكبا عربانة او فرسا ومن العبث ترك ركوب الخيل في هذه الحالة لمن يملك الخيل كاغلب اهل الارياف واذا كان السير بعد تناول الطعام كان مقويا لمادة الهضم بخلاف فعله قبل فهو ربما يضر الهضم وليتناول من قام من المرض يسيرا من الطعام في المساء لان النوم اريح واصالح له من الاكل ولا يضره عدم قضاء الحاجة كل يوم نعم اذا جاوز يومين من غير خروج شيء فليحتقن ثلث يوم او قبله ان علم ان قبض بطنه تتولد عنه الحرارة او الانتفاخ او ضيق الصدر او وجع الرأس وينبغي لمن قام من مرضه جديدا ان لا يسرع في العودة الى شغله فان لم يصبر

الى تمام عافيته طال ضعفه فالاستعجال على الشغل قبل أوانه يعقبه من
الحسارة زيادة على ما يؤمل كسبه فان لم يحفظ على نفسه ولا أصابه
مرض الذبول فينبغي حين ارادة الاخذ للمبادي مراقبة العواقب

﴿ المادة الخامسة في وصايا عامة على الصحة ﴾

اتخذ القناعة في الاكل فمن لم يقنع لا يشبع بل يهلك نفسه * قيل
من أرخى على الطعام طويل عناه حفر مقبرته بحدة أسنانه * لا تأكل
دون مرتين في اليوم بل لا بأس بثلاثة والصغار لهم أن يأكلوا أربع
مرات بل خمسة (لانهم عقب الأكل ومدة النوم للسليم ست ساعات أو
سبعة وللضعيف والصغير أطول من ذلك تضعحل القوة والعقل ويذهب
كل منهما باعتماد تطويل النوم * النظافة نصف الصحة فلتكن في البدن
والثوب والمسكن والغذا والمتاع لا تمضغ الدخان ولا تنتشق به فكثرة
الاعاب الذي يكسبه للطبيعة مضعف على طول الزمن وبه يضيع الريق
اللازم في الهضم وينتن النفس وتسود الاسنان وتفسد وقد شوهد أن
كثيرا من الناس اعترته الحماسة بالا كثار من شرب الدخان أو شم النشوق *
إياك والانهماك على تعاطي الخمر والمسكرات سيما أيام الصوم وقد توهم
أنها تشد القوى مع أن القوة المستفادة من تعاطيها تمر في أدنى زمن
ويعقبها وهن وذلك كما أن النار تذكو اذا كثرت من نفخها وترعي
الوقود سريعا ولا تطي الحرارة الا درجة وأما الفلاحون الذين
يشتغلون في وقت الصيف فعليهم تغطية رؤسهم وأن يتداركوا أشغالهم

﴿ المادة السادسة في معالجات جلمة عثل وامراض ﴾

الاول الزكام والنزلة يقال هذا ليس بشيء ان هو الا زكام أو نزلة
نعم نسلم ان الانسان لا يموت بذلك لكن يتسبب عن ذلك حرارة الصدر
المهلكة له ومن كلام بعض الحكماء الاقدمين يهلك بالنزلة والزكام أبغ
سما يهلك بالوبا وعلاج ذلك استعمال الشربة المذكورة في المادة الاولى
أو تعاطي سلاقة الحمان التي ربعها أو ثلثها لبن ويذغني قبيل النوم وضع
الرجلين في الماء الفاتر ولو انجذبت البطن تعين الاحتقان ويذغني الاقتصار
على تناول الاطعمة الخفيفة وتعاطي اليسير في المأكول ولا بأس بتعاطي
بعض طاسات من خفيف مرقة الخشخاش الاحمر وقد يوههم بعضهم
ان هذا الداء يذهب بالعرق المحروق أو الحمر المعطر والحلو مع ان هذا
كالقاء الحطب في النار اذهبه الا شربة أقرب في تشييل هذا الداء من
ازالته أو ليس ان هذا الداء حرارة وهي تزداد بهذه الا شربة * الثاني
وجع الاسنان اذا كان الوجع ناشئا عن فساد السن فخير علاجه كما قيل
الكلبتان قاللائق قلعه والادام الوجع وفسد غيره من الاسنان وربما جر
ذلك الى فساد الحنك ولكن لو اختبر بقاء السن خوفا من قلعه فلا بأس
أن تختبر بان تلطخ على موضع الفساد قطنة مبلولة في قطرات من عصير
القرنفل فان ذلك يصلحها زمنا طويلا وربما كانت نهايته تقتتها وسقوطها
ويمكن أيضا اصلاحها بان تلطخ على ذلك الموضع قطعة صغيرة من عرق
عاقور قرحا وتمضمض بسليق النبات المسمى حشيشة الفضة وأما اذا تحرك
الوجع من غير ان تكون الاسنان منفسدة فادم الغرغرة بالشعير أو بالماء
واللبن وتضميد الصدغ بالضماد المطري واتخذ الحوم جلمة ليال بماء فاتر

ولا تشرب إلا نبتة المخدرة ولا تكثر من الاكل وأما اذا كان بالاسنان
قرح فتنضيجه بان تديم في فمك لبنا أو تينا مطبوخا في لبن فاذا نضج
فاقتحه فانه سهل غير مؤلم * الثالث السكتة اعلم ان داء السكتة يأتي
الانسان فجأة فيعطل الحواس والحركات الاختيارية ماعدا النبض وبه
يعسر التنفس وهذا المرض مخوف فتجب المسارعة الى الطبيب ومدة
انتظار حضوره يجب ألا كشف رأس المريض وتغطية ماعده من
البدن بشيء خفيف جداً وجلب الهواء الطرى عنده وفتح طوقه
بالكلية ثانياً يقام حسبما يمكن رأسه الى أعلا ورجلاه الى أسفل ثالثاً يحقن
بحقنة مصنوعة من سلاقة الحشايش الطرية والملح رابعاً أسقه كثير من
الماء حسب الامكان خامساً ابعاده الاشربة المخدرة كالخمر وكذلك الماء المعطر
شرباً وضماً وسعوطاً سادساً عدم مسه وتحريكه بالضرورة سابعاً عصب
الرجلين تحت الداغصة وهي العظام المدور والمتحرك في وسط الركبة حتى يحجب
الدم عن الصعود الى الرأس وربما يرجع داء السكتة بعد ذهابه وكما رجعت
أصعب مما قبله فالمرء يجب تداركه من قبل بأن يأكل وهو في هذه الحالة قليلاً
جداً وأولى ما ينفع له ان يترك العشاء وان يتجنب الاشياء الغزيرة المائية وظيفيات
الرواج والحوامض والاشربة المقوية والقهوة وان يأكل قليلاً من اللحم وكثيراً
من الخضراوات والفواكه وان يشرب دواء مسهلاً مرتين أو ثلاثاً كل سنة
وان يريض وان لا يكثر من السخونة في أوضته أو حرارة الشمس وان لا يتأخر
في النوم أو في القيام منه وان لا يلبث فوق ثمان ساعات في فراشه * الرابع
ضربة الشمس هو مرض يصيب الانسان متى اعترض في حر الشمس
زمن طويلاً عريان الرأس فيعرف هذا المرض بوجع الرأس الشديد
واحترار البشرة واحمرار العيون وجود الدموع وضعف البصر عن

الامتداد الى الضوء وقد يحصل للعريض به سهر وربما أحس بالنوم وقاقه
شديدا وفي الغالب تكون بشرة الوجه محترقة فالمرضى لا يزال شديدا حتى يأتي
الطبيب سريعا فينبغي في مدة انتظاره أن تضع رجلى المريض في ماء فاتر وتدخله
نصف حمام أو حماما كاملا واحرقه بأعشاب مطرية واسقه كثيرا من شربة
الليمون والماء أو أسقه ماء مخلوطا بيسير الحُل وأنفع من ذلك مصل اللبن الصافي
المخلوط بيسير الحُل والطخ على جبهته وصدغه ورأسه خرقه مطراة
بماء بارد وخل معا * الخامس نهش السميات أولا اخرج الزبان اذا
لصقت بالحُل الملدوغ ثانياً تعده بالماء ثالثاً الطخ عليه اما كزبرة
او كرفس او زهر الحُمان رابعاً فان عظم الحرقان فاسرع ما ينفع هو
ان تبل خرقه صوف في سلاقة الحُمان وتلطخها وهي هينة
الحرارة خامسا ان تلصق على الوجع لبخة من سحق بزر الكتان او
من لباب الخبز الممزوج باللبن او العسل * السادس قاعدة يجب اتباعها في
تعهد الصغار والاطفال * حق على الامهات اللاتي يردن حفظ صحة ابنائهن
وتربيتهم ان يتركن عوائد البربر من لف الاطفال بكيفية يمتنع معها
تحركهم وتنقل ارجلهم او ايديهم فكيف يقان لو اخبرهن انه ان
اللازم لصحتهم ان يحتسبن في اثوابهن وان يلصقن اذرعتهن ببدنهن
وان لا يتحركن كالمسلسل فلاي شيء يصنعن ذلك باطفالهن وهم ضعاف
فليطلقنهم يتحركوا وليعرضن اطرافهم للهواء * من يتوهم من غير مستندان
اهل الفرس الصغير او العجل كذلك من المستحسن لصحتهم وربطهما
وتكتيفهما على ذلك الوجه او ليس ان حكم تربية الادمي هي كغيره
من باقى الحيوانات * السابع السم بالفطر وهي جنس ردي من السمكة
كثير من الناس من يهلك بميله الى الفطر وكان الاحسن في حقهم يقين

ان يتجنبوه وقد شوهد غير مرة ان الام تحمل لعيالها كثيرا من الفطر
لتبريمهم به فتقتلهم بيدها واعمال هذا النبات السمي لا يظهر الا بعد مضي
ست ساعات الى اثنتي عشرة فالول ما تحس بها اطلب الطيب وتناول
مدة انتظار حضوره حبتين او ثلاث حبات من الطرطرمقي اي ملح
طرطير المقيء بعد تذويبه في طاسقي ماء * الثامن السم بالزنجار اعلم ان
آنية النحاس التي تستعمل فيها المطبوخات هي خطرة بسبب زنجرتها
سريعا والزنجار سم قوي فلتبيض اوانيك وقتا بعد وقت بالقصدير ولا
ترك الاطعمة تبرد فيها خصوصا اذا كان بها الحل او الحمض او الحريفات
او الدسمة فاذا اعتراك وانت محترز عن ذلك قولنج او قيء فامزج نحو
خمس عشرة من بياض البيض في قزازقي ماء واشرب منها طاسة في نحو
دقيقتين لتقايا السم فان لم يجد البيض فاكثر من شرب اللبن فان عدمت
اللبن فمن الماء الحلي او ماء الصمغ * التاسع داء الكلب وهو معروف
لسائر الناس بوصفه وعمله الرديئين وهو يتولد بطبيعة في الذباب والنعاب
والسنانير وخصوصا في الكلاب وعضة الحيوان الكلب تكسب هذا الداء
للادميين وغيرهم من الحيوانات وعلامة الكلب الكلب انك تراه اولا
كثيبا ذابلا مدة ايام فيختفي ويسلك الخال المظلمة ولا ينبج بل يختفي ويترك
المأكل والمشرب ثم يهجر بيت صاحبه ويحري من جهة الى اخرى ويقف
شعره وبتل لسانه من اللعاب ويتدلى من فمه وينعوج ذنبه بين رجليه
ويهرب من المائعات ويهم ان يعض سائر الناس حتي صاحبه ثم يموت
بعد يوم او يومين بشدة مسارعة وتفوح من جيفته رائحة منتنة فالواجب
حينئذ دفنها في عميق من الارض ومتي عض هذا الكلب الانسان فان
الجرح من عادته ان يلتئم بالسهولة كانه غير متسمم وبعد مدة قليلة او

كثيرة وهي ثلاثة اسابيع الى ثلاثة اشهر يحس بالجرح وجع مكتوم
 فينتفخ اثره ويحمر وينفتح ويقبح ومدته تخرج حارة منتنة محمرة ويدوق
 المريض الكآبة والحذر والكسل والبرودة ويسرع عليه التنفس ويمسك الرجح
 امعاءه ويضطرب في نعاسه ويعطش عطشا مهلكا ويقاسي اذا شرب ثم
 يعتريه الارتعاد من الماء والمائع ويبج صوته ثم يحن ويموت وليس
 من شأن من اصاب بهذا الداء ان يعرض غيره دائما بل معظم المبتلين
 بهذا الداء اذا احس هجومه عليه ينصح الحاضرين بان يكونوا منه على
 حذر وما يذوقه من الالم تقصر عنه العبارة فيتمنى ولو الموت ومعالجته
 هي ان اول ما يعرضه الكلب تسرع بوضع الدواء فيه فان توانيت سرح
 السم الى الدم ولا يجدي التطبيب شيئا وذلك الدواء هو أن تستخرج الدم
 من الجرح بعد كشفه وتغسله بماء مملح وتكويه بحديدة بعد حرقها في
 النار حتى تبيض بعد الاحمرار وتغرزها في سائر أقطار الجرح فلو بقي
 جزء من الجرح غير محكم الكي كان الكي كالا شيء ويصح أن تستعمل
 بدل الحديدة المحروقة دهن الزاج فتدخله بين شفتي الجرح وتجريه
 في سائر ومتى انكوى اللحم تغطيه بخرقه مدهونة بالقيروطي أي المرهم
 أو بالزبد الطرية واعلم انه يجب غسل الثياب المنقوبة بأسنان الكلب
 الكلب لما أنها حين تشربت من ريقه تخلل بها جزء من سمه وما تقدم لك
 هو الكيفية المتعينة المجربة في هذا المرض الشديد فلا تردد أو تحف قليلا من
 الالم الذي يطرد غيره من الالم الشديد أو الهلاك المفزع وأيضا لو طلبت
 الحكيم لانت لك بسداد رأيه هذه المعالجات السالفة ولا بأس أن تستعمل
 هذا الدواء في أي حيوان معضوض بكلب كلب * وأزل ما على الجرح
 من الشعر ولو كان المعضوض اذنا أو ذنبا فلتقطعه ولتكويه على ما سبق موضع القطع

وينبغي ان تعزل البهائم المعسوسة عن غير هامن سائر البهائم حتى يزول ما بها ولا تعدي غير هائم العاشر الاستعانة على افاقة الغريق لاتيأس من فاقة الغريق. الا اذا اخذ بدنه في العفونة فحينئذ ولو مضت ساعات كثيرة من وقت غرقه أو ذهبت حركته بالكلية أو فقد أمارات الحياة فافعل به ما يستحقه عليك من واجبات الاخوة فقبل كل شيء أطرده من اجتماع عليه من الخلق لانه يضيق الصدر ويحجب الهواء نائياً لو رأيت الغريق قد فقد الحس والحركة فامل رأسه بحيث يكون وجهه الى أسفل وافتح شفتيه حتى يخرج بسهولة الماء الذي قد دخل من الفم او الاتف وارفع رأسه مغطاة بقانسوة من صوف ان تيسرت وادرج باقي بدنه في نحو ملحفة واقبله سريعاً الى اقرب موضع رابعا بعد وصوله اخلع ما عليه من الثياب باسهل ما يمكن ولو بقطعها بالآلات ان لزم * خامساً افرش له عند ذلك بعض طراحات ومخدرات بها بعض صلابة واجعلها قريباً من نار متقدة وضع فوق الطرايح ملحفة من الصوف ورقد الغريق فوقها مرفوع الرأس ملفوف البدن سادساً ذلك البدن تحت المالحفة بالرفق بخرقة صوف مدققة يابسة ثم ذلك بالمائعات القوية المستقرة على ظاهر بدنه خصوصاً على السرة وما حولها والاولى خصوصاً في الشتاء ان تسخن عاجلاً ماء وتملأ منه مثانات على الثلثين من ماء هين الحرارة وتضعها فوق أجزاء البدن المحتاجة للحرارة سابعاً مدة الدلك او عقب وضع المثانات ينبغي ان تدخل الهواء في صدره بان تضع قصبة او ريشة في فم المريض او في احدى طائقي انفه مع فتح الاخرى وانفخ في تلك القصبة بمنفاخ لدفع الهواء فيها فان كان النفخ في الفم فاقبص الاتف ولكن اريح أصابعك مرة بعد أخرى ليخرج منه الهواء أحياناً تامناً اشممه القلي البخاري

يعني الروح البخارية من ملح النشادر بان تقرطس ورقة حتى تكون
مبرومة في صورة قتيلة وتشربها من قزازة قلى بخارى وتعرضها تحت
انف الغريق او تدخلها في منخاره وتكرر هذا العمل مراراً باثرفق
تاسماً العقه ان أمكن يسيراً من روح الانبذة المخلوط بالكافور وربما
مكث هذا المائع في فيه يسيراً من الزمن ثم بلعه ولكن لا تملأ فيه منه
حتى يتعسر بلعه عاشرأ لو بلعها فاعطه اكثر منها فلو تحركت معدته من
غير وجود فيء وذلك مايتعبه فاعطه ثلاث حبوب من الطرطرمقى مذوبة
في ثلاثة او اربعة ملاعق ماء فان تقايا بهذه الكيفية فاسقه ماء قانرا وان
انزل من المخرج شيئاً فقوه بتناوله شيئاً من الانبذة حادي عشر لو أبطأ
عن الاحساس فاحقنه حقنة حريفة وصورتها ان تأخذ اوزاقا يابسة من
الدخان قدر نصف اوقية ومن الملح المعتاد ثلاثة دراهم وتغلى ذلك في
مقدار من الماء يعادله نحو ربع ساعة وتحقنه به ويصح ان تؤلف هذه
الحقنة من نصف طاسة ماء وطاسة خل وربع رطل من الملح المعتاد
وهذه كيفية معالجة الافاقة للغريق وتديرها ممكن لكل انسان حتى يحضر
الطبيب فيعينهم ايضاً ولو كانت مفيدة ففائدتها لا تحصل الا بعد التدبير
مدة ساعات على التوالي ففائدة ذلك بطيئة خفية ولذلك كان اللازم
استدامة ذلك زمناً فمن العرقى من لا يفيق الا بعد ست ساعات او سبعة
من مبدء خروجه من الماء الحادي عشر غيبوبة الحياة برائحة بيوت
الاخلية والبالوعات والآبار والمجازى ونحوها أولاً اخرج سريعاً من
أصيب بهذا الهاء وضعه تحت الهواء ثانياً جرده من الثياب ورش على
بدنه ماء بارداً او ماء مشوباً بنخل وهو أولى وأولى منه حامض الخير
ثالثاً العقه ماء بارداً ممزوجاً بقليل من الخل رابعاً احقنه بحقنة ماء بارد

ثلثها خل ثم بعد ذلك احقنه بملح ذائب خامساً ادخل في انفه طرف
شعر ريشة وحركها بالرفق سادساً ادخل الهواء في صدره بواسطة
قصبة وانفخها بمنفاخ كما سلف في الغريق عند العمل السابع واسلك
سيل النشاط والاستعجال في هذه المعالجة فكلما أبطأت كلما ظن اليأس
من انتاجها ولما كان الموت لا ينكشف الا بعد مدة تحتم ادامة المعالجة
حتى يتيقن * الثاني عشر غيوبة الحياة بالبرودة اعلم ان شدة البرد قد
تستحكم باعمالها في الانسان فتجمد الاعضاء وتحبس جريان الدم وربما
مات بها الانسان ودواؤها مخوف العاقبة جداً وان كان لا ألم به أبداً
فمباديها هو الرعشة التي تكاد ان تكون مصرعة وصلابة الجسم والحباس
الدم وخدر المفاصل وذهاب الاحساس والتذاذ البدن بالنوم وانقياده
اليه ولو بالقهر وانقطاع حركات الحياة على التدريج وعاقبته خروج المبتلى
به من حيز الاحياء الى حيز الاموات وفي الحقيقة حركات الحياة ليست
الا متوقفة فعليك ان تسرع في معالجته بدواء سواء ذهبت امارات الحياة
بالكلية او بقي منها شيء واعلم ان بعض الناس توهم ان معالجة افاقته
تكون بالحرارة وهذا وهم فاسد لاضرار الحرارة بكثير من الناس
ولكن معالجته هي ان تلف أولاً بدنه في ملحفة من صوف وتحمله الى
اقرب ما يرتاح فيه من الاماكن ويخلع ثيابه وتضعه في فرش غير محمي
ثانياً اذا كان عندك ثلج فذلك البدن مع رفق بشيء من ذلك ماراً من
القلب الى المفاصل ثم بعد لحظات ادلكه بدل الثايج بخرقة مسقية بماء
بارد وبعده بماء فاتر ثم بماء مسخن ورش على وجهه شيئاً من هذه المياه
ثالثاً لو تعذر الثلج فضعه في حمام فيه ماء بئر بارد وبعد نحو ثلاثة دقائق
افرغ عليه قليلاً من الماء المسخن وهلم جرا فافرغ عليه كل ثلاثة دقائق

حتى تذهب برودة الماء على التدرج ويصير قاترا معتدلا . واعمل جميع ذلك نحو ثلاثة ارباع ساعة فقط . فان استشعرت برجوع حركة نبض المريض فلك ان تزيد حرارة الحمام حتى يصير في درجة سخونة الحمام المعتاد وما دام المريض في الحمام فرش على وجهه يسيراً من ماء بارد بعد تدليكك بمخرقة رقيقة * رابعاً المسح في انفه بطرف ريشة او بفيلة ورق مسقية من القلي البخاري * خامساً ادخل الهواء في صدره بواسطة انبوبة او منفاخ كما سبق في الفريق * سادساً اعطه سفوفاً حبات من الملح المعتاد والعقه لعقبتين ماء بارداً مخلوطاً بقطرات من ماء الملسكة * سابعا اذا بقي بالمريض الخدر فاسقه قليلاً من ماء ممزوج بنخل وان كان نومه به سبات فاحقنه بمحقنة حادة وهي ما تقدمت في شأن الفريق ومن سوء الخطأ توهم ان استعمال الخمر والمسكرات القوية يمكن ان يتدارك بها ابعاد هذا الداء مع ان الامر بعكس ذلك وهو ان كثرة الاشربة تحبس جريان الدم فمن ينهك على تعاطيها فهو أشد تأثراً من غيره .

بآفات البرودة * الثالث عشر غيبوبة الحياة بدخان الفحم كل من يمكنه في غرفة مغلوقة موقود بها فحم فقد ألقى نفسه في مهلكة فبدوها يحصل للانسان شدة وجع الرأس وبعد ذلك يعتريه تعسر النفس ثم يقع في ذبول كحالة الموتى فان عولج فذاك وإلا هلك ومعالجته هي ان تسرع الى تعريضه في الهواء وتجرده من أثوابه وتنبهه على ظهره وتسقيه ماء بمزوج بنخل وترش من هذا الماء على وجهه وصدره وتبل خرقه من ذلك الماء وتدلك بدنه بها وتمسح وجهه ثم تعيد ذلك جملة مرات وتقرّب نحو مشامة عود كبريت مشتعل او غيره من حاد الرائحة وتغمزه في باطن انفه بطرف ريشة وتحقنه مرتين الاولى بماء ممزوج بنخل

والثانية بماء ملح فان بقي بعد ذلك على حاله فذلك فقار ظهره بممسحة من عرف حيوان والطنخ شيئاً من معجون الخردل على بطن رجليه وادخل الهواء في صدره بان تدخل في احدى طاقتي انفه ثم منفاخ وتنفخ والحال ان الاخرى مسدودة فاجتهد وواطب على ذلك وليس في الغالب يفوق المريض فان ساعدتك المقادير على افاقته وظهر شيء من امارات الحياة فضعه في فرش عظيم التسخين في غرفة بها الهواء والعقه شيئاً من خير الاشربة * الرابع عشر في معالجة الحرق اول ما يحترق عضو الانسان فليغمس العضو في ابرد ما يمكن من الماء وان تعذر غمسه في الماء فرشه دائماً باسفنجة مملوءة منه وكلما تسخن الماء المستعمل في ذلك الغسل فجدده وواطب على ذلك ساعات واقتح ما ينتفخ من الدمايل بطرف ابرة واحذر ان تفشيخها أو تساخ البشرة ثم الطبخ على ذلك العضو المرهم المملصوق على بعض خرقه رقيقة بورق اللازوق ومحن هذا كله ما لم يمض نصف ساعة قبل غسل العضو المحروق في ماء بارد والا فهذا الدواء يكون مضرأ بل في هذه الحالة لا بد ان تكثفي باستعمال المرهم الذي تنوب عنه الزبدة الطرية ولو رأيت الحرق امتد على العضو بتمامه فعليك بالحكيم لتستعين به على ذلك * الخامس عشر في الجدري والتخلص من مجيئه بتلقيح البقري أمراً الجدري معلوم وكونه اما قاتلاً او مشوها سيما بالوجه بين عند سائر الناس وربما اذهب البصر وأورث أسقاماً لا تنقضي الا بانقضاء الاجل وهناك طريقة لتداركه قبل أو انه مجربة فمن مرض بالجدري مع وجودها فهو من سوء تقريط والديه واهمالهم فعلى أب الانسان وأمه المبادرة لذلك فاذا بلغ سن المولود ستة أسابيع الى ثمانية وجب طلب الحكيم ليخرج سم الجدري بالتلقيح ولا

عذر لهما ان اهملا في ذلك لقدرتهما على مداواة ولدهما فلو تركاه حتى
أصيب بالجدرى فقد فات أوان استعمال تلقيح البقرى فيندمان حيث
لا ينفع الندم وفي بعض الممالك تلقيح البقرى للأطفال معين على بيته
المال فلا كلفة فيه خصوصا على الفقراء فعلى أهل هذه المملكة ان يقبلوا
عليه في الحال ولا يتأخروا الى غد فربما في اليوم القابل تحرك سم الجدرى
ولا يفتقر بقول من يزعم انه غير مضر شيئا فصحيح التجربة أوضح فائدة
استعماله ومن استعماله لطفل فأصيب الطفل بعد ذلك بالجدرى فذلك
لفقد شروط كون التلقيح كان غير محكم الوضع والحبات الذي أخذت
كانت غير تامة فاذا استعمالته في المولود فاطلع الحكيم على حبات البقرى
تحقق اصابة استعماله وعدمها واستعمال تلقيح البقرى غير مؤلم فهو أخف
من شكة ابرة ولا يمرض به الانسان ويصح استعماله لاي عمر كان والجدرى
داء متوقع مدة أجل الانسان حتى كانه دين ماله الى القضاء وقضاؤه
يحصل بالمساوغة الى استعمال تلقيح البقرى لمن يريد التخلص من اصابته
* خاتمة * هذا آخر ما أردنا شرحه من النصاب النافعة للصحة * فالصحة
جوهر نفيس عن سائر ماعداه * اذ يسلبها لا تنفع زينة الحياة * فما
ثمرة الاموال لعليل * لا يتمتع منها بشفاء الغليل * يذهب المريض كنوز
ذهبه * لمن يبريه من وصبه * ومع ذلك قد يكون خلاف غرضه *
فلا يصح له الشفاء من مرضه * تفرع الامراض باب الخطير * على
نسق ما تفرع باب الحقير * ولا ترق لشكواه * ولا تسمع دعواه * حكمة
بالغة للحكم العدل * ذى الاقتدار والفضل * فليس بنا قوة ولا حول
بل الكل بحول وقوة ذى الطول * فهو الممرض والشافي * والمبتلى
والمعافي * هانحن الآن في خيز الحيات والثبات * ولا ندري هل نعد

غدا في زمرة الاموات * فهذا سر خفي لا يصل الى فهمه * كيف وقد
استأثر الله به غامض علمه * فلا تنق بالمخايل الظاهرة * من الصحة الزاهية
الزاهرة * فربما في أسرع من البرق اللامع * تعترينا الامراض وتلزمنا
المضاجع * وقدرتنا على القبض على الاجل * وحفظ الصحة من الخلل
كاقدارنا على عروج السما * واتخاذ الافلاك ملزما * فعلينا بالاستعداد
للمعاد * ولنكن كالمسافر المستحضر على الحمل والازاد * العازم على الرحيل
الجازم من الاقامة بالقليل * قد كان بالامس نوبة الجار * وستأتي غدا
نوبة صاحب الدار ولا خوف علينا ولا حزن * حيث كان خلاص ذمتنا
حسن * هذه والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على نبيه وآله وصحبه وسلم

الفصل العاشر في فعل الخير بمدينة باريس

اعلم أن غالب الناس ببلاد الافرنج وسائر البلاد التي تكثر الصناعة
والنجامة فيها يعيشون من كسب أيديهم فاذا حصل للانسان منهم مانع
كمرض أو نحوه فقد معيشته واضطر الى أن يعيش من غير كسب يده
كان يتكفف الناس أو نحو ذلك فشرعت المارستانات المعدة لفعل الخير حتى
أن الانسان لا يسأل ما في أيدي الناس وكلما كثرت صنائع بلدة وكثر كسبها
كثرت أهاليها فاحتاجت الى مارستانات أكثر من غيرها ومعلوم أن
مدينة باريس من أعمر المدن وأكثرها صناعة ونجامة فلذلك كثرت
مارستاناتها ومواضعها المصنوعة لفعل الخير فكانت مارستاناتها وجمعيات
فعل الخير بها سادة لخلل شح افراد أهلها وبخلهم لما تقدم انهم بمعزل
عن الكرم من العرب فليس عندهم حاتم طي ولا ابنه عدى ولم يخرج
من بلادهم معن ابن زايدة الشهير بالحلم والندى الذي قال فيه الشاعر

يقولون معن لا زكاة لماله * وكيف يزكى المال من هو باذله
 اذا حال حول لم تجد في دياره * من المال الا ذكره وجماله
 تراء اذا حاجته مهلاً * كأنك تعطيه الذي أنت نائله
 هو البحر من كل النواحي أتيته * ولجته المعروف والبر ساحله
 اذا مر بالوادي فتبكي تلاله * عليه وبالنادي فتبكي أرامله
 تعود بسط الكف حتي لو انه * أراد انقباضاً لم تطعه أنامله
 ولو كان مافي كفه غير روحه * لجاد بها فليتنق الله سائله

ولم يسمع في بلادهم عند ملوكهم ووزرائهم شيء ولو يسيراً مما يحكي عنه
 بني العباس والبرامكة اصلاً فالملك المنصور المشهور بالدواني اكرم الكرماء
 بالنسبة اليهم نعم ان البلاد المتحضرة يقل كرمها وأيضاً يزون أن إعطاء
 القادر على الشغل شيئاً فيه اعانة له على عدم التكسب وفي مدينة باريس
 ديوان لتدبير المارستانات وأهلها خمسة عشر نفساً للمشورة العامة وفي
 هذا الديوان خمسة نظارات النظاوة الاولى لمباشرة المارستان النظارة
 الثانية لمباشرة مهمات المارستانات والخدمة للمرضى والعقاقير العامة النظارة
 الثالثة لمباشرة الاوقاف والنظارة الرابعة لمباشرة الفقراء في بيوتهم واعانتهم
 النظارة الخامسة لمباشرة مصاريف المارستان وتوابعها ولا يدخل الانسان
 المارستان الا اذا ثبت مرضه بقول الحكماء ومن قام من مرضه في
 المارستان وأراد أن يخرج منه قبل أن يتم شفاؤه وترجع له قوته أخذ
 من الوقف بعض شيء يستعين به على قوته حتي يمكنه الرجوع الى
 أشغاله وأعظم مارستان باريس المارستان المسمي أوتيل ديوي يقرب أن
 يكون معناه بيت الله وهو موقوف على المرضى والجرحى ولا يدخل فيه
 الاطفال ولا أرباب الداء العضال ولا المجانين ولا النفساء ولا أرباب

الامراض المزمنة ولا المبتلي بالافرنجي فان كل داء من هذه الاشياء له
مارستان خاص ومن المارستانات الشهيرة في باريس مارستان يسمى سنلويز
وهو معد لارباب الامراض المزمنة ولارباب الدمايل والقوبة والحكة
والجرب ونحو ذلك وفي باريس مارستان للقطة يعني الاطفال الذين
يلتقطونهم من الطرق فيدخل فيه الذين يهملهم اهلهم كالولاد الزنا ونحو
ذلك وفي باريس مارستان ايضا للايتام وفيه يدخل الاولاد الفاقدون
لاهلهم وهو موقوف على نحو ثمانماية ذكر وانثى فالذكور فيه في شقة
والاناث في اخري ويباشر هذا المارستان عدة راهبات تسمى عندهم
اخوات الاحسان ويتعلم صغار هذا المارستان فيه القراءة والكتابة والحساب
ولهذا المارستان ديوان يدبره فلا يوضع الصغير في هذا المارستان الا
بامر هذا الديوان واذا بلغ الانسان احد عشر سنة في السن فانه يخرج
باذن اهل ذلك الديوان من هذا المارستان ويسكن عند معلم صنعة ومصرفه
يخرج من وقف المارستان وللمعلم الصنعة ان يتبنى الصغير اي يأخذه
وينزله منزلة ابنه ولكن بشرط ان يثبت لاهل ذلك الديوان يساره وفضله
وحسن حاله ومن جملة مارستانات باريس مارستان موقوف لتلقيح
الجذري بوضع البقري ومنها مارستانان يسميان مارستاني الشيخوخة
والهرم فاحدهما للذكور والاخر للنساء ومنها مارستان لاصحاب الداء
العضال موقوف على اربعمائة وخمسين مريضا ذكرا وخمسمائة وعشرين
مريضة ومنها مارستان العميان من اهل باريس او غيرها من العمالات
فلهم فيه الاكل والشرب وسائر ما يحتاجون اليه في تعليمهم ونحو ذلك ومنها
مارستان المجانين وفيه قشلة عظيمة تسمى مارستان السقط وفيه يوضع
مجارح الحروب ومقاطيع الايدي والارجل او نحو ذلك وهو من انظف

واعظم المارستانات وفيه ستة عشر طبيباً وجراحياً وستة عقاقيرية
لصناعة الادوية ويوجد في باريس زيادة عن هذه المارستانات ديوان
عام يسمى ديوان الاحسان والمقصود منه تكميل الخير الذي لا يمكن في
المارستانات كما اذا حرق تجارة تاجر او انكسرفانه يجبر من هذا الديوان
بشروط معلومة وفي كل خط بباريس ديوان احسان والاحسان فيه قسمان
احسان حالى واحسان حولى فالاول يعطي للفقير الذي وقف حاله
او حدث له ما يعطله والثاني لمن به حالة دائمة تمنعه من الشغل ومن فعل
الخير بمدينة باريس انه يوجد بشاطئ نهرها علب وحوائج بها روايح
لتشميم الفريق والمغشي عليه والجريح ونحو ذلك ليفيق ويوجد أيضاً بهذه
المواضع عدة رجال من أهل الخبرة لينهضوا لاسعاف من وقعت له حادثة
عارضة ومن هذا كله يتبين أن فعل الخير بمدينة باريس أكثر منه في
غيرها بالنسبة للأجملة أو للمملكة لالكل واحد على حدته فانه قد يشاهد
في طرقها أن بعض الناس الذين يذهبون الى المارستانات الموقوفة ونحوها
يقع في وسط الطريق من الجوع وربما تراهم ينهرون السائل ويردونه
خائباً زاعمين أنه لا ينبغي السؤال أبداً لانه اذا كان السائل قادراً على الشغل
فلا حاجة له الى السؤال وان كان عاجزاً عنه فعليه بالمارستانات ونحوها
ولان السائلين عندهم أصحاب حيل في تحصيل الاموال في غالب الاحوال
حتى أنهم يتشكلون في صورة الجارح ونحوهم ليشفق الناس عليهم
ويرقوا لحالهم ومن فعل الخير أنهم يجمعون عند الحاجة أشياء لمن
نكبه الزمان حتى يصير بها غنياً فمن ذلك أنهم جمعوا لاولاد الجزال
نحو مليونين من الفرنكات يعني ستة ملايين قروش

الفصل الحادي عشر في كسب مدينة باريس ومهارتها

اعلم أن من المراكز في أذهان هؤلاء الطوائف محبة المكسب والشغف به وصرف الهمة اليه بالكلية ومدح الهمة والحركة وذم الكسل والتواني. حتى أن كلمة التوبيخ المستعملة عندهم على السنتهم في الذم هي لفظة الكسل والتنبلة وسواء في محبة الاشغال العظيم والحقير ولو حصل من ذلك مشقة أو مخاطرة بالنفس فكانهم فهموا قول الشاعر

حب السلامة يثني عزم صاحبه * عن المعالي ويفري المرء بالكسل
فان جنبحت اليه فاتخذ نفقا * في الارض أو سلم في الجب واعتزل
ودع غماز العلي للمقدمين على * ركوبها واقتنع منهم بالامل
الى ان قال

فتما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول في الدنيا على رجل
ثم ان أعظم التجارات وأشهرها في باريس معاملات الصيارفة والصيارفة قسمان صيارفة المملكة أو الميري وصيارفة باريس ووظيفة صيارفة الدولة بالنسبة للتجارة ان تودع الناس ما يريدون وضعه ويأخذون كل سنة ربحه المعين في قانونهم فلا يعد عندهم هذا الربح ربا الا اذا زاد عما في القانون وللانسان أن يأخذ ما أودعه من المعاملة عند صيارفة الدولة متى أراد ومثل ذلك صيارفة باريس فانهم يأخذون ويعطون الاموال بالمراجحة وهم يعطون الربح أزيد مما تعطيه صيارفة بيت المال الذين هم صيارفة المملكة ولكن المال المودع عند صيارفة المملكة آمن من المودع عند صيارفة المدينة وذلك لان صيارفة المدينة قد يفلسون وأما صيارفة الدولة فان ما يأخذونه يكون دينا على الدولة والدولة دائمة

موجودة ومن امور المعاملات المهمة عند اهل باريس جمعية تسمى
الشركا في الضمانة فانها تضمن لمن يدفع لها كل سنة قدرا هينا مخصوصا
صائر ما يتلف في بيته بمحادثة قهرية كما اذا انحرق بيته او حانوته او نحر
ذلك فانها ترجمه له كما كان وتدفع له قيمته وفي مدينة باريس معامل
سلطانية ومعامل غير سلطانية فمنها معامل المعادن كاشتغال الفضة والذهب
واتخاذ الآنية منهما ومنها معامل الصيني والفرפורى ومعامل الشمع
الاسكندراني ومعامل الصابون والقطن والجلود المدبوغة وشغل
السختيان ونحو ذلك وصناعاتهم تعظم جودتها شيأ فشيأ حتي انهم كل
نحو ثلاثة سنوات يعرضون اشغالهم على رؤس الاشهاد ويظهرون ما
اخترعوه وما كملوه وفي باريس عدة خاانة عظمي توجد فيها سائر
المبيعات ووكلل وحوانيت وبيوت للتجارة او الصناعة مكتوب على
واجهتها اسم التاجر واسم تجارته وبعض الاحيان قد يكتب اسم المتجر
ولا يمكن ان يشرع الانسان في التجارة الا اذا دفع ليت المال شيأ
ولو هينا فياخذ نشانا علامة على الاذن له في التجارة فيحتاج ان يكون
معه النشان وعلى تجارته وللتجارة مكتب مخصوص يسمى مكتب التجارة
يتعلم فيه التلامذة علم التجارة وعلم تمييز صفات انواع الاشياء المبيعة
ومعرفة الاثمان والقيم وفي هذا المكتب خمسة عشرة مدرسة وفيه تلامذة
من اقاليم عديدة وبمقتضي قانون ذلك المكتب انه يدفع القدر المعين يقبل
من اراد الدخول للتعليم من سائر الائم ومن الامور التي تعين على النجامة
والكسب تعمير طرق البر والبحر فمن ذلك صناعة الخلجان والقوارب التي
تسير بالدخان ونصب القناطر ونصب دواوين تسفير العرباب الكبيرة
والتي اغراف وهي الاشارة ونصب البريد بالساعي والبريد بالحيل وغير ذلك

فانظر الى مدينة باريس فان حولها اربعة خلجان تأتي منها المتاجر وفي
نهر السين تسير قوارب على صورة العربات وقوارب تمشي بالبار سريعة
الشير وبمدينة باريس جملة أنواع من العربات مختلفة الشكل والاسم
والسير والاستعمال فمنها عربات معدة لوسق الامتعة من باريس الى البلاد
البرانية وتسمى رولا حة ومنها جنس معد لوسقه بالناس ليسافر فيه الناس
ويسمى الدجنس ومنها عربات صغيرة للسفر الى المحال القريبة من باريس
تسمى كوكو بضم الكافين ويدفع فيها على كل رأس قدرا معلوما كالسفر
في السفن وفي باريس عربات تستأجر الى أجل معلوم كيوم أو شهر أو سنة
والعربات العادية في باريس هي الفيا كره وهي مافها مقعد فيه سدلنان
متمقابلتان تسعان ستة انفس ولها حصانان يسحبانها والكيريوله وهي نصف
الفيا كره فلها سدة واحدة وركوب الفيا كره أو الكيريولة تكون أجرته
بالساعة أو يستأجره من محل الى محل آخر وأجرة ذلك محدودة لا تزيد
ولا تنقص ووجودها في سائر طرق باريس أكثر من وجود الخير
في طريق القاهرة وقد تجددت الآن عربيات كبيرة تسمى الامنيوسه
معناها لكل الخلق وهي عربات كبيرة تسع كثيراً من الخلق مكتوب
على بابها أنها تمشي الى الحارة الفلانية فكل الناس الداهين الى حارة
واحدة يركبونها ويدفع كل منهم قدراً معيناً وهي موجودة في أمهات
خطوط باريس ومن العربيات جنس ينقل أمتعة البيوت ومنها عجلات
البياعين ويوسقونها ويدورون بها في الطرق لبيعتها وهذه العجلات
قد يسحبها حصان وقد يسحبها حمار وقد يسحبها شخص واحد أو مع
كلبه وبها أجناس آخر من العجلات لحمل الحجارة والتراب وغير ذلك
وأما البريد المسمى عند الفرنسيين البسطة فإنه من أهم المصالح النافعة

في التجارات وغيرها يسهل فيه أخبار الغير بواسطة المكاتبات التي تذهب عاجلاً ويأتي ردها في أسرع ما يكون وتديرها بكيفية التي هي عليها من أعظم ما يمكن فإن المكاتب التي تبعث في البلد أو العمالة تصل إلى صاحبها من غير شك لأن سائر نمرة اليوت مكتوب عليها بالرقم عددها المسمي النمرة فيها يمتاز البيت عما عداه والمكتوب الذي تبعثه لأنسان تضعه في محل المكاتب الموضوع في كل حارة فيأتي الساعي ويأخذه فيصل المكتوب إلى الحارة الأخرى ويأتي رده في يومه ثم أن الفرنسية يحترمون أمور المراسلات غاية الامكان فلا يمكن لأنسان أن يفتح مكتوباً مهنوناً باسم آخر ولو كان متهماً بشيء ولما كان احترام المراسلات بباريس على هذه الحالة كثرت الرسائل بين الأحياء والأصحاب خصوصاً بين العشاق لأن الانسان على مكتوبه من أن يفتحه غير المرسل إليه المعنون باسمه وأعلام العشاق بين العاشق ومعشوقه يكون بالمراسلة وبها أيضاً يحصل الوعد بالمواصلة وفي باريس محل لارسال المعاملات والحوائج مع الساعي أيضاً من غير خوف أبداً ومن الأمور النافعة في التجارات الجرنالات فيكتبون فيها كثيراً من البضاعة النافعة أو الحيدة الصنعة ويمدحونها ليروجوا الساع وليعلموا الناس بها وصاحب البضاعة يدفع لهم شيئاً في نظير ذلك وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى وقد يطبع التاجر الذي يريد ترويج سلعته عدة أوراق صغيرة ويرسلها مع خدم في سائر اليوت ولسائر المارين بالطرق ويفرقها عليهم مجاناً في هذه الأوراق يذكر اسمه واسم دكانه وما عنده من المبيع ويعين القيمة لسلعته وبالجملة ففي مدينة باريس يباع سائر ما يوجد في الدنيا سواء كان خطيراً أو حقيراً ومن أعظم الأشياء دكاكين العقاقير

فبها توجد سائر الادوية مجهزة وسائر العقاقير التي على وجه الارض
المعروفة الاسم والخاصية وسائر الخلق بباريس يحبون الكسب والتجارة
سواء الغني والفقير حتى أن الصغير الذي لا يمكنه التكلم الا بالاشياء
الصغيرة اذا أعطيته فلساً يفرح به ويصفق بيده قائلاً مامعناه بالعربية
كسبت وقيت ولولا أن كسبهم مشوب في الغالب بالربا لكانوا أطيب
الامم كسباً واذا كسدت تجارة أحدهم كما هو غالب في تلك البلاد فسد
حاله وآل أمره الى تطلب ما في أيدي الناس وربما أخذ معه مكتوباً
من أحد الكبار يدل على كساد حاله وأنه يستحق الاعانة ويكثر
وقوع مثل هذا الامر في هذه المدينة وإن كثر اخذها وعطاؤها وتداول
الامطار والرياح لا يمنع الانسان منهم الخروج الي شغله يقولون بلسان
حاليهم اليد الفارغة تسارع الي الشر والقلب الفارغ يسارع الي الاسم واهل
باريس اغنياء جدا حتى ان المتوسط منهم اغني من تاجر عظيم من تجار
لقاهرة فلا يرضون قول الشاعر

ولا نخر الا بالذوال وبالعطى * وليس يجمع المال عز ولا نخر
بل يحرصون على الاموال ويسلكون سبيل الحرص زاعمين أنه
يزيد في الارزاق ولا يفتدون بقول الشاعر

وليس يزداد في رزق حريص * ولو ركب العواصف كي يزداد
وقد يوجد بها من أهالي الحرف الدنيئة من اراده كل سنة أبلغ من
مائة ألف فربك وذلك من كان العدل عندهم فهو المعول عليه في أصول
سياساتهم فلا تطول عندهم ولاية ملك جبار أو وزير اشهر بينهم أنه
تعدى مرة وجار ولا شك أنهم يأسسون في قلوبهم قول الشاعر
وانلك الحيار والنيع * ما عنده هاد ولا شفيع

رعية الجبار مرعي الحرب * والملك العادل نصف الخصب
وهذا لا يمنع من أنهم يدفعون الميري عن طيب خاطر لما أنهم يرون
ان الخراج عمود الملك اذا دفع كل انسان منهم ما هو عليه قادر فقال الميري هو
قوام صورة الممالك واحسان مصرفه في استحقاقه خير مما هنالك قال الشاعر
والمال أس اقيام الصورة * وخير منه صالح المشورة
ولما كانت رعيتهم رايعة كانت الدولة عندهم لها أيراد سنوي عظيم
فان أيراد الدولة الفرنسية كل سنة نحو تسعمائة وتسعة وثمانين مليون
فربك ومن جملة أسباب غناء الفرنسية أنهم يعرفون التوفير وتدبير
المصاريف حتى أنهم دونوه وجميلوه علما متفرعا من تدبير الامور الملكية
ولهم فيه حيل عظيمة على تحصيل الغنا فمن ذلك عدم تعاقبهم بالاشياء المقتضية
للمصاريف فان الوزير مثلا ليس له أزيد من نحو خمسة عشر خادما واذا
مشى في الطريق لا تعرفه من غيره فانه يقال أتباعه ما أمكنه داخل داه
وخارجه وقد سمعت ان قريب ملك الفرنسيين المسحى الدولك دراج
وهو الان السلطان الذي هو من أعظم الفرنسيين مقاما وأكثر
غناء له من الاتباع وسائر من في طرفه من العساكر ونحوها كالإستاد
والخدم وغير ذلك نحو أربعماية نفس لا غير والفرنساوية يستكثرون
عليه فانظر الفرق بين باريس ومصر حيث أن العسكري بمصر له عدة

الفصل الثاني عشر في دين اهل باريس

قد تقدم لنا في الشرطة ان دين الدولة هو دين النصارى القائلون
وقد بطل هذا الشرط بعد الفتنة الاخيرة وهم يعرفون للبابا الذي
ملك رومة بانه عظيم النصارى وكبير ملتهم وكما ان الدين القائلون

دين الدولة الفرنسية كذلك دين غالب الناس عندهم وقد يوجد بباريس
 الملة النصرانية المسماة البروتستانتية وغيرها ويوجد بها كثير من اليهود
 المستوطنين ولا وجود لمسلم مستوطن بها وقد أسلفنا أن الفرنسية على
 الإطلاق ليس لهم من دين النصرانية غير الاسم فهم داخلون في اسم
 الكتابيين فلا يعتنون بما حرمه دينهم أو أوجب أو نحو ذلك ففي أيام
 الصيام في باريس لا ينقطع أكل اللحم في سائر البيوت إلا ما ندر كبعض
 القسس وبيت ملك فرنسا القديس وأما بقى أهل المدينة فانهم
 يستهزؤون بذلك ولا يفعلونه أبداً ويقولون أن سائر تعبدات الأديان
 التي لا نعرف حكمها من البدع والالوهام ولا تعظم القسس في هذه
 البلاد إلا في الكنائس عند من يذهب اليهم ولا يسأل عنهم أبداً فكانهم
 ليسوا إلا أعداء الأنوار والمعارف ويقال أن غالب ممالك الأفرنج مثل
 باريس في مادة الأديان ثم أن مسيوداسي لما أطلع على ذلك كتب عليه مانصه
 قولا أن الفرنسية ليس لهم دين البتة وأنهم ليسوا نصارى إلا بالاسم
 فيه نظر نعم أن كثيراً من الفرنسية خصوصاً من سكان باريس ليسوا
 نصارى إلا بالاسم فقط لا يعتقدون اعتقادات دينهم ولا يتعبدون بعبادات
 النصرانية بل هم في أعمالهم لا يتبعون إلا أهواءهم تشغلهم أمور الدنيا
 عن ذكر الآخرة تراهم مادامت حياتهم لا يهتمون إلا باكتساب الأموال
 بأي وجه كان وإذا حضرهم الموت ماتوا كالبهائم ولكن فيهم أيضاً من
 يقيم على دين أبائهم يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل الصالحات وهم طائفة
 لا تحصى من الرجال والنساء ومن العوام والخواص بل ومن المشهورين
 بفضل العلم والأدب غير أنهم في ورعهم وتقاهم على مراتب شتى منهم
 من يشارك عامة الناس في تصرفاتهم ويحضر معهم في محافل اللذات أعني

السبكتا كل والبال ومجامع الاغاني ومنهم المتقشفون المعرضون عن كل
مائشيه الانفس وهؤلاء اقل عددا وان دخلت كنايسنا أيام الاعياد
المعظمة ظهر لك صحة قولي هذا انتهت عبارته والحامل له على ذلك كونه
من أرباب الديانة وعددهم نادر لاحكام له ومن الخصال العاديه المهولة
ببلاد الفرنسيس أو ببلاد النصارى القاتوليكية عدم الاذن بزواج القسيسين
على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم فان عدم زواجهم يزيدهم فسقا على
فسقهم ومن الخصال الذميمة أن القسيسين يعتقدون أنه يجب على العامة
أن يعترفوا لهم بسائر ذنوبهم ليغفروها لهم فيحكث القسيس في الكنيسة
على كرسي يسمى كرسي الاعتراف فسائر من أراد أن تغفر ذنوبه ذهب
الى كرسي الاعتراف داخل باب بينه وبين القسيس حایل كالشبكة
فيجلس ثم يعترف قدامه بذنوبه ويستغفره فيغفر له وقد عرف عندهم
ان أكثر من يدخل الكنيسة أو يذهب الى الاعتراف يكون من النساء
والصغار وهذا موافق لقول بعض شعراء العرب

أيدن من خل الكنيسة * يوما يلقى فيها جاذرا وظباء

ودرجة القسيسية عندهم مختلفة فالوهم الكردينال وهو بعد البابا في الرتبة
وذلك ان البابا قبل توليته يشترط ان يكون كردينا لا ثم بعده المطران ثم
بعده الاسقف ثم الحورى ثم نايب الحورى ثم الشماس وعند الفرنسيس
اعياد دينية منتقلة يعنى لا تقع في يوم معين كل سنة بل هي دورية ومرتبعة
في الغالب على وقوع عيد الفصح فن اعيادهم الغريبة عيد الرفاع وقد تقدم
ومنها عيد ظهور السيد المسيح ويسمى عند الفرنسيس عيد الملوك وذلك
ان كل عائلة تصنع فطيرة عظيمة وتضع فيها حبة فول في عجبتها
ويسمون الفطيرة على الزدامي فكل من جاءت حبة الفول في نصيبه فهو الملك

فان جاءت في نصيب رجل فانه يسمي باسم الملك ويخطب فوق المائدة
وتقام الليلة بخطاب الملوك ثم يختار من النساء امرأة يجعلها الملكة فتخطب
ايضا بذلك الخطاب وان جاءت الفولة في نصيب امرأة فانها ايضا تختار
من الحاضرين شخصا كالزوج لها وتطلق عليه اسم الملك فيكون سائر
اكرام الليلة للملك والملكة برسوم خاصة وقوانين مألوفة وهذه الكيفية
تصنع في سائر البيوت في مدينة باريس حتي بيت ملك الفرنسي ومن
جملة بدع القسيسين انهم يصنعون في عيد القربان موكبا ويلبسون فيه
حلالا مطرزة ويدورون المدينة بشيء يسمونه البونديو وكلمة البونديو
مركبة من كلمتين الاولى بون ومعناها طيب او عظيم والثانية ديو ومعناها
الآله فكانهم يقولون ان الآله حاضرون في الجحفة التي بين ايدي
القسوس والمراد عندهم بالبونديو عيسى عليه السلام والفرنساوية
يعرفون ان هذه الامور من باب الهوس الذي يندس بلادهم ويذري
بعقول اهلهما غاية الامر ان العيلة السلطانية كانت تعين القسيسين على هذه
الامور فتتمثل الرعية لذلك مع غاية الخط والتشنيع وللقسيسين بدع
لا تحصى واهل باريس يعرفون بطلانها ويهزؤون بها ولهم اعياد اخر لا
يسمونها هذا الكتاب ثم ان لكل انسان من الفرنسيات عيد وهو يوم
مولد القديس الموافق له في اسمه فاذا كان انسان اسمه بولص مثلا فان
عيده يكون عيد ماري بولص فتري كل انسان اسمه بولص يصنع وليمة
ويشهر عيده وفي عيد الانسان يهادونه بانواع الازهار



﴿ الفصل الثالث عشر في ذكر تقدم أهل باريس في العلوم ﴾
 ﴿ والفنون والصنائع وذكر ترتيبهم وايضاح مايتعاق بذلك ﴾

الذي يظهر ان تأمل في احوال العلوم والفنون الادبية والصناعة في هذا العصر بمدينة باريس ان المعارف البشرية قد انتشرت وبلغت اوجها بهذه المدينة وانه لا يوجد من حكماء الافرنج من يضاهي حكماء باريس بل ولا في الحكماء المتقدمين كما هو الظاهر ايضا غير ان صاحب النقد السيد قد يقول ان سائر الفنون العلمية التي يظهر اثرها بالتجارب معرفة هؤلاء الحكماء بها ثابتة واتقانها عندهم لا نزاع فيه كما يشهد لذلك قول بعض اجلة الحكماء الامور بتمامها والاعمال بخواتمها والصنائع باستدامتها واما اغلب العلوم والفنون النظرية فانها معروفة لهم غاية المعرفة ولكن لهم بعض اعتقادات فلسفية خارجة عن قانون العقل بالنسبة لغيرهم من الامة غير انهم يوهونها ويقونها حتي يظهر للانسان صدقها وصحتها كما في علم الهيئة مثلا فانهم محققون فيه واعلم ممن عداهم بسبب معرفتهم بأسرار الآلات المعروفة من قديم الزمان والمخترعة له ومن المعلوم ان المعرفة بأسرار الآلات اقوى معين على الصناعات غير ان لهم في العلوم الحسكية حشوات ضلالية مخالفة لسائر الكتب السماوية ويطبقون على ذلك ادلة يعسر على الانسان ردها وسيأتي لنا كثير من بدعهم ونذبه عليها في محالها ان شاء الله تعالى ولنقل هنا ان كتب الفلاسفة بأسرها محشوة بكثير من هذه البدع فسائر كتب الفلسفة يجري فيها الحكم الثالث من الخلاف الذي ذكره صاحب متن السلم في الاشتغال بعلم المنطق فحينئذ يجب على من أراد الخوض في لغة الفرنسيين المشتملة على شيء من الفلسفة ان يتمكن

من الكتاب والسنة حتى لا يفتر بذلك ولا يفتر عن اعتقاده والا ضاع
يقينه وقد قلت جامعاً بين مدح هذه المدينة وذمها

• أيونجد مثل باريس ديار * شمس العلم فيها لا تغيب
وليل الكفر ليس له صباح * أما هذا وحققكم عجيب

ومن جملة ما بين الفرنسيون على التقدم في العلوم والفنون سهولة لغتهم
وسائر ما يكملها فان لغتهم لا تحتاج الى معالجة كثيرة في تعلمها فأي انسان
له قابلية ومملكة صحيحة يمكنه بعد تعلمها ان يطالع أي كتاب كان حيث
انه لا التباس فيها أصلاً فهي غير متشابهة واذا أراد المعلم ان يدرس كتاباً
لا يجب عليه ان يحل ألفاظه أبداً فان اللفظ مبنية بنفسها وبالجملة فلا
يحتاج قارئ كتاب ان يطبق ألفاظه على قواعد أخرى برأية من علم
آخر بخلاف اللغة العربية مثلاً فان الانسان الذي يطالع كتاباً من كتبها
في علم من العلوم يحتاج ان يطبقه على سائر الالات واللغة ويدقق الالفاظ
ما أمكن ويحمل العبارة معاني بعيدة عن ظاهرها وأما كتب الفرنسيين
فلا شيء من ذلك فيها فليس لكتبها شراح ولا حواشي الا نادراً وانما
قد يذكرون بعض تعليقات خفيفة تكملاً للعبارة بتقييداً ونحوه فالتون
وحدها من أول وهلة كافية في افهام مدلولها فاذا شرع الانسان في
مطالعة كتاب في أي علم كان تفرغ لفهم مسائل ذلك العلم وقواعده من
غير محاكاة الالفاظ فيصرف سائر همته في البحث عن موضوع العلم وعن
مجرد المنطوق والمفهوم وعن سائر ما يمكن انتاجه منها وأما غير ذلك فهو
ضباغ مثلاً اذا أراد انسان ان يطالع علم الحساب فانه يفهم منه ما يخص
الاعداد من غير ان ينظر الى اصراب العبارات واجراء ما اشتملت عليه
من الاستعارات والاعتراض بان العبارة كانت قابلة للتجسس وقد خلت

عنه وان المصنف قدم كذا ولو أخره كان أولى وانه عبر بالفاء في محل
الواو والعكس أحسن ونحو ذلك ثم ان الفرنسيين يميلون بالطبيعة الى
تحصيل المعارف ويتشوفون الى معرفة سائر الاشياء فلذلك ترى ان
سائرهم له معرفة مستوعبة اجمالا لسائر الاشياء فليس غريباً عنها حتى
انك اذا خاطبته تكلم معك بكلام العلماء ولو لم يكن منهم فلذلك ترى
عامه الفرنسيون يحنون ويتنازعون في بعض مسائل علمية غريبة وكذلك
أطفالهم فانهم بارعون للغاية من صغرهم فالواحد منهم كما قال الشاعر

عشق المعاني الغر وهو مرهق * واقض أبكار الفنون وليدا .
فانك قد تخاطب الصغير الذي خرج من سن الطفولية عن رأيه في كذا
وكذا فيحييك بدلا عن قوله لا أعرف أصل هذا الشيء مامعناه الحكم
على الشيء فرع عن تصوره ونحو ذلك فالولادهم دائماً متأهلون للتعلم
والتحصيل ولهم تربية عظيمة وهذا في الفرنسيين على الاطلاق والعادة
انهم لا يزوجون أولادهم قبل تمام تعلمهم وهذا يكون غالباً في عشرين
الى خمس وعشرين سنة فقل منهم من كان في سن العشرين ولم يبلغ
درجة التدريس او تعلم صنعة التي يريد تعليمها غير انه قد يمكث مدة
طويلة ليتمكن من العلوم والفنون غاية التمكن وهذا السن في الغالب
يظهر به براعة الانسان وحسن طاعته كما قال الشاعر

اذا ما أول الخطي أخطا * فما يرجي لاخره انتصار

اذا حاز الفق عشرين عاما * وما باع المراد فذاك عار

فكان هذا السن عند سائر الامم سن انتهاء الناجب فانظر الى الاخضرى فانه
في سن احدى وعشرين سنة قد نظم رسالة السلم وشرحها وكذلك العلامة
الامير فانه في دون العشرين يسير صنف مجموعته فتورك على قول الاخضرى

ولبني احدى وعشرين سنة * معذرة مقبولة مستحسنة

بانه وهو في دون ذلك السن الف في أصعب من ذلك المقام وما قلناه
بالنسبة لارباب المعارف من الافرنج وأما علماءهم فانهم منزع آخر لتعلمهم
تعلماً تاماً عدة أمور واعتنائهم زيادة على ذلك بفرع مخصوص وكشفهم
كثيراً من الاشياء وتجديدهم فوائد غير مسبوقين بها فان هذه عندهم
هي اوصاف العالم وليس عندهم كل مدرس علماً ولا كل مؤلف علامة
بل لابد من كونه بتلك الاوصاف ولا بد له من درجات معلومة فلا
يطلق عليه ذلك الاسم الا بعد استيفائها والارتقا ولا تتوهم ان علماء
القرنيسين هم القسوس لان القسوس انما هم علماء في الدين فقط وقد
يوجد من القسوس من هو عالم أيضاً وأما ما يطلق عليه اسم العلماء فهو
من له معرفة في العلوم العقلية ومعرفة العلماء في فروع الشريعة النظرانية
هيئة جداً فاذا قيل في فرنسا هذا الانسان عالم لا يفهم منه انه يعرف في
دينه بل انه يعرف علماً من العلوم الاخر وسيظهر لك فضل هؤلاء
النصارى في العلوم عن عداهم وبذلك تعرف خلو بلادنا عن كثير منها
وان الجامع الازهر المعمور بمصر القاهرة وجامع بني أمية بالقيس وجامع
الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس ومدارس بخارى ونحو ذلك
كلها زاهرة بالعلوم النقلية وبعض العقلية كعلوم العربية والمنطق ونحوه
من العلوم الالية والعلوم في مدينة باريس تتقدم كل يوم فهم دائماً في
الزيادة فانها لا تمضي سنة الا ويكشفون شيئاً جديداً فانهم قد يكشفون
في السنة عدة فنون جديدة أو صناعات جديدة أو وسائل أو تكميلات
وستعرف بعض هذا ان شاء الله تعالى ومما يستغرب ان في رجال العسكرية
منهم من طباعه توافق طباع العرب المرابا في شدة الشجاعة الدالة على

قوة الطبيعة وشدة العشق الدالة ظاهراً على ضعف العقل وهزاجهم
كالعرب في الاشعار الحربية بالغزل فقد رأيت لهم كلاماً كثيراً يقرب
من كلام بعض شعراء العرب مخاطباً لمحبوبته

ولقد ذكرتكم والنوغي بحر طغى * والنقع ليل والاسنة أنجم
فحسبته عرساً ونحن بروضة * وأنا وأنت بظله نتجم
وقول الآخر

ولقد ذكرتكم والرياح نواهل * منى وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت ثقيل السيوف لأنها * برقت ككبارق ثغرك المتبسم
وقول صاحب لامية العجم

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الاعين النجل
ولا أهاب صفاح البيض تسعدني * بالامح من خلال الاستار في الكلل
ولا أخجل بغزلان تغازلني * ولو دهنتي أسود الغيل في الغيل
ولندكر لك مجامع العلماء والمدارس المشهورة وخزائن الكتب
ونحو ذلك لتعرف به مزية الافرنج علي غيرهم فمن خزائن الكتب الخزانة
السلطانية وفيها سائر ما أمكن الفرنسياتة تحصيله من الكتب في أي علم
كان بأي لغة كانت مطبوعة أو منسوخة وعدة ما فيها من الكتب المطبوعة
أربعمائة ألف مجلد وفيها مبلغ عظيم من الكتب العربية الخزانة التي
يندر وجودها بمصر أو غيرها وفيها عدة مصاحف لا نظير لها أبداً ثم
أن المصاحف التي عند الفرنسياتة في خزائنها غير مهانة بل هي مصونة
غاية الصون وإن كان عدم أهانتها حاصلًا غير مقصود غير أن الضرر
في كونهم يسلمونها لمن يريد أن يقرأ القرآن منهم أو يترجمه أو نحو ذلك وتوجد
المصاحف للبيع في مدينة باريس وبعضهم لحص من القرآن العظيم سائر الايات

التي اختارها لترجمة ثم ترجمها وضم إليها قواعد الاسلام وبعض شعبه وقال في كتابه انه يظهر له ان دين الاسلام هو أصنى الأديان وأنه مشتمل على ما لا يوجد في غيره من الأديان ومن خزائن الكتب الخزانة المسماة خزانة مسيو وتسمى خزانة الارسنال والارسنال هي اترسخانة وهي أعظم الخزائن بعد الخزانة السلطانية وبها نحو مائتي ألف مجلد مطبوعة وعشرة آلاف منسوخة وأغلب هذه الكتب كتب تاريخ وأشعار خصوصاً الأشعار الايطالية ومنها خزانة مزارينه وفيها خمسة وتسعون ألف مجلد مطبوعة وأربعة آلاف منسوخة ومنها خزانة الانسليطوت وفيها خمسون ألف مجلد ومنها خزانة المدينة وهي نحو ستة عشر ألف مجلد وهي دائماً في الزيادة وكتبها آداب ومنها خزانة بستان النباتات وفيها عشرة آلاف مجلد في العلوم الطبيعية وفيها خزانة الرصد السلطاني وفيها كتب علم الهيئة ومنها خزانة مكتب الحكمة ومنها خزانة أكاديمية الفرانسيس وهي خمسة وثلاثون ألف مجلد وكل هذه خزائن موقوفة وهناك خزائن مملوكة وهي كثيرة جداً فمنها ما يشتمل على خمسين ألف مجلد ومنها للدولة نحو أربعين خزانة فاقول ما يوجد في كل خزانة منها ثلاثة آلاف مجلد وأكثرها في الغلب خمسون ألف مجلد وقد تنوف عن ذلك ولا حاجة لتسميتها هنا ولكل انسان من العلماء او الطلبة أو الاغنياء خزانة كتب على قدر حاله ويندر وجود انسان بباريس من غير ان يكون تحت ملكه شيء من الكتب لما أن سائر الناس تعرف القراءة والكتابة وسائر سيوت الاعيان فيها خلوة مشتملة على خزانة الكتب وعلى آلات العلوم وأدواتها وعلى المتحف الغربية التي تتعاق بالفنون كالاحجار التي يبحث عنها علم المعادن ونحو ذلك ففي باريس كثير من الخزائن التي يقال لها خزائن المستغربات فيوجد بها ما تشوق اليه نفوس الفضلاء ليستعينوا به على الغوص في الطبيعيات كالمعادن

والاحجار والحيوانات البرية والبحرية المحفوظة الجثة وسائر المواليدين
الاحجار والنباتات وسائر الاشياء التي فيها آثار القدماء وتعلق هذه الاشياء
بالعلوم ان الانسان يدرس ما يراه في الكتب ويقابله فان رأى في كتاب تعريف
حجر كذا وحيوان كذا وكان الحجر أو الحيوان نصب عينه قابله مع الاوصاف
المذكورة في الكتب وانفع الاشياء بالنسبة للطبيعيين بمدينة باريس البستان
الساخطاني المسمى بستان النباتات وفيه سائر ما تعرفه البشر من الامور
الخارجية من الارض الغريبة يزرع بارضه سائر النباتات الاهلية التي
يعالجون تطبعها عندهم بقوة الصناعة والحكمة فيطالع طلبة علم العقاقير
والحشائش دروسهم ويقابلون ما في الكتاب على ما يرونه ويأخذون
فرعا من كل صنف من الحشائش يضعونه في نحو ورقة ويكتبون اسمه
وخاصيته وفيه ايضا سائر مراتب الحيوانات الحية غريبة او اهلية برية
او وحشية فيوجد بها نحو الدب الابيض والاسود والسبع والضبع والتمرة
والسنابير الغريبة والابل والجمال وغنم بلاد التبت وزرافة سنار وفيلة
الهند وغزلان البربر والابل وبقرة الوحش وانواع القرود والثعالب
وسائر انواع الطيور المعروفة اهم وسائر هذه الحيوانات التي تراها حية بهذا
البستان تراها ميتة ايضا محشوة بالطين يراها الانسان على صورة الحية
كالبو البقر الذي يصنعه الفلاحون بوادي مصر ويوجد في هذا البستان
اروقة ملوطة بالمعادن النفيسة وسائر الاحجار سواء كانت غشيمة او
طبيعية فتراها مراتب الطبيعيين الثلاثة بسائر اجناسها وانواعها واصنافها
ففيها كثير من الاشياء التي لا يمكن ان نجدها اسما غريبة كحيوانات بلاد
اسريكة او نباتها واحجارها وكل هذه الاشياء موضوعة بهذا البستان
كالهيئة او النموذج من كل شيء ومكتوب على كل شيء اسمه باللغة

الفرنساوية او اللاتينية مثلا في القساعة التي فيها سبع مكتوب عليها اسم السبع باللغة الفرنسية وهو ليون وهكذا وما وقع في هذا البستان ما اشتهر ان بعض السباع قد مرض فدخل حارسه ومعه كلب فقرب الكلب من الاسد ولحق جرحه فبرىء الجرح فحصلت الالفه بين الاسد والكلب ودخات محبة الكلب في قلب الاسد فصار الكلب يتردد دائما على الاسد ويتماق الميه ويراه كانه من اصحابه فاما مات الكلب مرض الاسد لفرقة فوضعوا معه كلبا آخر امتحانا لطبعه فتسلى به عن الميت ولا زال معه وفي بستان النيات رواق يسمى رواق التشريح وفيه جميع المواهي اي الجثث المخططة المصبرة ونحوها من الجثث ويوجد بهذا الرواق بعض شىء من جثة المرحوم الشيخ سليمان الحلبي الذي استشهد بمقتله لاجترال الفرنسية كليب و قتل الفرنسية له في ايام تغلبهم على مصر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومن محال العلوم الفلكية الرصد السلطاني بمدينة باريس وهو من اغرب المراصد الموجودة على ظهر الدنيا وذلك انه مبني من مجرد الحجارة بغير دخول الحديد او الخشب في مادته وهو على شكل مسدس الاسطحة المتوازية القائمة الزوايا موجه الضلوع الاربعة الى الاربع جهات الشروق والغرب والشمال والجنوب وفي طرف الجهة الجنوبية ضومتان مئمتي الزوايا وفي طرف الجهة الشمالية ضومعة ثالثة مربعة وهي باب الرصد وفيه رسم الفرنسي في رواق في الدور الاول خط نصف نهارهم فخرج ذلك الخط يقسم الرواق قسمين متساويين فمن هذا الخط يحسب الفرنسية درجة الطول فينسبون اليه غيره من الاماكن المتغيرة له في السمعت وقد اسلفنا ذلك موضعا في الفصل الاول من المقالة الثانية وارتفاعه وسطحه ثلاثة وثمانون قدما فوق الارض

وهو منقسم الى عدة اروقة مناسبة لحاجة اشغال الملك فمن هذه
الاروقة ستة لها عمارق مفتوحة قطر كل عمارق ثلاثة اقدام وهو موضوع
على كيفية يمكن معها رؤية السما ويعين فيها على ما يحتاج الى رصده فترى
منها النجوم وانت في المخادع التي تحت الارض وفي هذه الاروقة امتحنوا
ثقل الاجسام الطبيعية وميزان الهواء وفي هذا الرصد رواق كبير فيه
آلات وعلى قمته آلة تهيل الرياح المسماة الاتيموتر بها تقاس قوة الرياح
وفيها طشت يسمى دن العيار يعدل به ماء المطر الذي ينزل كل سنة ومخادع
هذا الرصد هي داخلية في الارض التي عمقها يساوي سمك حيطان الرصد
والى هذه المخادع ينزل بدرج على الدوران والانعطاف كدرج المنارة
وعدة درجها ثمانية وستون ووظيفة هذه المخادع انها قد تفيد
الطبايعية والكيمائية ان يصنعوا بها تجاريهم بان يجمدوا فيها المائعات
ويبردوا بها الاجسام ليعرفوا مزاج الاهوية وفيها رواق يسمى رواق
المناجاة او رواق الاسرار وذلك ان فيه امرا عجيبا من قرع الصوت
للاذن اي وصوله بالهواء اليها وذلك ان بالرواق عمودا يتأمله عمود آخر
فاذا وضع الانسان فيه على العمود واسر بكلام فانه يسمعه الانسان الذي
بالعمود الآخر ولا يسمعه من يقرب منه وهذه الامور يفهمها من له الملم
بخاصية الصوت ومن المحال العلمية بمدينة باريس موضع يقال له الكونسر
وتوار يضم الكاف وسكون النون وكسر السين وسكون الراء وفتح الواو
وسكون اثناء كلمة فرنساوية معناها المخزن او الحفظا ونحو ذلك وفي
هذا المحل جميع الآلات سواء العظيمة وغيرها خصوصا الآلات الهندسية
كآلات الخيل وتحريك الانتقال ويزعم الفرنسيون انه ليس في الدنيا
نظير هذا المخزن وفي هذا المحل يرد الصداصوت الشخص برد عجيب

ثم أنه يكثر بباريس مدارس سائر العلوم والفنون والصناعات وقد سلف
الكلام على اعتناء الفرنسيين بالحكمة بمعنى علم الطب ولهم فيها مدارس
كثيرة ولذا ذكر هنا محال العلماء ومراتبهم فنقول أن العلماء في مدينة
باريس لهم مجامع عظيمة تسمى بأسماء مختلفة فمنها ما يسمى أكاديمية ومنها
ما يسمى مجعاً أو مجلساً والانسطيوطون عندهم اسم عام يشتمل على
جميع اجتماع الأقدماء أي المجالس الخمس وهي أكاديمية اللغة الفرنسية
وأكاديمية العلوم الأدبية ومعرفة الأخبار والآثار وأكاديمية العلوم
الطبيعية والهندسية وأكاديمية الصنائع الظرفية وأكاديمية الفلسفة وقولنا
أكاديمية أو أكاديمية أو أقدماء هو لفظ مأخوذ من اسم مكان في مدينة
أثينا كان أفلاطون الحكيم يعلم فيه تلاميذه ومنه قيل لطائفة من الفلاسفة
القديما الأكاديميون وكان يقال لهذا المكان أكاديمية لأن صاحبه كان
شخصاً يونانياً اسمه أكديموس وقد جعل هذا المكان وقفاً لأهل مدينة
أثينا وصيروه بستاناً يمشون فيه ويتفرجون فيه فكان يدرس فيه
أفلاطون ومنه قيل لجماعة أفلاطون أكاديميون ويقال لهم أفلاطيون
وهم مشهورون أيضاً في كتب العربية بالاشراقين بالقاف والفاء ويقال
لهم أيضاً الأهيون ويطلق أكاديميون الآن عند الفرنسيين فيفهم منه
بمجرد إطلاق أهل أكاديمية الفرنسيين وهم كبار علماء الفرنسية
فإذا قيد فالعني ظاهر كما إذا قيل أكاديمية مصر فالمراد بها الجامع الأزهر
لأن المراد به ديوان أكابر علماء مصر فأول علماء باريس بل وعلماء
فرنسا ديوان العلوم المسمى أكاديمية الفرنسيين وأهلها أربعون عالماً
كل واحد من الأربعين يسمى عضواً يعني أن هذا الديوان بأربابه
كالبدن وكل واحد كالعضو منه وفي الغالب أن أرباب هذا الديوان لهم

فضل عظيم على من عداهم من الفرنساوية ووظيفتهم تأليف القواميس.
الفرنساوية وانهم يمتحنون مؤلفات العلوم الادبية وكتب التاريخ وقد
اتفق أن بعض علماء الفرنسيين قد بلغ درجة عالية في العلوم وصلاح
لان يكون من أرباب هذه الاكدمه بدل واحد من أربابها مات وكان
هذا العالم كثير المجون فتوقفوا في قبوله في هذا الديوان فما كانت حيلته
الا أنه كان دائما يعرض بهجو أهلها فمن نوادر وقائمه أنه مر ذات يوم
ومعه بعض أصحابه فتذاكروا في فضل علماء اكدمه فقال لاشك أن
عقول أرباب هذا الديوان كمقل أربعة يشير بذلك الى بعض الامثلة.
الفرنساوية من قولهم في مدح الانسان ان له عقلا كمقل أربعة ومشيرا
الى أن عقل كل عشرة منهم كمقل واحد فظاهر عبارته من باب المدح وباطنها
غير ذلك ومن نوادوه أنه كتب قبل موته كعادة الفرنساوية على رخامة
قبره المهيء له بيت شعر باللسان الفرنسي يقول فيه ما معناه بالعربية.
هاقبر من لم يك شيئا أيمه * كلا ولا من علما اكدمه
ومعناه هذا قبر من لم يصل الى درجة أياما كانت حتي لو بلغت.
هذه الدرجة في الحقارة درجة هؤلاء العلماء وهناك اكدمه تسمى
اكدمه تقيد الفنون الادبية وأهل ديوان هذه الجمعية ثلاثون نفسا.
ووظيفتها الاشتغال بالالسن النافعة وبآثار القدماء خصوصا بالمباني الغربية.
وبالعلوم الادبية وبعوائد الامم وأخلاقها وغالب شغلها تكميل آداب
العلوم الفرنساوية بما خلقت عنه مما هو في كتب علوم اللغات الغربية.
كاللاتينية والعربية والفارسية والهندية والصينية واليونانية والعبرانية.
والقبطية وغيرها ومن الاكدمات الاكدمه المسماة اكدمه العلوم
السلطانية وأهلها منقسمون احد عشر قسما لكل قسم منهم فرع مخصوص.

فتكون فروعهم اثني عشر فرعاً فاهل القسم الاول يشتغلون بالرياضيات
كالهندسة والحساب وأهل القسم الثاني بعلوم الحيل كعلم جر الاثقال ونحوه
والثالث بالعلوم الفلكية والرابع بالعلوم الجغرافية والعلوم التجريبية والخامس
بعلوم الطبيعة العامة والسادس بالطبيعة والسابع بعلم المعادن والاحجار
والثامن بعلم الحشايش والتاسع بتدبير مصاريف الارض والعاشر بتطبيب
الدواب والحادي عشر بالتشريح والثاني عشر بفن الطب والجراحة ومنها
الاكدمية السلطانية المسماة كدمية مستظرفات الفنون وهي خمسة فروع الاول
فن الرسم الثاني فن النحاتة الثالث فن العمارات الرابع فن النقاشة الخامس
فن تركيب حروف الموسيقى ومنها مكتب الفنون الظرفية وهو مكتب
موقوف على تعليم علم الرسم وتوابعه وفيه يتعلم الرسم والنقاشة والعمارة
ومن مجالس العلوم جمعية تسمى أئنة الفنون وهي تعين على تقدم الفنون
والصنائع وهي كالحكم الذي ينفذ الاشياء ويقضي فيها برأيه ومنها
أئنة باريس السلطانية وهي محل علوم وفنون ولا يكون فيها الانسان
للتعلم الا اذا دفع شيئاً يسيراً كل سنة والمدرسون فيها أرباب فضل ومنها
جمعية تسمى الجمعية الفيلومانية ومعناه محبو العلوم والغرض من هذه
الجمعية الاعانة على التقدم في علوم التولدات وهي مرتبة الحيوانات والنباتات
والمعادن ومنها جمعية تشتغل بعلوم الانشا والبلاغات والغرض من هذه
الجمعية تدوين العلوم الادبية وحفظ غريبها حتى لا تفسد لغة الفولسيس
واذا اخترع الانسان معنى غريباً او اجاب عن سؤال غريب او قال شعراً
مقبولاً فانهم يعطونه جائزة ذلك ومنها جمعية تسمى حسن الدروس ووظيفتها
تعليم الآداب القاتولية والدين القاتولتي ومنها جمعية تسمى اكدمية
انبا ابولون يعني الادبا وهي مجلس ارباب الفنون الادبية ومنها جمعية تسمى

الجمعية الآسياتية يعني في لغات اهل آسيا او اللغات المشرقية وبتحصيل كتبها الغربية وترجمتها الى الفرنسية او طبعتها لتشتهر ومنها جمعية تسمى الجمعية الجغرافية وهي معدة لتحسين وتكميل علم الجغرافيا فهي تقوى الناس على السفر الى البلاد المجهولة الاحوال فاذا سافر فيها انسان ورجع يطلبون منه سائر ماعلقه عليها فتأخذ ماعلقه وتقيده وتدخله في كتب الجغرافية ولذلك كان ذلك العلم عند الفرنسية دائما يأخذ في السكمان وبالجملة فهذه الجمعية هي التي تخدم سائر ما يتعلق بالجغرافيا كطبوع الخرائط ونحوها ومنها الجمعية الفرمايقية يعني المشتغلة بنحو اللغة الفرنسية فان علم النحو يسمى في اللسان الفرنسية الاغرمير وباللاتينية والاطالانية اغرماتيقا ووظيفته هذه الجمعية الاشتغال بتصحيح اللغة وتحديد الاصطلاحات او ابقاء الاصطلاحات القديمة لان اللسان الفرنسية لسان غير قار القواعد كتابة وقراءة ومنها جمعية تسمى جمعية المولعين بالكتب الخزانة ووظيفته اهل هذه الجمعية الحث على طباعة الكتب النافعة النادرة ومنها جمعية للخطاطين واهلها يشتغلون باجادة الخط ومنها جمعية تسمى جمعية المغناطيسية الحيوانية وهي جماعة تقول بوجود سيال مغناطيسي في الحيوان ومنها جمعية حفظه آثار القدماء وهي جمعية معدة لحفظ سائر ما يوجد من الآثار الباهرة عند القدماء كبعض مبانيهم ومومياهم والبحث عن ذلك وملبسهم ونحو ذلك ليتوصل به الى دراسة عوائدهم ففي ذلك يوجد كثير من الامور النفيسة المأخوذة من بلاد مصر كالحجر المصور عليه فلك البروج المأخوذ من دندره فان الفرنسية يتوصلون به الى معرفة الفلك على مذهب قدماء اهل مصر فان مثل ذلك يأخذونه بغير شيء الا انهم يعرفون مقامه فيحفظونه ويستخرجون منه نتائج شتى ومنافع عامة

ومنها مكتبة تسمى مكتبة الاطوال واهلها اثنا عشر ثلاثة مهندسون
وأربعة فلكيون وأربعة بحرية وواحد جغرافي فيشتغلون بعلم الهيئة
وتأليف الرزنامات السنوية وتحرير الزيجات وذكر اطوال البلاد ومنها
الجمعية السلطانية في علوم الفلاحة وتحرير توفير المصاريف البرانية
والجوانية وأهل هذه علماء اغنياؤهم يعطون الجائزة لمن يخترع شيئاً
جديداً نافعا ومنها جمعية لتحسين الاصواف ووظيفة أهلها مباشرة
مايتعلق بالغنم ومنها جمعية تعين على حث فرنساوية على البراعة في
الفنون والصنائع وهي تعين الصنائع بسائر أنواعها على التقدم فاذا
اقترح انسان شيئاً نافعا اخذ من أهل هذه الجمعية تحفة عظيمة
وشهرة وفي باريس مدارس سلطانية تسمى الكوليج بضم الكاف وفتح
اللام وسكون الياء وهي مدارس يتعلم فيها الانسان العلوم المهمة التي تكون
وسائل في الامور المقصودة منها وهي خمسة كوليجات يدرس فيها صناعة
الانشاء والتأليف والالسن القديمة الغربية والعلوم الرياضيات وعلم التاريخ
والجغرافيا والفلسفة واصول الطبيعيات يعنى كتبها الصغيرة وعلم الرسم
وعلم الخط وفيها مراتب للطلبة فان الانسان يسلك فيها في العادة مرتبة
كل سنة ففي كل سنة من ستة سنين يخرج الانسان من مرتبة الى
اعلا فهي بالترقي لا بقوة الفهم ولا بغيره فلا يمكن للانسان أن يتعدي
أبداً وهناك كوليجان آخران غير سلطانيين وفيهما يدرس ما يوجد في
الكوليجات الخمسة السابقة وفيها كوليج آخر يسمى كوليج فرنساوية
السلطاني وهو أعظم جميعها فيتعلم فيه الرياضيات والطبيعة المخلوطة
بالحساب والطبيعة العملية والهيئة والطب والتشريح العمليين وفيه يتعلم
اللغات كالعربية والفارسية والتركية والعبرانية والسريانية والهندسة

ولغة أهل الصين وعلومهم ولغة التتار والحكمة اليونانية التي هي فلسفة اليونان وعلم الفصاحة والبلاغة في اللسان اللاتيني وعلوم بلاغة اللغة الفرنسية وهذا الكوليج يشتمل على أكبر المدرسين وفيه ستة آلاف طالب ومن أشهر المدارس مدرسة بوليقتيكا بضم الباء وكسر اللام وسكون الياء والقاف وكسر التاء والنون وسكون الياء يعني مدرسة كليات العلوم وفيه يدرس الرياضيات والطبيعات لتربية مهندسين في علم الجغرافيا وفي العسكرية فمهندسوا الجغرافيا يهندسون القناطر والأرصفة والطرق والجسور والخارجان وكل آلات الحيل ورفع الأثقال وأما مهندسوا العلوم العسكرية فهم يهندسون القلاع والحصون والبروج والتوقي من ضرر الأعداء والاتخاذ العراضي وهندسة تسديد البارود وأرباب هذه المدرسة محققون لهم باع في سائر العلوم ويكفي في فضل الإنسان أن يكون من تلاميذها ومنها مكتب يسمى مكتب الفروع الفقهية فيدرسون فيه أحكام المعاملات والجنايات ونحوها ومنها مكتب موقوف على تعليم علم الرسم فيدرس فيه الذكور والإناث علم التصوير ومنها مكتب الغناء السلطاني فيتعلم فيه أيضاً الذكور والإناث علم الألحان الصوتية والغناء الكنايسي ومنها مكتب موقوف أيضاً على علم الرسم والرياضيات لتكون وسائل للفنون فيتعلم فيه الحساب والهندسة والقياس ونجاة الحجر والخشب وعلم المساحة وتصوير البهيمة والآدمي والأزهار وأنواع الزينة ومنها مكتب القناطر والجسور وفيه يتعلم هندسة الطرق والخارجان والأرصفة ومنها مكتب سلطاني لتعلم علم المعادن وفيه يتعلم وسائل كشف المعادن واستخراجها ومنها مدرسة الفنون والحرف يتعلم فيها علمي الكيمياء والهندسة الداخلين في الحرف والفنون وفيها يوجد سائر آلات الصنائع الموجودة إلى هذا

العصر ومنها مكتب يسمى مكتب اللغات المشرقية المستعملة وفيه يتعلم
 الفارسي والملاباري والعربية الاصلية والدارجة ولغة الترك والارمل
 والاروم ومنها مكتب يسمى مكتب الارليغولوفي بفتح الهمزة وسكون
 الراء وكسر اللام وسكون الياء وضم الغين واللام وكسر الغين الاخيرة
 يعنى تفسير الكلمات المكتوبة من قديم الزمان في اللغات القديمة فيفسرون
 فيه النقود والمعاملات المكتوبة في الازمنة السالفة والاحجار المنقوشة
 وترجمة الهياكل القديمة المكتوبة ومنها مكتب سلطاني يتعلم فيه تواريخ
 الدول وسياساتها ونحو ذلك ومنها مكتب سلطاني للموسيقا والانشا
 والخطابة وفيه يتعلم أهل اللعب والغنا والآلاتيه من الذكور والاناث
 وأهل التعلم به أربعماية نفس ومنها مدرسة بستان السلطان التي هي بستان
 النباتات وبها يقرأ ثلاثة عشر درساً في جملة فروع كعلم الحشايش والطبيعات
 والكيميا والمعادن والتشريح والمقابلة بين أجزاء بدن الآدمي والبهيمة
 وفيها مكتب يسمى مكتب البستنجية وفيه يتعلم علم زراعة الشجر وحفظه
 من البرد وتطبيع النباتات الغريبة المنقولة على إقليم المحل الذي نقلت اليه
 ومنها مكتب تقليم الاشجار غير المثمرة لاجراء ثمرها ومنها مكتب تعليم
 النباتات والمعادن لمن يريد السفر في بلاد ليميز نباتها ومعدها ومنها مكتب
 يسمى طب البهائم وفيه يتعلم تطيب البهائم وفيه مارستانات للحيوانات
 المعروضة وفيه مدرسة كيميا ومدرسة لعلم الطبيعة وفيه العقاقير وبستان
 حشايش ومكتب للفلاحة العملية وجملة اجناس من البهائم معدة لتجربة
 اختلاف اصناف البهائم واصولها فيطلقون فيه صنفا مثلامن الحيل على صنف
 آخر كحصان عربي على حجرة اندلسية ليتولد منها صنف آخر ومنها
 مكتب الصم البكم وهو موقوف على مائة نفس ويدخلون فيه من إحدى

عشرة الى ستة عشر فيتعلم فيه القراءة والكتابة والحساب واللسان والتاريخ والجغرافيا وصناعة من الصنائع وفي هذا المكتب ورشة يتعلم فيها علم الطباعة والنقاشة والتجارة والحراطة والخياطة والصرماطيه ونحوها ومنها مكتب العميان السلطاني وهو موقوف على جملة محصورة من العميان فيتعلمون القراءة على شيء مكتوب لهم كتابة مخصوصة فيمسونها باليد ويتعلمون أيضا علم الجغرافيا على خراطات مخصوصة أيضا ويتعلمون التاريخ واللغات والرياضيات والموسيقا بالصوت وبالآلة وغير ذلك من الحرف كشغل الجرابات ونحوه وغير ما ذكرنا يوجد أيضا عدة مدارس ويوجد في باريس أيضا مكاتب تسمى البنسيونات جمع بنسيون بفتح الباء وسكون النون وكسر السين وضم المثناة التحتية وسكون الواو وهي مكاتب يتعلم فيها الصغار الكتابة والقراءة وعلوم الآلات كالحساب والهندسة وغيرها كالتاريخ والجغرافيا وهي نحو مائة وخمسين بنسيونا وفيها أكل الانسان وشربه ونومه وغسل خواججه ونحو ذلك فيدفع أهالي الاولاد قدرا معلوما في السنة وغير البنسيونات المذكورة يوجد بيوب يكون صاحبها عالما فيأخذ عنده عدة أولاد ليأكلوا معه ويشربوا معه ويعلمهم بنفسه أو يحضر لهم معلمين عنده وغير هذا كله فكثير من الناس يحضر لاولاده المعلم في البيت كل يوم ليعلمهم عنده ومن الاشياء التي يستفيد منها الانسان كثير الفوائد الشاردة انتذاكر اليومية المسماة الجرنالات جمع جرنال وهو يجمع في اللغة الفرناوية على جرنو وهي ورقاته تطبع كل يوم وتذكر كل ما وصل اليهم علمه في ذلك اليوم وتنتشر في المدينة وتباع لسائر الناس وسائر أكابر باريس يرتبونها كل يوم وكذلك سائر القهاوي وهذه الجرنالات مأذون فيها لسائر أهل

فرانسا أن تقول ما يخطر لها وان تستحسن وتستقبح ما أراء حسنا أو قبيحاً وان تقول رأيا في تدبير الدولة فلها حرية تامة ما لم تضر في ذلك فانه يحكم عليها وتطلب قدام القاضي والجرنوعصب فكل جماعة لها في مذهبها مذهب كل يوم يقويه ويحاميهِ ويؤيده ولا يوجد في الدنيا أكذب من الجرنالات أبداً خصوصاً عند الفرنسيين الذين لا يتحاشون الكذب الا من حيث كونه عيباً وبالجملة فكتاب الجرنو أسوء حالا من الشعر عند تحاملهم أو محبتهم والجرنالات مختلفة الانواع والاصناف فمنها ما هو معد لذكر أخبار داخل مملكة الفرنسيين وخارجها ومنها ما هو مخصوص بامور المملكة فقط وما هو للمعاملات وما هو للطب ولكل علم على حدته كعلم الطب الى آخره والجرنال الواحد ينطبع منه غالباً للبيع خمسة وعشرون الف نسخة وكل جرنال تكثر نسخته على حسب رغبة الناس فيه وأرباب الجرنو يعرفون الاخبار الغربية قبل غيرهم لان لهم مراسلات مع سائر البلاد ومن جملة علوم باريس الدفاتر السنوية والتقويمات الجديدة والزيجات المصححة ونحو ذلك فكل سنة يظهر فيها كثير من الروزنامات المشتملة زيادة على التواقيع وعلى غرائب العلوم والفنون وعلى كثير من أمور الدولة وعلى تسمية أكابر الدنيا وتسمية أعيان فرانسا وتعيين بيوتهم ودرجاتهم ووظائفهم فاذا احتاج الانسان الى اسم واحد والى بيته راجع في ذلك للكتاب وفي باريس أوض القراءة او خلوات القراءة فيذهب الانسان فيها ويدفع قدرا معلوماً ويقرأ سائر الجرنالات وغيرها من الكتب ويستأجر منها ما يحتاجه من الكتب ويأخذه عنده ويرجعه ومما يبهز العقول في باريس دكاكين الكتيبة وخاناتهم وتجارات الكتب فانها من التجارات الراجحة مع كثرتها

وكثرة المطابع وكثرة التأليف التي تنطبع كل سنة فأنها يسر حصرها
 وأغلبها المقصود منه الكسب لا النفع ولا تمرسنة بمدينة باريس الا ويخرج
 من المطبعة كتب معدومة النظير واعتناؤهم بالمعارف هو أحسن ما ينبغي
 ان يمدحوا به قال الشاعر

اذا شئت ان تحظي من الكتب كلها * باطيب مروي وأحسن مسموع
 فطالع مجاميع الدفاتر انها * تفرق من هم الفتي كل مجموع
 وقال آخر

اجعل جليذك دفترًا في نشره * ليريك من حكم الزمان نشورا
 ومعيد آداب ومؤنس وحشة * واذا انفردت فصاحبًا وسميرًا
 وبالجملة فلا يمكن وصف مدينة باريس مع تفصيل علومها وفنونها
 الا انه يمكن التعبير عن ذلك أجمالًا كما ذكرناه

المقالة الرابعة فيما كنا عليه من الاجتهاد والاشتغال بالفنون المطلوبة
 لتحصيل غرض ولي النعم وفي تدبير أشغال الزمن في القراءة والكتابة
 وغيرهما وفي المصاريف الواسعة الخارجة من طرف صاحب السعادة
 وفي عدة مراسلات بيني وبين بعض خواص الافرنج تتعلق بالتعلم وفي
 ذكر ما قرأته من الفنون والكتب بمدينة باريس ومن هذه المقالة تفهم
 أن تعلم الفنون ليس سهلاً وانه لا بد لطالب المعارف من اقتحام الاخطار
 لبلوغ الاوطار في تلك الاقطار قال الشاعر

دعيني اذل ما لا ينال من العلا * فسهل العلاء في الصعب والصعب في السهل
 تربدين إدراك المعاني رخيصة * ولا بد دون الشهد من ابر النحل
 وقال آخر وهو من الكلام الجامع

من كان يعلم ان الشهد راحته * فلا يخاف للذع النحل من ألم

وقال آخر ايضاً

ان الفضائل بالاخطار مولمة * فابغ الفضائل وابذل جهدها الثمنا
وان أراك أهوى منه الهوان فقل * حكم المنية في حب الحبيب منا

(الفصل الاول فيما حصل لنا في أول الامر)

(من الترتيب في القراءة والكتابة وغيرها)

من عادة أهل باريس أنهم في التعليم يبدؤن بتعليم الانسان القراءة
في كتب عظيمة الحروف لترسم صورها في اذهانهم وفي هذه الكتب
توجد الحروف الهجائية بتركيبها ثم بعد عدة الفاظ لغوية من الاسماء
والافعال فهذه الطريقة يتعلم الانسان منها الكتابة ويحفظ هذه الكلمات
وينطق بها كما ينبغي حتي تخرج لغته من صغره صادقة الجودة ثم بعدها
تلقى في هذه الكتب عدة جمل سهلة التعقل تناسب الصغار فمن هذه
الجمل ما وجدناه في الكتاب الذي قرأناه * هذه فرس لها أربع أرجل
والطيور ليس لها الا رجلان لكن لها أجنحة تطير بها وأما السمك فانه
يسبح في الماء ونحو ذلك مما هو معلوم للمخاطب فهو مثل قول النحاة
السماء فوقنا والارض تحتنا الممثل به لما لم يفد فائدة جديدة على اختلاف
تفسير الوضع في قولهم الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع ثم بعد
ذلك يوجد في هذا الكتاب أوصاف الحيوانات المعروفة خصوصاً التي
تتعلق بالصغار باللعب بها من العصافير والطيور والسنائير ونحو ذلك ثم
بعد ذلك نبذة صغيرة في كيفية سلوك الصغار وطاعتهم للوالدين ونحو ذلك
ثم نبذة في علم الحساب فبعد فراغ هذا الكتاب يبدئون في قراءة كتاب
أهم منه وفي كتاب النحو الفربساوى وغيره وتقسيم الزمن على دروس

الانسان فان الانسان يتعلم في النهار عدة أمور مختلفة فيقرأ في الصباح مثلاً التاريخ ثم بعده درس تصوير مع معلم الرسم ثم بعده درس النحو الفرنسي ثم بعده درس تقويم البلدان ودرساً مع معلم الخط لتعلم قواعد الكتابة الى آخره وقد أسافنا ذلك ولما كانت آمال ولي النعم متعلقة بتعلمنا عاجلاً ورجوعنا الى أوطاننا ابتدأنا في مرسيليا قبل وصولنا الى باريس وتعلمنا في نحو ثلاثين يوماً التهجي ثم لما ذهبنا الى باريس مكثنا جميعاً في بيت واحد وابتدأنا في القراءة فكانت أشغالنا مرتبة على هذا الترتيب وهو انا كنا نقرأ في الصباح كتاب تاريخ ساعتين ثم بعد الغدا نتعلم درس كتابة ومحادثات ومحاورات باللغة الفرنسية ثم بعد الظهر درس رسم ثم درس نحو فرنساوي وفي كل جمعة ثلاثة دروس من علمي الحساب والهندسة وفي مبدأ الامر كنا نأخذ في الخط درسين يعني في معرفة الكتابة الفرنسية ثم بعد ذلك كنا نأخذ كل يوم درساً ثم انتهى الامر الى اننا تعلمنا الخط فانقطع عنا معلم الخط وأما الحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا فلم نزل نشتغل بها حتى سهل الله علينا بالرجوع وقد مكثنا جميعاً في بيت واحد دون سنة نقرأ معاً في اللغة الفرنسية وفي هذه الفنون المتقدمة ولكن لم يحصل لنا عظيم مزية الا مجرد تعلم النحو الفرنسي ثم بعد ذلك تفرقنا في مكاتب متعددة كل اثنين أو ثلاثة أو واحد منا في مكتب مع أولاد الفرنسية أو في بيت مخصوص عند معلم مخصوص بقدر معلوم من الدراهم في نظير الاكل والشرب والسكنى والتعليم وتعهد أمورنا من غسل ونحوه فكان يأخذ صاحب المكتب أو البيت نحو عشرة اكياس كل سنة في نظير ذلك ولا يازمنا شيء في الماء كل والمشرَب * ولما كانت طباع هذه البلاد شدة البرودة كان لكل

واحد منا في كل سنة بثلمابة قرش خشب للتدفي بها وغير هذه المصاريف العظيمة كان يشتري لنا من طرف الميري أيضاً القمصان والسراويل والنعال وسائر ما يلزم من الآلات والادوات مثل الكتب والورق والحبر وأقلام التصوير وغيرها ومما ينبغي ذكره أيضاً ما كان يعطي للحكام والاجزاجية في مداواة من كان يمرض منا فان الحكماء بباريس مع كثرتهم غاية الكثرة يأخذون في زيارتهم للمريض الموسر قدراً له وقع على اختلاف مراتبهم في الشهرة وعدمها وبتعدد القدر بتعدد الزيارة وهذا ان لم يكن للحكيم سنوية معلومة وقد أسلفنا ذلك في باب اعتناء الفرنسيين بالطب وتعهدهم للصحة فاقبل الحكماء يأخذ في كل زيارة يمكث فيها نحو نصف ساعة ثلاثة افرنكات والحكيم المتوسط يأخذ في كل زيارة خمسة فرنكات والحكيم الجليل القدر يأخذ في كل زيارة أبلغ من خمسين فرنكا وكما تعددت الزيارة في اليوم الواحد تعدد القدر وأما بالنسبة للمعتمد فقد لا يأخذون منه شيئاً ونحن نعد هناك من الموسرين بل من الأغنياء لتجملنا بالملبس الغريب عندهم ولنسبتنا لولي النعم ولكثرة هذه المصاريف في تعليمنا وغيره من سائر ما ذكرنا كان ناظر التعليم أو الضابط علينا يذكرنا به في أغلب الاوقات لنجتهد وسترى بعض ذلك في مراسلات كتبها لي بعد الامتحان العام

﴿ الفصل الثاني في تديرنا في شأن الدخول والخروج ﴾

حين اجتماعنا في بيت الاقدية كنا لانخرج منه ليلاً ولا نهاراً الا يوم الاحد الذي هو عيد الافرنج بورقة اذن للبواب من الضابط الذي نظره علينا ولي النعم ثم بعد تفرقنا في المكاتب المسماة البنسيونات كنا

نخرج أيام البطالة وهي يوم الاحد بتمامه ويوم الخميس بعد الدروس وأيام أعياد الفرنساوية ومنا من كان يخرج كل ليلة بعد العشا ان لم يكن له درس بعده ولئذ كر لك هنا قانون نامة الذي صنعه الافندية بعد دخولنا في البنسيونات وعبارته هذه صورة ترتيب الافندية في البنسيونات * المادة الأولى أن يوم الاحد المقرر لهم الخروج فيه يلزم أن يخرجوا من البنسيونات في الساعة تسعة ويأتوا الى البيت المركز من أول الامر ويقدموا وقت الدخول ورقة معلمهم الى الافندي التوبتجي في هذا الشهر لاجل أن يعلم ساعة دخولهم في البيت وبعد ذلك يذهبون الى المواضع المعدة للفرجة بشرط أن يجتمع ثلاثة أو أربعة ثم يرجعون الى البنسيونات في أيام الصيف الساعة تسعة وفي أيام الشتاء الساعة ثمانية وهذا الترتيب لازم ولا بد فان رجع أحد الى البنسيون قبل ذلك وتعشي هناك فهو أولى وأحسن من اللوازم أن لا يدور أحد في الأزقة ليلا ومتى دخل في البنسيونات يعطى الورقة المذكورة للمعلم * المادة الثانية أن من لم يمثل لخصوص ماسبق يمنع الخروج من البنسيون بحسب الاقتضا جمعة أو جمعتين * المادة الثالثة أن كل من له شكاية من معلمه لا تسمع ولا تقبل حتي يكتبها في ورقة ولا تسمع الا اذا كانت من جهة التعليم أو من جهة أخرى يحصل له منها ضرر ولكن قبل أن يكتب ورقة الشكاية يعرف عنها معلمه مرة ثم يكتبها للتوبتجي في هذا الشهر المادة الرابعة أن جميع الافندية يمتحنون في آخر كل شهر ليعرف ما حصلوه من العلوم في هذا الشهر ويسألون عما يحتاجون اليه من الكتب والآلات ويكتب في آخر كل شهر كتبهم وتحصيلهم وأفعالهم على الصحيح ولأجل هذا ينبغي التفكير في هذا بالخصوص لاجل تحصيل غرض حضرة

ولى النعم * المادة الخامسة لاحتاجوا شيئاً من الكتب والآلات في أثناء الشهر يطلبونه من معلمهم بورقة يكتبونها له ومعلمهم يخبر بذلك مسيو چوما را فان رأى مناسبا يعطيهم ذلك بعد ما يخبر التوبتجي فان اشترى أحد شيء من غير اجازة يلزمه أن يدفع ثمنه من عنده * المادة السادسة انه بعد الامتحان بما ذكرنا في المادة الرابعة ان استحق أحد من الاقندية الهدية بنجابتة تعطي له كتب وآلات وسكة * المادة السابعة في محل التفرج أو الطريق لا ينبغي لأحد منهم أن يرتكب ما يخل بمروءته وهذا الامر هو اهم الجميع وممنوع أشد المنع (المادة الثامنة أن كل الاقندية الذين هم في البنسيونات لا يدخلون في البيت المركز الا كل خمسة عشر يوما مرة وهو يوم الاحد * المادة التاسعة أن يوم الاحد الذي لا يأتون فيه الى البيت يخرجون فيه مع أولاد الفرنساوية أو مع المعلمين الى مواضع التفرج أو الرياضة أو ما ينبغي رؤيته وكذلك يوم الخميس أو يوم التعطيل ان لم يكن عليهم شغل فيذهبون مع من ذكر الى المواضع المذكورة * المادة العاشرة يتبعون قوانين البنسيون كاولاد الفرنساوية بالتدقيق والاهتمام في غير الامور المتعلقة بالدين * المادة الحادية عشر اذا خالف أحد هذا الترتيب يقابل بقدر مخالفته واذا أظهر عدم الطاعة يحبس بالحسونة وان كان أحد يتشبهت بافعال غير لائقة وأطواره غير مرضية وجاءت تذكرة من معلمه تشهد عليه بقبح حاله وتبين عصيانه فمثل ما ذكر حضرة ولى النعم أفندينا في القوانين التي أعطاها لنا تشاور مع الحمين لحضرة أفندينا من أهالى هذه المدينة ونرسل فاعل القبح والعصيان بنفسه حالا الى مصر من غير شك ولا شبهة * المادة الثانية عشر أن جميع الاقندية يكونون في البنسيونات في هذا الترتيب على

خذ سوا وان كان في البنسيونات ثدنان ما احداها للمعلمين والاخري
للتلامذة فافديتنا يا كلون مع معلمهم * المادة الثالثة عشر أن الافدية
المذكورين يلزمهم جميع مادكر من القوانين من غير امتياز وبسبب
ذلك اعطينا كل واحد منهم صورة ذلك * المادة الرابعة عشر كل المواد
السابقة هي خلاصة أفكارنا ونتيجة أذهانتنا وأذهان الاعيان الذين
وصاهم علينا حضرة أفدينا وبناء على ذلك كل أحد يلزمه أن يتبعه مع
التنبه لاجل تحصيل رضاء حضرة أفدينا ولى النعم فمن لم يمتثل أو تعلل
بشيء يجرى عليه ما هو المذكور في قانون حضرة أفدينا ولى النعم حفظه الله

الفصل الثالث في ترغيب ولى النعم لنا في الشغل والاجتهاد

جرت عادته من مدة خروجنا من مصر بانه كان يتفضل علينا ببعثه
لنا فرمانا كل عدة أشهر يحنثنا فيه على تحصيل الفنون والصنائع فن هذه
الفرمانات ما كان من باب ما يسمى عند العثمانية إحياء القلوب مثل فرمان
الآتي ومنها ما كان من باب التوبيخ على ما كان يصله منا ويبلغه عنا من
بعض الناس حقاً أو غير ذلك كفرمان آخر وصلنا قبل رجوعنا الى
مصر القاهرة ولندكر لك هنا فرمانا من النوع الاول الذي هو إحياء
القلوب وان كان فيه أيضاً شائبة توبيخ لتعلم كيف كان حفظه الله يحنثنا
على التعليم وهذه صورة ترجمته * قدوة الأمثال الكرام الأفدية
المقيمين في باريس لتحصيل العلوم والفنون زيد قدرهم ينهى اليكم . انه
قد وصلنا أخباركم الشهرية والجداول المكتوب فيها مدة تحصيلكم وكانت
هذه الجداول المشتملة على شغلكم ثلاثة أشهر مبهمة لم يفهم منها ما حصلتوه
في هذه المدة وما فهمنا منها شيئاً وأنتم في مدينة مثل مدينة باريس التي

هي منبع العلوم والفنون فقياساً على قلة شغلكم في هذه المدة عرفنا عدم
غيرتكم وتحصيلكم وهذا الامر غمنا غماً كثيراً فيا أفندي ما هو مأمولنا
منكم فكان ينبغي لهذا الوقت ان كل واحد منكم يرسل لنا شيئاً من أثمار
شغله وآثار مهارته فاذا لم تغيروا هذه البطالة بشدة الشغل والاجتهاد
والغيرة وجئتم الى مصر بعد قراءة بعض كتب فظنتم انكم تعلمتم العلوم
والفنون فان ظنكم باطل فمعدنا والله الحمد والمنة رفقاؤكم المتعلمون يشغلون
ويحصلون الشهرة فكيف تقابلونهم اذا جئتم بهذه الكيفية وتظهرون
عليهم كمال العلوم والفنون فينبغي للانسان ان يتبصر في عاقبة أمره وعلى
العاقل ان لا يفوت الفرصة وان يحجني ثمرة تعب فبناء على ذلك انكم غفلتم
عن اغتنام هذه الفرصة وتركتم أنفسكم للسفاهة ولم تتمكروا في المشقة
والعذاب الذي يحصل لكم من ذلك ولم تجتهدوا في كسب نظرنا وتوجهنا
اليكم لتمييزوا بين أمثالكم فان أردتم ان تكسبوا رضائنا فكل واحد منكم
لا يفوت دقيقة واحدة من غير تحصيل العلوم والفنون وبعد ذلك كل
واحد منكم يذكر ابتدائه وانتهائه كل شهر وبين زيادة على ذلك دوحته
في الهندسة والحساب والرسم وما بقى عليه في خلاص هذه العلوم ويكتب
في كل شهر ما تعلمه في هذا الشهر زيادة على الشهر السابق وان قصرتم
في الاجتهاد والغيرة فاكتبوا لنا سببه وهو اما من عدم اعتنائكم أو من
تشويشكم وأى تشويش لكم هل هو طبعي أو عارض وحاصل الكلام
انكم تكتبون حالتكم كما هي عليه حتى نفهم ما عندهم وهذا مطلوبنا
منكم فاقروا هذا الامر مجتمعين وافهموا مقصود هذه الارادة * قد
كتب هذا الامر في ديوان مصر في مجلسنا في اسكندرية بمنه تعالى فتى
وصلكم أمرنا هذا فاعملوا بموجبه وتجنبوا وتحاشوا عن خلافه (خسة

في ربيع الاول سنة ١٢٤٥) خمسة وأربعين بعد الألف والمائتين من
الهجرة انتهت صورة المکتوب * ومن وقت هذا المکتوب صرنا
نكتب كل شهر جميع ما قرأناه وما تعلمناه في ذلك الشهر وتكتب تحته
المعلمون اسماءهم وتبعته الى ولي النعم فلما تساهل بعض منافي ذلك كتب
مسيو جومار الينا جميعاً مكاتب ليأمر من كان مواظباً على كتابة هذه
الاوراق في كل شهر ان يدوم على مواظبته ويوبخ من تساهل وهذه
صورة ترجمة المکتوب الذي أرسله الى في هذا المعنى ولذكرك كما
هو باریس ١٥ في شهر يونيو ٢٥ في شهر محرم سنة ١٢٤٦ الى محبنا
العزیز الشيخ رفاعة لا يخفى عليكم الامر الوارد من ولي النعم المتعلق
بالاوراق الشهرية المشتملة على الدروس التي قرأتموها قدم على ما أنت
عليه من المواظبة وابتث هذه الاوراق في يوم الثلاثاء كل شهر لمسيو
المهردار أقدى واطلب منه أوراها غير مكتوبة لتكتبها بعد ذلك ومن
المعلوم ان هذه الورقة الشهرية لا تأخذ في كتابتها الا نصف ساعة لان الغرض
منها مجرد ضبط عدد الدروس التي قرأتها ومعرفة نوعها وليكتب رئيس
مدرستك في كل شهر في الورقة الشهرية تحت اسمك ولا يخفى على اجتهادك
ولا أجهل قدر ثمره تحصيلك فاطلب منك ان تواظب على توفية الحقوق التي
كافتها واعلم وتيقن بمحبتى لك جوماراً أحداً باب ديوان الانسطينوط

﴿ الفصل الرابع في بعض مراسلات بني وبين بعض ﴾

﴿ من كبار علماء فرنساوية غير مسيو جومار ﴾

فمن كاتبني عدة مرات مسيو دساي ولذكرك بعض مكاتبيه ففهما ما كتبه
باللغة العربية ومنها ما كتبه باللغة فرنساوية * صورة مکتوب منه من

الفقير الى رحمة ربه سبحانه وتعالى الى المحب العزيز المكرم والاخ المعز
المحترم الشيخ الرفيع رفاعة الطهطاوي صانه الله عز وجل من كل مكروه
وشر وجعله من ذوي العافية وأصحاب السعادة والخير أما بعد فان القطعة
التي أكلت المطالعة فيها من كتابك النفيس وحوادث أقامتك في باريس
رددتها اليك على يد غلامك ويصالك صحتها حاشية مني على ما تقوله في
باب تصريف الفعل في لغتنا الفرنسية فاذا نظرت فيها تبين لك صحة
ماستعمله من صيغة الفعل الماضي فمن الواجب عليك ان تصنف كتابا
يشتمل على نحو اللغة الفرنسية المتداولة عند أمم أوروبا كلها وفي ممالكها
حتى يهتدى أهل مصر الى موارد تصانيفنا في فنون العلوم والصناعات
وممالكها فانه يعود لك في بلادك أعظم الفخر ويجعلك عند القرون
الآتية دائم الذكر ودمت سالما * كتبه المحب سلوستري دساي انتهى
صورة مكتوب آخر الى حبيبنا الشيخ رفاعة الطهطاوي حفظه
الله وابقاه أما بعد فانه سيصلك مع هذا ما طلبته منا من الشهادة باننا
قرأنا الكتاب المشتمل على حوادث سفرك وكلما امكننا فيه النظر من
أخلاق الفرنسية وعوائدهم وسياساتهم وقواعد دينهم وعلومهم وآدابهم
وجدناه مليحا مفيدا يروق الناظر فيه ويمجّب من وقف عليه ولا بأس
ان تعرض خط يدنا على مسيو جومار وان شاء الله يحصل لك بمصنفك
هذا حظوة عند حضرة سعادة الباشا وينعم عليك بما أنت أهله ودمت
على أحسن حال * محبك الداعي سلوستري دساي الباريزي وصحبة
هذا المكتوب ارسل الى ورقة باللغة الفرنسية لاطلع عليها مسيو جومار
وهي بالتقريب أشبه وصورة ترجمتها لما اراد مسيو رفاعة ان اطلع على
كتاب سفره المؤلف باللغة العربية قرأت هذا التاريخ الا اليسير منه فحق

لي ان اقول انه يظهر لي ان صناعة ترتيبه عظيمة وان منه يفهم اخوانه من اهل بلاده فهما صحيحا عوائدنا وأمورنا الدينية والسياسية والعلمية ولكنه يشتمل على بعض أوهام اسلامية ومن هذا الكتاب يعرف علم هيئة العالم وبه يستدل على ان المؤلف جيد النقد سليم الفهم غير انه ربما حكم على ساير اهل فرانس بما لا يحكم به الاعلى اهل باريس والمدن الكبيرة ولكن هذه نتيجة متولدة ضرورة من حالته التي هو عليها حيث لم يطلع على غير باريس وبعض المدن وقد أحرص في باب العلوم على ذكر المعلومات توطئة للتوصل الى المجهولات خصوصا في نبذته المتعلقة بعلم الحساب وبهيئة الدنيا وعبارة هذا الكتاب في الغالب واضحة غير متكلف فيها التعميق كما يليق بمسائل هذا الكتاب وليست دائما صحيحة بالنسبة لقواعد العربية ولعل سبب ذلك انه استعجل في تسديده وانه سيصلحه عند تبويضه وفي التكلم على علم الشعر ذكر استطراد بعض أشعار عربيه اجنبية من موضوع هذا الكتاب على ما يظهر لي لكنه ربما أعجب ذلك اخوانه من اهل بلاده وفي الكلام على تفضيل الصورة المدورة على غيرها من الاشكال ذكر بعض أشياء قليلة الجدوى فينبغي له حذفها وما ذكرت هذه الاشياء وينتها هذا التبيين الا للاعلام بالي دقت النظر في قراءتي هذا الكتاب وبالجملة فقد بان لي ان مسيو رفاعة احسن صرف زمنه مدة إقامته في فرانس وانه اكتب فيها معارف عظيمة وتمكن منها كل التمكن حتى تاهل لان يكون نافعا في بلاده وقد شهدت له بذلك اعن طيب نفس وله عندي منزلة عظيمة ومحبة جسيمة البارون سلوستري دساسي باريس في شهر فبريه سنة ١٨٣١ في شعبان سنة ١٢٤٦ وصورة ترجمة مكتوب كتبه لي قبيل خروجي من مدينته باريس بعد

إهداء السلام الى مسيو رفاعه يحصل لي حفظ عظيم اذا جاء عندي يوم الاثنين
الآتي والساعة في ٣ ان أمكنه ان يسرني برؤيقي له لحفظات لطيفة ويحصل
لي أيضاً غاية الانبساط اذا بعث لي أخباره بعد وصوله الى القاهرة فاذا لم
يتيسر لي رؤيته طلبت له طريق السلامة ولا ازال اذكر دائماً آثاره واستنشق
أخباره مع انجذاب قلب وانسراح صدر البارون سلوستري دساي
وصورة ما كتبه مسيو كوسين دي برسوال مدرس اللغة العربية
المتداولة في المحاورات المشهورة باسم الدارجة عند العامة بدار كتب خانة
السلطانية بباريس وكنت كتبت له ان يبعث لي رأيه في هذه الرحلة فكتب
هذا الجواب وصورته حضرة المحب العزيز الاكرم الفصيح اللسان والقلم جناب
الشيخ رفاعه المحترم حفظه الله آمين بعد اهدائككم خزيل السلام ومزيد
التحية والاكرام فقد ورد علينا عزيز مكتوبكم البارحة فبادرنا بقضاء
حاجتكم فواصل لكم طية تحرير تحتوي على رأينا في كتاب حوادث
سفركم الذي تفضلتم علينا باطلاعنا عليه وبالحقيقة قلنا مثل ما هو اعتقادنا
وشرحنا ما وجدنا فيه من المحاسن وأما بخصوص المذام فلما لقينا من
ذلك شيئاً وحيث انكم عازمون على السفر في آخر هذا الشهر فالأموال
من حسن محبتكم انكم بعد وصولكم بالسلامة الى بلادكم لا تخرجونا
من خاطركم وتواصلونا بالاعلام بصحتكم وترجائكم أيضاً انه اذا طبع
كتابكم تبعثوا لنا منه نسخة وبذلك تصيروننا ممنونين ولا فضل لكم
شاكرين والله تعالى يحفظكم والسلام

محبتكم كوسين دي برسوال ٢٤ شباط سنة ١٨٣١

والمراد بطية التحرير ورقة شهادته بانه اطاع على هذا الكتاب وقال
رأيه فيه وصورة ترجمة هذه الطية التي كتبها لمسيو جومار باللغة

الفرنساوية ليخبره برأيه في هذه الرحلة قرأت بالتأمل مؤلف الشيخ
رفاعة الملقب بتخليص الأبريز في تلخيص باريز فوجدته يتضمن حكاية
صغيرة في سفر المصريين المبعوثين الى فرنسا من طرف وزير مصر
الحاج محمد علي باشا وتشتمل على تخطيط مدينته باريز وعلى نبذات
مؤخرة في جملة فروع من العلوم المطلوبة التعليم من هؤلاء التلامذة وقد
ظهر لي ان هذا التأليف يستحق كثيراً من المدح وانه مصنوع على
وجه يكون به نفع عظيم لاهالي بلد المؤلف فانه أهدي لهم نبذات صحيحة
من قنون فرنسا وعوائدها وأخلاق أهلها وسياسة دولتها ولما رأى
ان وطنه أدنى من بلاد أوربا في العلوم البشرية والفنون النافعة أظهر
التأسف على ذلك وأراد ان يوقظ بكتابه أهل الاسلام ويدخل عندهم
الرغبة في المعارف المفيدة ويولد عندهم محبة تعلم التمدن الافرنجي والترقي
في صنائع المعاش وما تكلم عليه من المباني السلطانية والتعليمات وغيرها
أراد ان يذكر به لاهالي بلده انه ينبغي لهم تقليد ذلك وما نظر فيه في
بعض العبارات يدل في الغالب على سلامة عقله وخلوه من التعسف
والتحامل وعبارة هذا الكتاب بسيطة أي غير متكلف فيها التتميق
ومع ذلك فهي لطيفة وحين كانت نسخة هذا الكتاب بيدي كان الجزء
الذي يتعلق بالعلوم والفنون غير تام فما رأيت منه الا نبذة في الرياضيات
وعلم حياة الدنيا ومبادئ أصول الهندسة والجغرافيا الطبيعية فهذه
النبذات وان كانت موجزة الا انها مشبعة فيترجي ان المؤلف يدوم على تأليف
النبذات الباقية بهذه المثابة واذا اجتمعت هذه النبذات في هذا الكتاب
فانها تكون كتاب علوم مستقل مفتاحاً لغيره من العلوم نافعا لاهل العربية
واذا فرغ الكتاب بهذه الطريقة فانه يستدل به على رفعة عقل مؤلفه

وانساع دائرة معرفته * كوسين دى برسوال

فاذا قابلت هذا المكتوب مع ما تقدم رأيت ان مسيو دساسي ومسيو كسين اتفقا على حسن هذا الكتاب وعلى بساطة عبارته أي عدم التأنق فيها وعلى نفعه لاهل مصر وانما مسيو دساسي أعابه بثلاثة أشياء الاول اشتماله على بعض مسائل يعتقد أنها من أوهام الاسلام الثاني جعلنا ما ينسب لمدينة باريس وغيرها من المدن عاما لسائر بلاد فرانس الثالث ذكرنا بعض أشياء قليلة الجدوى عند تفضيل الشكل المدور على غيره من الاشكال وأما مسيو كسين فانه لم يتعرض لما جعله مسيو دساسي من باب الاوهام ولما تحدثت معه في شأن ذلك أجابني بأنه لم ير ذلك مضرا حيث اني كتبت على ما هو في اعتقادي والا لو تتبععت مقاله الافرنج ووافقت آراءهم للحيا أو غيره لكان ذلك محض موالسة وأما قوله كمسيو دساسي ان عبارة هذا الكتاب بسيطة فمعناه ان تراكيه لم يحاول فيها سلوك طريق البلاغة يقال عند علماء الفرنساوية عبارة بسيطة في مقابلة العبارة البليغة ولقد ذكر لك هنا رسالة من شخص كان بيني وبينه محبة اكيدة وصورة اجتماعي بهذا الشخص اني دخلت مكتبه لقراءة الكازيطات أي الوقايع اليومية فتعرفت بهذا الشخص الذي هو محاسب في وزارة الخزانة المالية وأخوه مأمور دبرطمانه يعني اقلما من اقليم الفرنساوية وهو من بدنه عظيمة تسمى السلاذانية نسبة الى سلاذان يعني صلاح الدين يتوهمون أنهم ينتسبون الى السلطان صلاح الدين الايوبي قائلين انه يحتمل ان يكون حين محاربته مع الافرنج عسرى بفرنساوية حملت منه ثم انطلقت الى بلادها فبقى الاسم في أولادها وذراريها الى الآن ثم اني كما تعرفت به تعرفت بسائر أقاربه

ولا زلت معهم على الصحة الا كيدة مدة اقامتي في ربايس فلما سافرت
كان عند أخيه المأمور في اقليم الترك في مدينه يقال لها الي فارسلى الى
هذا المكتوب وهذه صورة ترجمته مع بعض حذف جاز الى حضرة
عزيزنا الشيخ رفاعة قد سلمت أمانتك لابن شيخ المأمورية ليعطيها لك
فانتظرها بعد وصول هذا المكتوب بزمن يسير وقد وكفى أخى بان
أخبرك ثنائه عليك على ما صنعت معه من الجميل في اعارتك له هذه الامانة
وأن أهنيك على بلوغك المأمول هل عن قريب تفارقنا ترى وطنك
العزيز فان شاء الله تجتمع بما تركته فيه من الاقارب والاحباب وتجد
بخير فقد بلغني ان سفرك قد قرب جدا حتى اني لا أظن أن أقابلك في
مدينة باريس ولكن لو سافرت قبل هذا الزمن يسير لاجتمعنا في
مرسيليا وودعتك في آخر مدينة من مدن فرنساوية تعبر فيها في سفرك
ولو تأخر سفرك مدة يسيرة لافترقنا في مدينة باريس التي كان بها أول
اجتماعنا ولا أدري ان كان التلاقي مقدرا أم لا ولكن تقابلات الدهر كثيرة
خصوصاً للافرنج فلا يمكنني أن أحزم بعدم الاجتماع وبالجملة فلا شك
انك تركت في فرنسا صديقاً يتذكرك ويتأثر لك بما يقع لك من النفع
والضرر ويسر غاية المسرة اذا بلغه انك تحظى في بلادك بثمرة فضلك
وأوصافك وليت شعري ترجع الى بلادك باي اعتقاد في طبيعة فرنساوية
فقد رأيت هذه الملة في وقت ينبغي ان يكون تاريخاً من غرائب سيرها
وأظن انك تسأل في بلادك مراراً عديدة عن هذه الفتنة العظيمة ونصرة
الفرنساوية في طلب الحرية فاذا وقع اتفاقاً ان سفرك توقف مدة أيام فامولى
أن أراك في مدينة باريس والا فارجو منك أن لا تسافر حتى تودعني بلسان
القلم بمحبتى لك غاية المحبة انتهت صورته

وهذه صورة مكتوب تفهم منه أيضاً رغبة الفرنسيين في تحصيل الكتب الغربية وترغيبهم للمؤلفين أو المترجمين في ترجمة الكتب وتأليفها وهذه صورة ترجمة هذا المكتوب الى مسيو الشيخ رفاعة قد علمني مسيو دبنغ ان أسأل عن ترجمتك لكتاب العلوم الصغير المشتمل على أخلاق الأمم وعوائدهم وآدابهم لان مسيو دبنغ مؤلف هذا الكتاب فاذا كانت ترجمتك تنطبع في مصر هل يتيسر لمؤلف الاصل ان يقيد اسمه لتحصيل عدة نسخ من نسخ هذا الكتاب بالشرع ونعرفك انك تجربنا من اي محل وصلت في الترجمة من المجلد الاول من جغرافيا ملطبرون فان هذا الجزء الآن يطبع طبعا آخر مصححاً مشتملاً على زيادات لا توجد في الاول فلا بأس ان نحيطك به علماً فانه يكمل طبعه في أثناء هذا الشهر ومني اليك مزبد التحية * محبك الصادق رنوبخرانة الكتب السلطانية بباريز

الفصل الخامس في ذكر ما قرأته من الكتب في مدينة باريس وفي كيفية الامتحانات وفيما كتبه لي مسيو جومار وفيما كتب من خلاصة الامتحان الاخير في الوقائع العلمية واذ كررنا ما قرأته مرتباً بهذا الترتيب وان تكرر مع ما سبق

تعليم أصول نحو اللغة الفرنسية

كان خروجنا من الكرنتينة في السابع والعشرين من شهر شوال سنة ٤١ وبعده أيام قليلة في مرسيليا ابتدأنا في التهجى والقراءة وبعده نحو أربعين يوماً تعلمنا الحروف الفرنسية والتهجى ووصلنا باريس في شهر محرم فرجعنا ثانياً للابتداء في أصول الهجاء واشتغلنا بذلك نحو شهر ثم ابتدأنا جميعاً في قراءة أجرومية لومند في نحو اللغة الفرنسية.

وكان المعلم يضيف اليها من أجرومية أخرى ما يحتاج اليه الحال فلما خرجت من بيت الأفندية قرأت مع مسيو شواليه أجرومية أخرى ومع معلم آخر يسمى لموزي أجروميتين وفي كل من البيتين يعني بيت الأفندية وبيت المعلم كنت أشتغل بالاعراب النحوي والاعراب المنطقي يعني تطبيق الكلام على قواعد النحو وقواعد المنطق وبالامسلا والانشا والقراءة ولا زلت على ذلك ثلاث سنوات

(علم التاريخ)

ابتدأنا في بيت الأفندية حين كنا معاً بكتاب سير فلاسفه اليونان فقرأناه وتمناه ثم ابتدأنا بعده في كتاب تاريخ عام مختصر مشتمل على سير قدماء المصريين والعراقيين وأهل الشام واليونان وقداماء العجم والرومانيين والهنود وفي آخره نبذة مختصرة في علم الميثولوجيا يعني علم جاهلية اليونان وخرافاتهم ثم قرأت عند موسيو شواليه كتابا يسمى لطائف التاريخ يتضمن قصصاً وحكايات ونوادير ثم بعده قرأت كتابا يسمى سير أخلاق الأمم وعوائدهم وآدابهم ثم تاريخ سبب عظم دولة قيصرية الروم وانقراضها ثم كتاب رحلة أنخرسيس الأصغر الى بلاد اليونان ثم قرأت كتاب سيغور في التاريخ العام ثم سيرة نابليون ثم كتابا في علم التواريخ والانساب ثم كتابا يسمى بانورما العالم يعني مرآة الدنيا ثم رحلة صنفها بعض المسافرين في بلاد الدولة العثمانية ثم رحلة في بلاد الجزائر

علم الحساب والهندسة

قرأت في الحساب كتاب بزوت وفي الهندسة الاربع مقالات الاول من كتاب لوجندره

علم الجغرافيا بأنواعها

قرأت مع مسيو شواليه كتاب جغرافية يشتمل على الجغرافية التاريخية والطبيعية والرياضية والسياسية ثم قرأت رسالة اخري في الجغرافية الطبيعية مقدمة لقاموس في الجغرافية يعني معجم البلدان ثم قرأت الكتاب الاول بعينه مع معلم اخر غير مسيو شواليه وقرأت ايضا مع مسيو شواليه جملا عظيمة من جغرافية ملطبرون ورسالة الفها لتعليم بننه في هيئة الدنيا وقرأت وحدي مؤلفات عديدة في هذا الفن

فن الترجمة

ترجمت مدة اقامتي في فرنسا اثني عشر كتابا اوشذرة يأتي ذكرها في آخر هذا الكتاب يعني اثني عشر مترجما بعضها كتب كاملة وبعضها نبذات صغيرة الحجم

كتب في فنون مختلفة

قرأت كتابا في علم المنطق الفرنسي مع مسيو شواليه ومسيو المونزي وعدة مواضع من كتاب ليبرتر وايال من جملتها المقولات وكتابا آخر في المنطق يقال له كتاب قنديلان غير فيه منطق ارسطو وقرأت مع مسيو شواليه كتابا صغيرا في المعادن وترجمته وقرأت كثيرا من كتب الادب فيها مجموع نويل ومنها عدة مواضع من ديوان ولير وديوان رسين وديوان رسو خصوصا مراسلاته الفارسية التي يعرف بها الفرق بين ادب الافرنج والعجم وهي اشبه بميزان بين الادب المغربية والمشرقية وقرأت ايضا وحدي مراسلات انكليزية صنفها القونت شسترفيلد لتربية ولده وتعليمه وكثيرا من المقامات الفرنسية وبالجملة فقد اطلعت في آداب الفرنسية على كثير من مؤلفاتها الشهيرة وقرأت في الحقوق الطبيعية مع معلمها

كتاب برلماكي وترجمته وفهمته فهما جيدا وهذا الفن عبارة عن التحسين والتقييح العقلين يجعله الافرنج اساسا لاحكامهم السياسية المسماة عندهم شرعية وقرأت ايضا مع مسيو شواليه جزئين من كتاب يسمى روح الشرايع مؤلفه شهير بين الفرنسيين يقال له منتكسوا وهو اشبه بميزان بين المذاهب الشرعية والسياسية ومبني على التحسين والتقييح العقلين ويلقب عندهم بابن خلدون الافرنجي كما ان ابن خلدون يقال له عندهم ايضا منتكسو الشرق اي منتكسوا الاسلام وقرأت ايضا في هذا المعنى كتابا يسمى عقد التانس والاجتماع الانساني مؤلفه يقال له روسو وهو عظيم في معناه وقرأت في الفلسفة تاريخ الفلاسفة المنقدم المشتمل على مذاهبهم وعقائدهم وحكمهم ومواعظهم وقرأت عدة محال نفيسة في معجم الفلسفة للخواجه وليتر وعدة محال في كتب فلسفة قنديلان وقرأت في فن الطبيعة رسالة صغيرة مع مسيو شواليه من غير تعرض للعمليات وقرأت في فن العسكرية من كتاب يسمى عمليات كبار الضباط مع مسيو شواليه مائة صفحة وترجمتها وقرأت كثيرا في كازيطات العلوم اليومية والشهرية التي تذكر كل يوم ما يصل خبره من الاخبار الداخلية والخارجية المسماة البوليتيكية وكنت متولعا بها غاية التولع وبها استغنيت على فهم اللغة الفرنسية وربما كنت اترجم منها مسائل علمية وسياسية خصوصا وقت حروبا الدولة العثمانية مع الدولة الموسقوية ولندكر لك هنا ترجمتنا رسالة فرضية من فرنساوي متطوع بالخدمة في معسكر الموسقو من مدينة شمالا القريب الى بعض امراء الالوية بمدينة باريس تاريخها اثنان وعشرون من يولييه الافرنجي سنة ١٨٢٨ من الميلاد اعلم يا محبنا ان هذا أول مرة التحم فيها صفنا مع الصفوف الاسلامية من منذ وصولنا الى العساكر الموسقوية ثم ان سائر مآرايته مما يذهل العقول ويحير الالباب

قصر عنه العبارة كيف وهو امر غريب بالنسبة الى مثلي فلو كنت مثل
 جنابكم من العسكر المتمرن على الحروب سافرت في غزوة مصر ورأيت
 واقعة ابي قير وحصار مدينة عكلا حارلي حين رأيت شيئا جديدا لم اكن
 عاينته قبل ذلك بما يكمل عنه الوصف ولكن تأمل يا اخي في امري حيث
 اني قد كنت في خفر ملكنا وخرجت من مكتب سنسير ولم احضر من
 الوقائع الا واقعة الاندلس فلم اشعر الا ان وجدت نفسي قدام جبل بلقان
 بعد ان جبت البراري والقفار وعانيت المشاق بتهديد اهلها لنا وتخلصهم
 منا وادهاشهم لحيوشنا وانظر في استعجابي وذهاب صوابي حين خرجت
 الفوارس التركية متصافه صفوف عجيبة للحراية الاسلامية باعلى شملا
 وقد وصل الى شريف علمكم من دفتر علم الموسيقى تفصيل هذه الواقعة
 وشرح الجمل الفقير من عساكرنا والخبر بانها صارت ضايعة وقد شاهدت
 بعيني سوء ميته الميرالي باردي الموسيقى بحالة رديئة حيث انقسم نصفين
 بضربة مدفع تركية ومن الآن فقط ظهرت صعوبة هذه الحراية وطول
 مدتها لا بعد من الغراية وان كان بعساكرنا شجاعه وصلابة في الحروب
 فعساكر الاسلام لها مصادمة قوية بمنزل عن الهروب وهذه المصادمة
 هي التي تستسهل الخطر وتخرق المانع لبلوغ الوطر ينتج منها ثمرتان الاولى
 انها تنقي الحيرة في عقول الرجال والثانية ان عاقبتها دائما تفرغ الفرع
 في قلوب الاعداء ولو كانوا من الابطال ولو شاهدت عينك ماشهده من
 ان الفرسان العثمانية ترعب الانسان بمجرد منظرها المرعب وبسرعة
 افتتاحها المدهش المعجب ومشيتها على صوت الالحان الوحشية وصهيل
 الخيول السكرية ونزولها كالصواعق على المشاة الموسقوية لحكمت مثلي
 بان هذه الحراية تطول وان اضطرار نارها قل ان يزول أو ليس ان

للدولة العثمانية فرساناً عظيمة مرتبة بترتيب عجيب وهمة عليّة بنظام غريب أو هل ينكر أحد ان رجالهم متمرنون على ركوب الخيل وان خيولهم على أصل خلقتهم الوحشية طائفة لسيدها في الاقدام والاحجام يبلغ عليها في الحراية المقصود والمرام فياويح العساكر القراية التي يلتحم صفها بصنف هذه الخيول المركوبة لهؤلاء الفحول الذين لهم زيادة غن قوتهم الجهادية دعامة غيرتهم الاسلامية والوطنية وهذه مزية لا توجد يقيناً في عساكر الموسقو ثم ازدحام الخلائق في أوقات الحروب له تدبير صحيح ولكن في هذه الواقعة لا يجهل انسان ولو كان من القزاق ان الفخر لعساكر الاسلام وهذا الخبر ربما ظهر لك انه عجيب من مثلي خصوصاً وأنا قد جئت متطوعاً في عسكر الموسقو لاشاركهم في اقتحام الاخطار واقتسم معهم الفخار والكنى لما وصلت الى هنا ظهر لي ان الظن قد خاب واني قد حدثت عن الصواب ورأيت أعداءنا الذين كنا نتهمهم بمحقارة الرتبة والرداءة هم الليوث الضراغم ليس لهم شيء من الدناءة بل هم أقرب الى قبول التأديب والظرافة من الافرنج واعلم يا أخي ان غيرتي على خلاص الاروام من يد العثمانية لم تنقص شيئا ولكن أقول ليت شعري هل تلزم الغارة على اسلامبول في خلاصهم أو ليس مما يتحسر عليه ان ماخسرناه في أخذ مدينة ابرائيل من العساكر كان يكفي وحده في فك أسر الاروام وتحرير رقابهم وتقليل سفك دماننا بعساكر الاسلام وقد أسرنا عن قريب أحدضباط العساكر العثمانية وكان شاباً يديع الصورة كثير الجروح فعفى عساكرنا عن قتله ولم يكن ذلك لغيره ورقواً للملاحته وجراحته مخاطبته باللغة الايطالية ففهم مقالي وأجاب سؤالي وأخبرني بان أباه له من العمر الآن ثمانون سنة وله

اخوان في خدمة حسين باشا لاشك في نصرة الدولة العثمانية بل يقول ان الترك يصلون الى موسقو واعلم يا اخي ان في شمالنا نحو مائتي الف محارب ويحشد عابها كل يوم وسلاطنتهم بطل عظيم عن يقين وها أنا الآن أطوي لك كتابي لاضع قدمي في ركابي فالآن عساكر الاعداء تحارب في طالعنا جيشنا وانا بين دوي الحان الترك وعيج أصوات الروس غريق وهذه حراية مهولة ان نظرت بعين التحقيق

❦ الفصل السادس ❦

في الامتحانات التي صنعت ممي في مدينة باريس خصوصاً في الامتحان الاخير الذي أعقبه رجوعي الى مصر اعلم ان من عادة الفرنسية أن لا يكتفوا في العلم بمجرد شهرة الانسان بالفهم أو الاجتهاد أو بمدح المعلم في المتعلم بل لا بد عندهم من أدلة واضحة محسوسة تفيد الحاضرين في الامتحان قوة الانسان والفرق بينه وبين أمثاله وهذا يكون بالامتحانات العامة يحضرها العام والخاص بدعوة مثل دعوة الولايات وهاهناك امتحانات خاصة وهي ان يتمحن المعلم تلامذته كل أسبوع أو شهر ليعلم قوة زيادتهم في ذلك الاسبوع أو الشهر وليكتب مفاد ذلك الى آبائهم فكننا في البنسيونات بهذه المثابة وكل سنة يصنع معنا الامتحان العام بحضرة أعيان الفرنسية فاول بحث صنع معنا كان أغلبه ومثاقره على اللغة الفرنسية وقد جرت العادة عندهم بانهم يعطون هدية امتحان للبارعين في الجواب المتميزين عن غيرهم ففي أول امتحان عام بحث لي مسيو جومار كتاباً يسمى رحلة انخرسيس في بلاد اليونان سبعة مجلدات جيدة التجليد مموهة بالذهب يصحبها هذا المكتوب الذي صورته مترجماً

أول يوم في شهر اغسطس ١٨٢٧ من الميلاد قد استحققت هدية اللغة الفرنسية بالتقدم الذي حصته فيها وبالثمرة التي نلتها في الامتحان العام الاخير ولقد حق لي أن أهني نفسي برسالي لك هذه الهدية من الافدية النظار دليلاً على التفاتك في التعليم ولا شك ان ولى النعمة يسر متى أخبر ان اجتهادك وثمره تعليمك يكافئان للمصاريف العظيمة التي يصرفها عليك في تربيتك وتعليمك وعليك مني السلام مصحوباً بالموودة وقوله في الامتحان الاخير المراد انه آخر بالنسبة لما قبله وهدية الامتحان تشبه ان تكون جائزة مثل جائزة الشعرا وفي الامتحان العام الثاني بعث لي هدية الامتحان كتاب الانيس المفيد للطالب المستفيد وجامع الشذور من منظوم ومنثور مؤلفه مسيو دساي وصحبته هذا المكتوب* وصورته مترجماً باريس ١٥ في شهر مارث سنة ١٨٢٨ من الميلاد قد استحققت هدية النحو الفرنسية بالتقدم الذي حصته في هذه اللغة وبالثمرة التي نلتها في الامتحان العام الاخير ولقد سرني انك استحققت أن أبعث لك علامة السرور منك ليقوى قلبك وها أنا باعث جدول امتحانك لسعادة ولى النعم باجتهادك وفلاحك ولا شك انه يسر بانك تشتمل مع ثمرة وانك اهل لرعايته لك واعتناؤه بتربيتك وتعليمك وعليك مني السلام وفي هذين الامتحانين أخذت هدية الامتحان وأما صورة الامتحان الاخير الذي به رجعت الى مصر ان مسيو جومار جمع مجلساً فيه عدة أناس مشاهير ومن جنتهم وزير التعليمات الموسقوي رئيس الامتحان وكان القصد بهذا المجلس معرفة قوة الفقير في صناعة الترجمة التي اشتغلت بها مدة مكثي في فرنسا وصورة ما تحصل من الامتحان وكتبه الفرنسية في وقائع العلوم مانصه وصورة التلميذ رقاعة انه قرى في المجلس دفتر أن

الدفترا الاول يشتمل على تعديد اثني عشر ترجمة من اللغة الفرنسية الى العربية ترجمها المذكور من منذ سنة وهذه أسماؤها * الاول نبذة في تاريخ اسكندر الاكبر مأخوذة من تاريخ القهسما * الثاني كتاب أصول المعادن * الثالث رزنامة سنة ١٢٤٤ من الهجرة ألفه مسيو جومار لاستعمال مصر والشام متضمناً لشذرات علمية وتدبيرية * الرابع كتاب دائرة العلوم في أخلاق الأمم وعوائدهم * الخامس مقدم جغرافيه طبيعيه مصححه على مسيو دهنبلض * السادس قطعة من كتاب ملطبرون في الجغرافيه * السابع ثلاث مقالات من كتاب الجندرة في علم الهندسه * الثامن نبذة في علم حياة الدنيا * التاسع قطعة من علميات رؤساء ضباط العسكرية * العاشر أصول الحقوق الطبيعية التي تعتبرها الافرنج * الحادي عشر نبذة في الميثولوجيا يعني جاهلية اليونان وخرافاتهم * الثاني عشر نبذة في علم سياسات الصحة * الدفتر الثاني يشتمل على رحلته وذكرك سفره ثم أحضر له عدة تأليف مطبوعة في بولاق فترجم منها مواضع يسرعة ثم قرأ بالفرنساوي مواضع منها ما هو صغير ومنها ما هو كبير في كازيطة مصر المطبوعة في بولاق ثم بحث معه في ترجمة العلميات العسكرية المترجمة له فكان بعض الحاضرين بيده الاصل الفرنسي هو الشيخ بيده الترجمة ثم انه يترجم العربية بالسرعة الى الفرنسية قراءة لا كتابة ليقابل عبارة الترجمة مع عبارة الاصل وقد تخاصص على وجه حسن من هذا الامتحان فادى العبارات حقها من غير تغيير في معني الاصل المترجم ولكن ربما أحوجه اصطلاح اللغة العربية ان يضع مجازا بدل مجاز آخر من غير خلل في المعني المراد مثلاً في تشبيه أصل علم العسكرية بمعدن مشبع يستخرج منه كذا غير العبارة بقوله علم العسكرية بمحور عظيم يستخرج منه

الدرر وقد اعترض عليه في الامتحان بأنه بعض الاحيان قد لا يكون في ترجمته مطابقة تامة بين المترجم والمترجم عنه وانه ربما كرر وربما ترجم الجملة بجمل والكلمة بكلمة ولكن من غير أن يقع في الخاطئ بل هو دائماً محافظ على روح المعنى الاصلى وقد صرف الشيخ الآن انه اذا اراد أن يترجم كتب علوم فلا بد له أن يترك التقطيع وعليه أن يخترع عند الحاجة تغييراً مناسباً للمقصود وقد امتحن في كتاب آخر وهو مقدمة القاموس العام المتعلقة بالجغرافية الطبيعية وهذا الكتاب ترجمه هو الى العربية ولما كان وقت ترجمة هذا الكتاب لم يصل الى درجته الآن في اللغة الفرنسية كانت ترجمته دون ترجمة الكتاب الذي بحث معه فيه قبله وكان عيبه انه لم يحافظ على تأدية عبارة الاصل بجميع أطرافها وعلى كل حال فلم يغير في المعنى شيئاً بل طريقته في الترجمة كانت مناسبة ففترق أهل المجلس جازمين بتقديم التلميذ المذكور ومجمعين على أنه يمكنه أن ينفع في دولته بان يترجم الكتب المهمة المحتاج اليها في نشر العلوم والمرغوب في تكثيرها في البلاد المتقدمة ولا شك أن بعض هذه الكتب قد يحتوى على أشكال والخطوط من أهل بلاده يشغل بالطباعة على الاحجار لاجل ذلك وقد كان حاضراً في المجلس فقدم لاهل المجلس عدة عينات مطبوعة بيده على الحجر من تصوير وكتابة عربية وفرنساوية وقد ابتداء في معرفة تسيير الشوكة للنقش والقلم للكتابة وقلم الشعر ثكتابة التصوير وفي تصويراته توجد حيوانات وأمور عمارات وغير ذلك من الامور المصنوعة بالخطوط من غير ظل ولكنه جاء في قرانيا كبير السن فلم يمكنه أن يصور تصويراً صحيحاً خالياً عن جميع العيوب ولكن يمكنه أن يعرف معرفة تامة طريق الطباعة على

الحجر عالماً وعملاً وينسخ عينات التصوير التي تمطي له ويطبعها بنفسه عند الحاجة ويمكنه أن يتأهل لفتح دار للطباعة ونظارتها وقد ترجم مختصراً في صناعة الطباعة بالحجر وكتبها على الحجر وطبعها بيده وكانت نسخة منها موضوعاً على باش تخته مسيو جومار انتهى كلام كازيطة دائرة العلوم وكتب لي مكتوب تهنئة برجوعي إلى مصر بعد تحصيل المرام غير أن هذا المكتوب قد ضاع مني وكان لا بأس بذكره هنا وصورة ترجمته ما كتبه لي مسيو شواليه وهو أشبه بأجازة وشهادة لي وزارة الحرب يقول الواضع اسمه فيه شواليه تلميذ قديم من تلامذة مدرسة العلوم المسماة بلوتكنيقا الضابط المهندس المكتوب في وزارة الحرب الوكيل من طرف مسيو جومار والافندية النظار بالارشاد إلى تعليم مسيو الشيخ رفاعة أشهد أنني مدة نحو الثلاث سنوات ونصف التي مكثها التلميذ المذكور عندي لم أر منه إلا أسباب الرضاء سواء في تعليمه أو في سلوكه المملوء من الحكمة والاحتراس وحسن خلقه ولين عريكته وقد قرأ معي في السنة الأولى اللغة الفرنسية والقسمغرافيا انتهى وفيما بعدها الجغرافيا والتاريخ والحساب وغير ذلك ولما كان خالياً عن الاستعداد والهمة اللازمين لتعلم الرسم مع ثمرة لم يشغل به الأمر في كل أسبوع لمجرد امتثال أوامر ولي النعم ولكن صرف جهده مع غاية الغيرة في الترجمة التي هي صناعته المختارة له واشغاله فيها مميّنة في اعلاماتي الشهرية خصوصاً في الجرنالات الأولى التي أعطيتها لمسيو جومار وحسب هذا التلميذ ما في هذه الاعلامات والجرنالات وما ينبغي التنبيه عليه أن غيره مسيو الشيخ رفاعة تناهت به إلى أن أدته إلى أن شغله مدة طويلة في الليل تسبب عنه ضعف في عينه اليسار حتى احتاج إلى

الحكيم الذي نهى عن مطالعة الليل ولكن لم يمتثل لحوف تعويق تقدمه ولما رأى أن الأحسن في اسراع تعليمه أن يشتري الكتب اللازمة له غير ما سمح به الميرى وأن يأخذ معلماً آخر غير معلم الميرى أنفق جزءاً عظيماً من ماهيته المعدة في شراء كتب وفي معلم مكث معه أكثر من سنة وكان يعطيه الدرس في الحصة التي لا يقرأ معي فيها وقد ظننت أنه يجب على وقت سفره أن أعطيه هذا الإعلام الموافق لما في الواقع ونفس الأمر وإن أضيف إلى ذلك الإفصاح عما في ضميري من كمال اعتقاد فضله ومحبة مسيو شواليه ٢٨ في شهر فبراير سنة ١٨٣١

المقالة الخامسة في ذكر ما وقع من الفتنة في فرانس وعزل الملك قبل رجوعنا إلى مصر وإنما ذكرنا هذه المقالة لأنها تعد عند الفرنسيين من أطيب أزمانهم وأشهرها بل ربما كانت عندهم تاريخاً يورخ منه

(الفصل الأول في ذكر مقدمة يتوقف عليها ادراك علة)

(خروج الفرنسيين عن طاعة ملكهم)

اعلم ان هذه الطائفة متفرقة في الرأي فرقتين أصليتين وهما الملكية والحرية والمراد بالملكية اتباع الملك القائلون بأنه ينبغي تسليم الأمر لولي الأمر من غير أن يعارض فيه من طرف الرعية بشيء والآخرى يميلون إلى الحرية بمعنى أنهم يقولون لا ينبغي النظر إلا إلى القوانين فقط والملك إنما هو منفذ للاحكام على طبق ما في القوانين فكانه عبارة عن آلة ولا شك ان الرأيين متباينان فلذلك كان الاتحاد بين أهل فرانس لفقد الاتفاق في الرأي والملكية أكثرهم من القسوس واتباعهم وأكثر الحريين من الفلاسفة والعلماء والحكماء وأغلب الرعية فالفرقة الأولى تحاول

اعانة الملك والاخرى ضمفه واعانة الرعية ومن الفرقة الثانية طائفة عظيمة تريد ان يكون الحكم بالكلية للرعية ولا حاجة الى ملك أصلا ولكن لما كانت الرعية لاتصاح ان تكون حاكمة ومحكومة وجب ان توكل عنها ما تختاره منها للحكم وهذا هو حكم الجمهورية ويقال للكبار مشايخ وجمهور وهذا مثل مصر في زمن حكم الهامية فكانت امارة الصعيد جمهوريا التزامية فلم من هذا ان بعض الفرنسيات يريد المملكة المطلقة وبعضهم يريد المملكة المقيدة بالعمل بما في القوانين وبعضهم يريد الجمهورية وقد سبق للفرنساوية انهم قاموا سنة ١٧٩٠ وحكموا على ملكهم وزوجته بالقتل ثم صنعوا جمهورية وأخرجوا العائلة السلطانية المسماة البربون من مدينة باريس وأشهرهم مثل الاعداء ولا زالت الفتنة باقية الاثر الى سنة ١٨١٠ ثم تسلطن بونا بارتة المسمى نابليون وتلقب بسلطان سلاطين ثم لما كثرت جراته وكثر أخذه للممالك وخيف باسه وبطشه تعاهد عليه ملوك الإفرنج ليخرجوه من المملكة فأخرجوه منها مع حبة فرنساوية له وأرجعوا البربون الى محامهم رغما عن اتف الملة فرنساوية فيكان أول من تسلطن منهم لويز الثامن عشر ولاجل ترغيب الناس في حكمه وتمكين ملكه صنع قانونا بينه وبين فرنساوية بمشورتهم ورضائهم والزم نفسه ان يتبعه ولا يخرج عنه وهو الشرطة وقد ذكرناها مترجمة في باب سياسة فرنساوية ولا شك ان وعد الكريم الزم من دين الكريم وقد جعل هذا القانون له ولمن بعده من ورثة مملكة فرنساوية وانه لايزاد فيه ولا ينقص الا اذا اتفق عليه الملك وديوان الير وديوان وكلاء الرعية فلا بد من الديوانين والملك ويقال انه صنع ذلك على غير مراد أهله وأقاربه وهم يحبون التصرف المطلق في الرعية

ويقال انهم تعصبوا عليه وكان رئيس العصبة أخاه شرل العاشر حتى انه أطلع على ما خفاء له فإبطله ويقال ان شرل العاشر أراد في كبر لويز الثامن عشر ان ينقض ذلك القانون ويرجع الى طريق اطلاق التصرفه فلم يمكنه ذلك ثم بعد موت أخيه اظهر شرل الحيلة وأبطل ما كان نواه وأظهر انه لا يريد شيئاً من ذلك وجوز لكل انسان ان ييدي في الكازيطات رأيه بالكتابة من غير ان ينظر فيه قبل طبعه واظهاره فصدق الناس كلامه واعتقدوا انه لا يخالف وعده بل فرحت سائر الرعية بتدبيره ومشيه على القوانين ثم انه انتهى أمره الى ان هتك القوانين التي هي شرائع الفرنسية وخالفها وقبل هتكه للشرعية بانتهى منها امارتها بمجرد تقليده الوزارة للوزير بولنياق وهو معلوم المذهب والتدبير يعنى انه يميل الى كون الامر لا يكون الا للملك ويقال ان هذا الوزير هو ابن زنا زنت أمه بهذا الملك فولدته منه فهو في الحقيقة أبوه وشهير بالظلم والجور ومن الحكم التي في غاية الشيوخ ان ظلم الاتباع مضاف الى المتبوع وفي الحديث من سل سيف الجور سل عليه سيف الغلبة ولازمه الهم وقال الشاعر
من انصف الناس ولم ينتصف * بفضله منهم فذاك الامير
ومن يرد انصافه مثله * انصف اضحى ماله من نظير
ومن يرد انصافه وهولا * ينصفهم فهو الدني الحقيير
ولما كان هذا الوزير سابقاً اياجيا ببلاد الانكليز من طرف الفرنساوية يعنى رسولا للتصالح بين الدولتين كانت الفرنسية تنسب اليه كلما خالف مذهب الحرية وكما شاع عنه انه راجع الى فرانسايظن جميع الناس انه لا يأتي الا ليتقلد منصب الوزارة ويغير القوانين فلذلك كان يبغضه سائر أرباب الحرية وأغلب الرعية وقد عرف الفرنسية من قبل

ان اختياره للوزارة كان مقصودا لهم وقد حصل بعد توليته بنحو سنة
وقد قلنا فيما سبق ان ديوان رسل العملات الذين هم وكلاء الرعية
يجتمعون كل سنة للمشورة العمومية فلما اجتمع هذا الديوان عرضوا
على الملك ان يعزل هذا الوزير ومن معه من الوزراء الستة فلم يصغ
لكلامهم أصلا وقد جرت العادة ان ديوان المشورة يعمل فيه جميع
الاشياء بمقالة أكثر أربابه وكان المجتمع في هذا الديوان للمشورة في
قضية الوزراء أربعماية وثلاثون نفسا منها ثلاثماية لا يرضون بإبقاء الوزراء
ومنهم مائة وثلاثون يحبون ابقاءهم فكان العدد الأكثر عليهم والعدد
الأقل لهم فتقنوا عزلهم وكان الملك يحب ابقاءهم لاستعانتهم بهم على
تنفيذ ما أضره في نفسه فابقاهم ثم خرم القانون بمدة أوامر ملكية
فكانت عاقبتها خروجهم واخراجهم له من بلادهم معزولا فهو كما قال الشاعر
لم يدر ما يجني عليه القول * ولا لما ذا امره يؤول
يلقى الكلام كيف ما لقاؤ * لم يحسن الفكرة في عقباه
وهكذا التهوير في المقال * وصحبة الاشرار والجهال
يخفضك الجاهل اني رفعتك * يرديك وهو زاعم ان ينفعك

✽ الفصل الثاني في ذكر التغيرات التي حصلت وما ترتب عليها من الفتنة ✽

قد سبق لنا من القوانين السالفة في الكلام على حقوق فرنساوية
في المادة الثامنة انه لا يمنع انسان في فرنسا ان يظهر رأيه ويكتبه ويطبعه
بشرط أن لا يضر مافي القوانين فان أضر به أزيل فما كان سنة ١٨٣٠
واذا بالملك قد أظهر عدة أوامر منها النهي عن ان يظهر الانسان رأيه
وان يكتبه أو يطبعه بشروط معينة خصوصا الكازيطات اليومية فانه

لا بد في طبعها من أن يطلع عليها أحد من طرف الدولة فلا يظهر منها
 الا ما يريد اظهاره مع ان ذلك ليس حق الملك وحده فكان لا يمكنه
 عمله الا بقانون والقانون لا يصنع الا باجتماع آراء ثلاثة رأي الملك ورأي
 أهل ديواني المشورة يعني ديوان البير وديوان رسل العملات فصنع
 وحده ما لا ينفذ الا اذا كان صنعه مع غيره وغير أيضاً في هذه الاوامر
 شيئاً في مجمع اختيار رسل العملات يعني في الذين يختارون رسل
 العملات لبيعها في باريس وفتح ديوان العملات قبل ان يجتمع مع انه
 كان حقه أن لا يفتحه الا بعد اجتماعهم كما فعله في المرة السابقة وهذا
 كله على خلاف القوانين ثم ان الملك لما أظهر هذه الاوامر كأنه أحس
 في نفسه بحصول مخالفة فاعطى المناصب العسكرية لمدة رؤسا مشهورين
 بأنهم أعداء للحرية التي هي مقصد رعيبة فرنساوية وقد ظهرت هذه
 الاوامر بغتة حتى ظهر ان فرنساوية كانوا غير مستعدين لها وبمجرد
 حصول هذه الاوامر قال غالب العارفين بالسياسات انه يحصل في المدينة
 محنة عظيمة يترتب عليها ما يترتب كما قال الشاعر

أرى بين الرماد وميض جمر * ويوشك ان يكون له ضرام

فان النار بالعيدان تذكو * وان الحرب أولها الكلام

ففي مساء اليوم الذي ظهرت فيه هذه الاوامر في الكازيطات أخذ
 الناس في الحركة بقرب المحل المسمى بالروايال يعني السراية السلطانية
 التي سكنها عائلة دوقارب الملك المسماة عائلة ارايان التي الملك الآن منها وهذا
 الوقت ظهر الغم على وجوه الناس وكان هذا يوم السادس والعشرين في
 شهر يولييه وفي يوم السابع والعشرين لم يظهر غالب الكازيطات الحرية
 لعدم رضائها بالشروط فلذلك بلغت الاوامر جميع الناس وحصلت حركة

عظيمة. بعدم ظهور الكازيطات التي من عادتها أنها لا تفر عن الظهور
 إلا لهم عظيم فاعلقت الورشات والمعامل والفبريقات والمدارس فظهر
 بعض كازيطات الحرية أمرة بعصيان الملك والخروج من طاعته ومعددة
 لمساويه وفرقت على الناس من غير مقابل وبهذه الديار بل وفي غيرها
 قد يباغ الكلام حيث تقصر السهام خصوصاً مادة الخطابات فإنها قوية
 وخصوصاً بلاغة الانشا فلها مدخلة عظيمة كما قيل ان نزل الوحي
 على قوم بعد الانبيا نزل على بلقاء الكتاب خصوصاً اذا كان ما يذكر
 في تلك اليوميات مقبولا عند العامة ومقصوداً عند الخاصة فان هذا
 هو عين البلاغة الصحيحة فإنها ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة
 فلما سمع بذلك ولاية الحسبة حضروا في المحال العامة ومنعوا الناس
 من قراءة هذه الكازيطات وحاصروا مطابعها وهموا بكسر آلات
 الطباعة وكسروا بعضها وحبسوا من اتموه من الطباعين وبهدلوا كثيراً
 مما أظهر شيئاً مخالفاً لترتيب الملك من الرعية وهذا أيضاً مما قوى
 غضب الفرنسيون فكاتب ارباب هذه الكازيطات يعني رؤساء الفرنسيين
 الذين هم يكتبون فيها آراءهم ورقة انكار واشهروها وعددوا نسخها
 واصقوها بجدران المدينة وامروا فيها الرعية بالحرب وعينوا محله وكان
 الميعاد في درب سراية باليروايل فاذحم فيه كثير من الالم وفيما حوله
 من الحارات فكانت العساكر الساطانية تحاول تفريق هذه الزيجات فعظم
 دوي الرعية وكثرت اصواتهم وظهر غضبهم في سائر الدروب والحارات
 فهجم العسكر على الرعية والتجم القتال بين الفريقين فكانت الرعية تقايل
 اولاً بالاحجار والعساكر بالسيوف وآلات الحرب فكثرت القتال وعظمت
 المطاردة من الجانبين ثم بحث الرعية عن آلات الحرب وظهر صوت

البارود من الجانبين في مدينة باريس فكانما لسان حال الفرنسيين الذي هو اصدق من لسان مقالهم جعل يقول * ان بني عمك فيهم رماح * فعظم القتال وكان اكثر المقتول من الرعية فاشتد غضبهم وعرضوا القتلى في المحال العامة لتحريض الناس على القتال واظهار غيوب العساكر وقامت انفس الناس على ملكهم لاعتقادهم انه امر بالقتال فامررت بهذا الوقت نحارة الا وسمعت فيها السلاح السلاح ادام الله الشرطة واهلك شدة الملك فمن هذا الوقت كثر سفك الدماء واخذت الرعية الاسلحة من السيوفية بشراء او غصب واغلب العملة والصناعات خصوصاً الطباعين هجموا على القرقولات وخانات العساكر واخذوا منها السلاح والبارود وقتلوا من فيها من العساكر وخلع الناس صورة علامة الملك من الخوانيت والمحال العامة وعلامة ملك الفرنسيين هي صورة زهر الزنبق كما ان علامة ملك الاسلام صورة هلال وملك الموسقوية صورة عقاب وكسروا قناديل الحارات وقلعوا بلاط المدينة وجمعوه في السكك المطروقة حتي يتعذر مشي الفرسان عليه ونهبوا جيخانات البارود السلطانية فلما اشتد الامر وعلم الملك بذلك وهو خارج امر بجعل المدينة محاصرة حكماً وجعل قائد العسكر اميراً من اعداء الفرنسيين مشهوراً عندهم بالخيانة لمذهب الحرية مع ان هذا اخلاف الكياسة والسياسة والرياسة فقد دلهم هذا على ان الملك ليس جليل الرأي فانه لو كان كذلك لظهر امارات العقو والاسماح فان عقو الملك ابقى للملك ولما ولي على عساكره الا جماعة عقلاء احببوا له وللرعية غير مبغوضين ولا اعداء ولكن اراد هلاك رعاياه حيث نزلهم بمنزلة اعدائه مع ان استصلاح العدو احزم من استهلاكه ويحسن قول بعضهم

عليك بالحلم وبالحياء * والرفق بالمذنب والاغضاء
 ان لم تقل عثرة من يقال * يوشك ان تصيبك الجهال
 فعاد عليه ما فعله بنقيض مراده * وبظير ما نواه لاضداده * فلو أنهم في اعطاء
 الحرية * لفرقة بهذه الصفة حرية * لما وقع في مثل هذه الحيرة * ونزل عن كرسيه
 في هذه المحنة الاخيرة * سيما وقد عهد القرن ساوية بصفة الحرية والفوها
 واعتادوا عليها وصارت عندهم من الصفات النفسية وما احسن قول الشاعر
 وللناس عادات وقد افوا بها * لها سنن يرعونها وفروض
 فمن لم يعاشرهم على العرف بينهم * فذاك ثميل عندهم وبغيض
 وفي اليوم الثامن والعشرين اخذت الرعية من يد العساكر محلا يسمى
 دار المدينة الذي هو محل شيخ مدينة باريس فعند ذلك ظهر الحفر
 الجنسى يعني ورديان الرعية وهم عساكر كانت سابقا تحفر الاهالي كما
 ان للملك عساكر ورديان تحفروه وقد كان عزلهم الملك شرل العاشر فلما
 وقعت الفتنة ظهروا ليمانوا عن الرعية فاشهروا اسلحتهم للقتال وطردهوا
 سائر العساكر من محلهم وحرقوا كثيرا منها وفي هذه الاوقات ارتفعت
 المحاكم وصار الحاكم هو الرعية ولم يمكن للدولة عمل شيء فقد بذلت
 ما عندها من القوة لاختماد ذلك وتسكينه فلم تقدر عليه فكانت جميع
 القواصة متحركة والطبجية تعينه لاثني عشر الفا من الورديان السلطاني
 وستة آلاف من عساكر الصف فكانت جملة العساكر السلطانية ثمانية
 عشر الف نفس غير الطبجية والقواصة وكان من يحمل السلاح من
 الرعية اقل من هذا العدد ولكن من لا يحمل السلاح يحارب بالاحجار
 أو يعين المتسلح وبعد أخذ دار المدينة وسلب مدفع من العساكر
 الحزبية ظهر انهزام سائر العساكر السلطانية بالبلدة ثم ذهبوا الى محل

يقال له لوفر والى قصر التوري وهو سراية الملك ووقع الحرب فيهما بين العساكر وأهل البلد وبينهم في الحاربة بهذا المحل اذ انتشر اليرق المثلث الالوان الذي هو علامة الحرية على الكنائس وأهيا كل العامة ودقت النواقيس الكبيرة لاعلام سائر الناس داخل وخارج باريس من أهل المدينة أو غيرها بطالب حمل السلاح منهم للاستعانة على العساكر فلما رأته العساكر ان النصره للرعية وان ضرب السلاح على أهل بلادهم وأقاربهم طار عليهم امتنع أغلبهم وعزل كثير من رؤسائهم نفسه من منصبه وفي اليوم التاسع والعشرين في الصباح ملكت أهل البلد ثلاثة أرباع المدينة ووقع أيضاً في ايديهم قصر التوري والوفر فملكوها ونشروا عليهما يرق الحرية فلما سمع بذلك صاري عسكر المأمور بادخال أهل باريس في طاعة السلطان رجع فكان هذا تمام نصره أهل البلد حتى ان العساكر دخلت تحت يرق الرعية ومن هذا الوقت نصب حكم وقتي وديوان موقت لتنظيم البلاد حتى يخطط الرأي على تولية حاكم دائم وكان رئيس هذا الحكم الموقت صاري العسكر المسمى لفيتيه وهو الذي قاتل في الفتنة الاولى للخرية أيضاً وهذا الرجل شهير بأنه يحب الحرية ويحافظ عنها ويعظم مثل الملوك بسبب إتصافه بهذا الوصف وكونه على حالة واحدة ومذهب واحد في البوليتيكة وليس صاحب قريحة مستجرجا للعلوم من حيز العدم كغالب رجال فرنساوية ومشاهيرهم خصوصاً في العلوم العسكرية ولكن أعظم الناس مقاماً لا قريحة وفهما وليس المراد القدح في معرفته بل في انتهاء الرياسة اليه ومما يشاهد في سائر بلاد الدنيا ان تصدر ليس دائماً على قدر المعرفة وان كانت المعرفة موجبة له بالشرع والطبع ومن الغريب ان مثل هذا الأمر يقع أيضاً في البلاد

الحسنة التمدن وأظن ان هذا كله مصداق الحديث الشريف الذي هو
 ذكاء المرء محسوب عليه من رزقه وكما قال الشاعر
 - اذا ابصرت ذافضل فقيرا * فلا نمجب لفقير في يديه
 فقد قال النبي مقال صدق * ذكاء المرء محسوب عليه
 وما أحسن قول الشاعر
 ولو ان السحاب همى بعقل * لما أروى مع النخل القتادا
 ولو اعطى على قدر المعالي * سقى الهضبات واجتنب الوهادا

الفصل الثالث

كيف كان يصنع الملك في هذه المدة وفيما جرى بعد ذلك من
 رضائه بالصلح بعد فوات أوانه وفي خلع المملكة على ابنه * اعلم ان
 أوامر الملك برزت منه وهو في بلدة سنكلو على القرب من باريس
 فالفطنة حصلت في باريس والملك لم يكن بها ثم ان أهل المدينة بمشوا له
 ان يغير وزراءه وان يسترد أوامره ويسترجعها يعني ان يكتب أمرا بانه
 أرجع اليه ما كان أمر به فلم يرض بذلك وأرسلوا اليه في ذلك عدة وكلاء
 ليستعطفوه في ذلك ويترجوه فلم يفده كلامهم بل كان أضيع من دمع
 على طلل وأخبروه ان الرعية لا تريد ذلك ابدا وانه ربما ترتب عليه فساد
 أعظم من ذلك فاجاب بان كلامه غير قابل للتغيير والتبديل فلما تحقق
 عنده ان دولته قد اشرفت على الزوال بسبب عدم قبوله للمصالحة ارسل
 يطلب منهم ذلك بنفسه فاجابوه بانه لم يبق محلا للصلح وان اوان الصلح
 قد فات وانه لم يتبصر في العواقب ومن لم يتبصر في العواقب لقي النوائب
 وانه لم يدقق النظر والا لما حصل له ذلك وفي يوم الثلاثين من شهر

يوليه اتفق رأي أهل مشورة رسل العمالات على ان يبعثوا يترجوا
الدوق درليان قريب السلطان من بدنة ثانية بان يكون قائم مقام المملكة
حتى تقع مشورة أخرى على من يتولى مملكتهم وكان خارج باريس
فبمجرد ما وصله ما اقتضاه نظر هذه المشورة وصل الي باريس في الحادي
والثلاثين ونزل في دار المدينة وأجاب برضائه بما صنعه أهل هذا الديوان
وعند دخوله شرع يذكر عبارة عظيمة في السبب الحامل له على الرضاء
بذلك وملخصها انه قد حصل لي غاية التحسر على الامر الذي جعل
باريس في هذه الحالة المسيية عن خرم القوانين او تفسيرها بمعنى بشع
تحتله عباراتها ولقد امتثلت وجئت بينكم لاخلص البلاد من الفشل ولا بد
ان اليس معكم علامة الثلاثة الوان التي قد لبستها كثيرا في أول عمري
ثم ختم عبارته بقوله والشرطة تصير من هذا الوقت حقا يعني انه يعمل
بقوانين المملكة وتصير متبعة لايجاد عنها لكونها حقا ولقد صارت
هذه الجملة عند الفرنسيين مثلا من الامثال والفاظها بالفرنساوية في
غاية الحماسة ثم ان شرل العاشر ظن انه يمكنه التخلص من زوال مملكته
بخلع المملكة على ابنه ونزوله عنها

شعر

يودلو ان ايام الحمى رجعت * وقل ان رد شيء بعد ما ذهب

فما كان ذات يوم في سنكلو الا وخرج ابنه الدوفين في ساحة وجمع فيها
العساكر واعلمهم بان اباه ولاء ملكا فتلقت العساكر هذا الخبر باستخفاف
وبغير اعتناء ثم ان الملك لما ولى ابنه سافر مع ديوانه وجلسائه في ليلة
التاسع والعشرين في شهر يوليه وبقي الدوفين وحده ينتظر عاقبة توليته
فاحضر جميع من معه من العساكر وسيرها قدامه ليزي كيفيتها فلما
اعلم انها لا ترضي بالحاربة معه نوى السفر وخرج من سنكلو فبعد عدة

ساعات من خروجه انتشر على قصر سنكلوا اليرق المثلث وهذا القصر هو سراية السلطان في هذه البلدة فوصل السلطان واتباعه في رنبوليا اول شهر اغسطس وفي اليوم الثاني من هذا الشهر بعث شرل العاشر وابنه الدوفين ورقة للدوق درليان قريبهما يذكر ان فيها انهما خلاهما المملكة على الدوق دبرد وحفيد الملك وابن اخ الدوفين وانهما جمعا الدوق درليان وكيله ووليه حتى يبلغ رشده وطلبا منه في هذه الورقة ان يبعث لهما جماعة ليؤمنوا في خروجهما من فرانس فعرض الدوق درليان ذلك على مشورة رسل العمال فلم يرضوا بخسلع المملكة ورضوا بان يبعثوا له عدة وكلاء من الكبار ليؤمنوه في خروجه من فرانس ثم انه جاء الخبر في باريس ان الملك لم يرض الخروج حالا فوجهوا اليه جملة من العساكر ليكرهوه حالا على الخروج فبمجرد سماعه بذلك اجاب بالخروج متوجها الى بلاد الانكليز

شعر

والدهر طورا بمنز * يقضى وطورا بهون

وفي هذا الوقت كان ابن عمه قائم مقام المملكة بباريس فكان الامر والنهي له ولدواوين المشورة فاول ماصنعه تقرير بقاء الثلاثة الوان التي هي علامة على حرية الملة الفرنسية ثم فتح ديوان مشورة العمال وديوان مشورة البير وقد جرت العادة انه عند فتح ديوان مشورة العمال يحضر الملك ويخطب على منبر بكلام فصيح يذكر فيه ماصنعه من التحسين في بلاده وما هو عازم على فعله في سنته وما كان هذا الدوق قائما في هذا الوقت مقام الملك صعد على المنبر يقول كلاما وحييا مضمونه انه يتحسر على الخطر الذي حصل لمدينة باريس عقب هتك قوانين المملكة ثم بعد فراغه سلم لديوان المشورة الورقة التي بعثها له شرل العاشر وابنه الدوفين المتضمنة

لجميعهم المملكة على الدوق دبردو وانهما يسميان هري الخامس لانه
تقدم في فرانس اربعة ملوك كل منهم يسمى هري ثم خرج قائم مقام
المملكة من المشورة وصار ديوان المشورة يفتح كل يوم للتدبير

(الفصل الرابع فيما انحط عليه رأي اهل المشورة وفيما ترتب)
(على هذه الفتنة من تولية الدوق درليان ملك فرنساوية)

اعلم ان المشورة كانت تدبر حالة فرانس المستقبلية وقد اسلفنا ان آراء
الفرنساوية مختلفة حتى انهم في المشورة مختلفون في الموضع ففهم الملكية
يجلسون في الجهة اليمنى والحريريون في الجهة اليسرى والتابعون لأراء الوزراء
في الجهة الوسطى وكل منهم يقول رأيه من غير معارض له لان العبرة
بكثرة الاصوات ولا زال هذا الامر معمولاً به الى الآن ولم تغير الفتنة
شيئاً من ذلك فكان اصحاب الأراء فرقتين فرقة تريد المملكة وفرقة تريد
الجمهورية والفرقة الاولى منها من كان يريد تملك الدوق دبردو وحفيد
الملك القديم ومنهم من كان يريد تولية ابن نابليون الذي هو بونا بارت ومنهم
من كان يريد تملك الدوق درليان قائم مقام المملكة وعيلة درليان هي العيلة
الثانية الوارثة للمملكة بعد انقراض العيلة الاولى البكرية وهي عيلة البريون
ثم انه ظهرت ورقة مطبوعة ولصقت في الحارات والمشارع العامة مضمونها
قد صح بالتجربة ان الجمهورية لاتناسب بلاد فرنساوية واما الدوق
دايردوا فتوليته تجعل فرنساوية تحت حكم البريون فتقع فرنساوية فيما
فرت منه واما ابن نابليون فهو تربية قسيسين وهم اعداء الحرية فتعين
الدوق درليان انتهت وقد دبرت المشورة عدة مواد انحط عليها الرأي
المادة الاولى ان الكرسي فارغ حسا ومعني ولاحق لاحد فيه فلا بد من شغله

بإحدى الثانية * من اغراض الفرنساوية ومن مصالحهم ان تحذف العبارات الدالة على الاستعلاء من الشرطة التي هي كتاب قوانين المملكة لان بقاءها بهذه الكيفية يحط بمقام الرعية الفرنسية ولا بد ان يحذف من الشرطة بعض المواد الغير اللائقة وتبدل بغيرها حتى تكون مصالحة على ما تقتضيه الحال الراهنة ثم بعد تمام ذلك يطلب ديوان مشورة وكلاء الرعية ان المصلحة العامة اللازمة حالا لجميع الفرنسية ان يترجي حضرة سعادة الدوق جوليان لويز فليب قائم مقام المملكة لان يكون ماسكا وتكون مملكته وراثية بعده لا اولاده الذكور ثم بعده لا كبر اولاده وهكذا يعني ان الملك اذا مات انتقلت المملكة لا كبر اولاده فاذا مات وحصل له عذر كانت لابنه الا كبر وهكذا وان يقبل المملكة ويرضى بالشروط وبصيغة المباينة التي تعينها له أهل المشورة وان يلقب ملك الفرنسية لا ملك فرانس والفرق بينهما ان ملك الفرنسية معناه كبير على نفس الاشخاص يجعلهم له ملكا بخلاف ملك فرانس فان معناه ان ارض فرانس مادامت باقية فهو سيدها وملكها ولا منازع له من أهل بلاده فيها وسبب ذلك ان الملوك السالفين كانوا يلقبون ملوك فرانس وكان اذا كتب الواحد منهم يقول ماصورته أنا فلان بفضل الله تعالى ملك فرانس ونوار على كل من يرى هذه الاوامر الحاضرة سلام قد أمرنا ونأمر بما سيأتي لنا و قوله ملك فرانس ظاهر وأما قوله ملك نوار فان هذا لقب لمصطلحي له لجرد الشرف وسبب ذلك ان أسلاف ملك فرانس كانوا يحكمون على مملكة نوار ثم انتقلت منهم الى ملوك اسبانيا فصارت حصة منها وبقي اللقب للملك فرانس وأما ملك الفرنسية فانه يقول في كتابته أنا فلان حطك الفرنسية مني السلام على من حضر في الحال والاستقبال قد أمرنا

ونأمر ففرق بين عبارة الاول والثاني فان الاول جعل نفسه ملك
مجموع فرانس ونوار بانعام الله سبحانه وتعالى عليه والثاني جعل نفسه
ملك الفرنسيين ولم يقل بفضل الله ولقد تحاشى عن ان يقول ذلك
لارضاء فرنساوية فانهم يقولون انه ملك الفرنسيين بارادة ملته وتمليكهم
له الا ان هذه خصوصية خص الله سبحانه وتعالى بها عياله من غير ان
يكون لرعيته مدخلية فظهر من هذا ان قوله بفضل الله معناه عندهم
باستحقاقه لذلك بولادته ونسبه كما ان قوله ملك فرنسا معناه صاحب
الارض والسلطنة عليها والا فلو كان عندنا لاستوت العبارتان فان كون
الملك ملوكا باختيار رعيته له لا ينافي كون هذا صدر من الله تعالى على
سبيل التفضل والاحسان ولا فرق عندنا مثلا بين ملك المعجم وملك
ارض المعجم ثم بعد تمام المشورة بعث اليه أهلها عدة رسل فقرا عليه
رئيس الرسل ما اتفق عليه أهل ديوان المشورة فاجاب حالا بقوله قد
سمعت والقلب في اضطراب ما عرضتموه على من خلاصة مجلس المشورة
من انتخابي للمملكة ولقد صح عندي ان عبارتكم الصادرة عنكم هي
أيضا عبارة لسان حال الرعية بتمامها وظهر لي ان ما صنعتهم في القوانين
يناسب ما ذهبت اليه في السياسات التي مارسها مدة حياتي ولكن حصل
لي من ذلك انفعال عظيم لانني لست أنسى مدة حياتي ما قاسيته سابقا
من الاهوال حتى انني كنت عزمت على أن لا أطمع أبدا في قضية السلطنة
ونويت على أن أعيش خاملا مرتاحا بين عيالي ولكن حيي اعمار
بلادتي غلب ذلك فهو جدير بان اوثره عليه حيث قد أيقنت ان الضرورة
دعت اليه ثم انه عين اليوم الذي يتزوج فيه في ديوان رسل العملات
فلما جاء اليوم الموعد جاء في الساعة المتفق عليها بموكب عظيم من غير

خفر سلطاني ومن غير جلساء وقد جرت عادة ملوكهم بأن زينة الموكب
انما هي بذلك وكل مامشى خطوة حياء جميع الناس من الجوانب بقولهم
حفظ الله الدوق درليان حفظ الله الملك فلما دخل الديوان ركب
مضطربة بقرب الكرسي وسلم على أهل المجلس ثلاث مرات ثم جلس
على دكة امام الكرسي ابنه الاكبر عن يمينه واثنى عن يساره وخلفه
أربع وزراء في العسكرية يلقبون بالمارشالات جمع مارشال وهو أعلى
مراتب العسكرية عند الدولة الفرنسية وهو دائماً مضاف الى فرانسا
فيقال مارشال فرانسا وبالفرنساوية مارشال دفرانسا والدال علامة على
الاضافة بين المضاف والمضاف اليه مثل اللام المقدرة في الاضافة عندنا
فعلامة الاضافة ظاهرة عند الفرنسيين ثم بعد جلوسه عزم على أهل
ديوان البير وديوان رسل العملات بالجلوس ثم طلب من رئيس الديوان
ان يقرأ عليه الخلاصة التي عزم عليه أهل الديوانين فيها بالملكة فلما
فرغ الرئيس من قراءتها أجاب الدوق المذكور بقوله ياساداتنا قد سمعت
مع التأمل خلاصة الديوانين وقد وزنت عبارتهما وأمعنت فيها النظر
وأقول رضيت من غير شرط ولا تعليق بجميع الشروط المذكورة في
الخلاصة وبتلقي ملك الفرنسيين الذي أعطيتموه لي وها أنا حاضر
مستعد للحلف والمبايعة على اني أحفظ ذلك ثم قام الملك مكشوف
الرأس ورفع يده اليمنى وشرع يقول هذه الصيغة الآتية بترتيب وترتيل
وبصوت ثابت من غير لجاجة وهذه الصيغة مترجمة أشهد الله سبحانه وتعالى
على اني أحفظ مع الامانة الشرطة المتضمنة لقوانين المملكة مع ما اشتملت
عليه من التصليح الجديد المذكور في الخلاصة وعلى اني لا أحكم الا بالقوانين
المسطورة وعلى طريقها وأن أعطي كل ذي حق حقه بما هو ثابت في

القوانين وأن أعمل دائماً على حسب ما تقتضيه مصلحة الرعية الفرنسية وسعادتها ونفخها ثم صعد على كرسي المملكة وشرع يقول ياساداتنا قد حلقت في هذا الوقت يمينا عظيما وما جهات بالواجبات المرتبة به على مع عظمها واتساعها لما ان نفسي تحدثني انني أوفي بها وما قبلت المباينة الا عن رضي وقد كنت عزمت على أن لأركب ابدا الكرسي الذي أعطته لي الملة الفرنسية ولكن لما رأيت ان فرنسا قد جرححت حررتها وتكدت الراحة العامة بارضا وبهتك قوانين المملكة قد أشرفت على الفساد وجب نصيب القوانين وكان ذلك من وظيفة ديوان البيرو ديوان رسل العملات وقد وفيهم بذلك فما صنعناه من اصلاح الشرطة يستازم الامن في المستقبل فناء مولى ان فرنسا تصير مرتاحه في داخلها ومحترمة في خارجها والصالح في بلاد أوروبا يزيد ثباتا فلما فرغ من كلامه صاحبت الاصوات حفظ الله الملك لوي زفليب الاول ثم سلم الملك على المجلس وخرج مصاحفا من رآه من أهل المجلس وغيرهم وركب حصانه ومشى وصار يصافح الناس عن يمينه وعن يساره وربما عانق كثير من الناس وكان موكب مولاه من أهل البلد ومن خفر الملة المسمى الخفر الاهلي ولما دخل الليل نورت باريس بوقدة عظيمة وكان تملكه في شهر أغسطس سنة ١٨٣٠ من الميلاد

❦ الفصل الخامس ❦

فما حصل لاوزرا الذين وضعوا خطوط أيديهم على الأوامر السلطانية التي كانت السبب في زوال مملكة الملك الاول الذي فعل فعلته وفي العواقب لم ينظر وطمع بما لم يظفر كما قال الشاعر

ان النفوس على اختلاف طباعها * طمعت من الدنيا بما لم تظفر
اعلم ان الفرنسية بعد هذه الفتنة اهتموا غاية الاهتمام بالنفثيش

على الوزراء الذين كانوا السبب في ذلك وأيضاً فإنه بمقتضى القوانين ان
الوزراء يضمنون ما يقع في المملكة من الخلل فهم المحاسبون دون الملك
وليس على الملك شيء أصلاً فخلهم تقيل ووظيفتهم شاقة التحمل فعليهم
الوزر في كل ما يحدث قال الشاعر

يتداول الناس الرياسة بينهم * وأريد حظهم فلا استطيع
واكلف العناء إنثقال وانما * تبلى به الاتساع لا المتبوع
فعليهم الانقال يرمي حملها * وعلى الرئيس الحتم والتوقيع
فبرزت الاوامر في جميع طرق البلاد ان يوقفوهم اذ امرواعليهم
وقد قلنا ان رئيس الوزراء كان بولنيق فسك من الوزراء أربعة منهم
هذا الامير المذكور وصورة القبض عليه انهم وجدوه خارجاً من بلاد
فرانسا في صورة خادم لمرأة عظيمة فعرفوه وأوقفوه وخفروه الخفر
الموجود في الطريق خوفاً من الرعية ثم أعلموا بذلك الديوان في باريس
فكتب هو مكتوباً الى ديوان مشورة الير وقد كان من رجال المشورة
يقول فيه انه لا معنى للقبض عليه حيث انه من أهل هذا الديوان واحتج بالمادة
الرابعة والثلاثين من الشرطة لا يمكن ان يحبس احد من أهل ديوان الير الا بأمر
أهل ذلك الديوان ولا يمكن ان يحكم عليه غيرهم في مواد الجنایات فما كان
جوابهم الا انهم اجتمعوا وقرأوا مكتوبه ثم تشاوروا فكانت خلاصة المشورة
الاذن بالقبض عليه وحبسه حتى يحكموا عليه فجئ به الى بلدة ونسبته بقرب
باريس وحبس في قلعتها ثم قبض على الثلاثة الاخر وحبسوا معاً من غير ان
يحصل لاحد منهم شيء من التذليل أبداً مدة حبسه ثم انه مدة حبسهم
بنواهم محلاً عظيماً في ديوان مشورة الير لتسمع دعواهم فيه وجعلوه بناء
متيناً وثيقاً على صورة عظيمة حتى لا يمكن للرعية الهجوم عليهم لاذيتهم

ولا لاجبابهم ان يخلصوهم من الحبس وكلفوا ذلك أموالا لها وقع عظيم ثم
جاءهم الى هذا المكان وحبسوهم في محل منه وصاروا يأتونهم كل يوم
وكانت دعوتهم من أعظم ما يتعلق غرض الانسان بسماعة * ومن
أجل ما يدل دلالة قطعية على تمدن فرنساوية وعدل دولتها ولذا ذكر لك
بعض شيء منها فنقول * اعلم أن ملك فرنسا سيدس الجديد لما تولى تعلقت ارادته
بمزل سبعين رجلا من أهل مشورة البير الذين كان ولاهم شرل العاشر
الملك السابق ثم سمي منهم تسمية جديدة من كان علي غرضه فلو كان
هؤلاء السبعون فضلو من أهل الديوان لكانوا يحابون عن الوزراء
فكان غالب أهل ديوان مشورة البير اعداء لهم الا أن التمسك بالقوانين
وطيب نفوسهم في الجملة وعدم ميلهم بالطبيعة الي الظلم كان سببا في نجاة
الوزراء المذكورين ومما تعجب منه أن الوزير بولياق حين القبض عليه
أراد أن يختار واحدا يحامي عنه من العارفين بالاحكام فلم يختار إلا
مرتياق أحد الوزراء المزلولين قبله ليس بينه وبينه وصلة ولا محبة وأعجب
من ذلك أن الآخر الذي هو مرتياق وفي بذلك مع غاية الامانة
التامة وبذل ما عنده من المعارف لدفع الايرادات عن موكله وكذلك كل
واحد من الوزراء المقبوض عليهم وكل محاميا له ثم لما فتحوا الدعوى
أرسلوا لكل واحد من الوزراء المحبوسين يطلبونه بخصوصه مع غاية
الرفق واللين وكيفية أول ما يسأل به ما سمك ما وصفك ما منصبك ما رتبك
فيجيب باجوبة هذه الاسئلة ولو كانوا يعرفون ماذا كر ثم قالوا لكل
واحد منهم أتقر بأنك وضعت خط يدك تحت أوامر الملك قال نعم ولاي
شيء فعلت ذلك فيجيب بان الملك أراد ولاي شيء أراد الملك فعل ذلك وهل
عزم عليه من قديم الزمان أو الآن فقط وقد كان كل منهم يجب في مثل

هذه الاسئلة بقوله لافشي سرديوان حضرة الملك اصلا مع غاية التعظيم
 في المجلس للملك المعزول ولم يتفوه احد منهم بشيء من اسرار الديوان
 ابدا ولم يكرههم احد على ذلك ثم بعد سواهم وانتهائه وكتب خلاصته
 جاء المحامون عنهم ومكثوا ايضاً عدة ايام ليظهروا ان الوزراء يريون من
 الذنوب وان مقصدهم كان حسنا وهكذا فبعد ذلك امتنحت المشورة جميع
 الدعوى ثم قضت بما هذه صورته من حيث ان الوزراء وضعوا اخطا ايديهم تحت
 الاوامر المخالفة لقوانين المملكة ومن حيث انهم هتكوا حرمة القوانين
 تقريباً ومخالفتها حكمت المشورة عليهم بالحبس الدائم ونجريدتهم من اوصاف
 الشرف والقباه وحكمت على بولانيق زيادة على ذلك بالموت الحكمي وهو
 انظير مسئلة من انقطع خبره وحكم بموته القاضي باجتهاده بعد مضي مدة
 لا يعيش فوقها غالباً والموت الحكمي عند الفرنساوية ويقال له الموت
 المدني هو ان يكون حكم الحي عندهم كحكم الميت في كثير من الاحوال
 وهو ان المحكوم عليه بذلك يزول عنه جميع ما يملكه ليدخل تحت يد
 ورثته مثل ما اذا مات حقيقة ولا يصح ان يرث غيره بعد ذلك ولا ان
 يورث غيره الاموال التي ملكها بعد ذلك ولا يمكنه ان يتصرف في امواله
 جميعها او بعضها بهبة او وصية ولا يجوز اهداؤه ولا الوصية له الا بالقوت
 ولا يجوز ان يكون ولياً ولا وصياً ولا شاهداً في شهادة شرعية ولا تقبل
 دعواه ولا ينعقد نكاحه بل يفسخ نكاحه الاول بالنظر لاحكام المترتبة
 عليه ولزوجته وأولاده ان يصنعوا في امواله او في انفسهم كما لو مات
 هو حقيقة وبالجملة فهو حي مباحق بالموتى ولكن لما كان هذا الوزير
 وأمثاله ممن يحكم عليهم بذلك من أعيان الناس وكانت ذريته حسنة التربية
 كان المحكوم عليه بذلك يبقى في العادة على ما كان .

عليه قبل الحكم لكون عيلته تعتقد ان هذا من باب التعدي المحض وانه
 ناج بينه وبين مولاه ولا تفارقه زوجته أصلا لاعتقادها انها في عصمته.
 باطنا ولو ولدت منه بعد ذلك ولد أورثه الاخوة معهم وان كان هيدا.
 خلاف الاحكام المترتبة على الموت الحكمي ولما سمعت الرعية بذلك
 قاموا وقالوا لا بد من الحكم عليهم بالموت الحقيقي فاخبرهم أهل الدولة
 ان هذا يناقض ما تطلبونه من الحرية والعدل والانصاف وان ككتاب
 القوانين لم يعين نوع عقوبة الوزراء اذا حصلت منهم خيانة وانما حكمت
 المشورة بالاجتهاد عقوبة لهم وزجرا لامثالهم ثم ليلة ان حكم عليهم بذلك.
 قبل ان يطلعوهم على خلاصة المشورة أخرجوهم من هذا الحبس الذي
 كان بني لاجاهم وخفروهم الى قلعة ونسبته فحبسوهم بها ومنها نفلوهم
 الى قلعة أخرى وهم محبوسون بها الى الان والحكم عليهم بهذا الكيفية
 مما يدل على حسن أخلاق الدولة الفرنسية

الفصل السادس فيما كان بعد الفتنة في سخرية الفرنسية على شرل
 العاشر وفي عدم اكتفاء الفرنسية بذلك

اعلم انه جاء الى الفرنسية خبر وقوع بلاد الجزائر في أيديهم قبل
 حصول هذه الفتنة بزمان يسير فتلقوا هذا الخبر من غير حماسة وان أظهروا
 الفرح والسرور به فبمجرد ما وصل هذا الخبر الى رئيس الوزراء بولنيق
 أمر بتسييب مدافع الفرج والسرور ولقد صدق من قال

وكم هروا طيه أحزان * لاجل هذا خاق الزمان

وصار يتمشي في المدينة كأنه يظهر العجب بنفسه حيث ان مراده
 نفذ وانتصرت الفرنسية في زمن وزارته على بلاد الجزائر فما كانت
 أيام قلائل الا وانتصرت الفرنسية عليه وعلى ملكه نصرة اعظم من

تلك حتى ان مادة الجزاير نسبت بالكلية وصار الناس لا يتحدثون الا
بالنصرة الاخيرة على ان حاكم الجزائر خرج منها بشروط وأخذ منها
ما يملكه وملك الفرنسيس خرج من مملكته يتقدم على ما وقع منه
وللزمان صروف تدول * وأحوال تجول * وكان هذا هو عاقبته على
غارته على بلاد الجزائر باسباب واهية لا تقتضى ذلك بل بمجرد أرواء
هوى النفس واذا نصر الهوى بطل الرأي ومما وقع ان المطران الكبير
لما سمع باخذ الجزائر ودخل الملك القديم الكنيسة يشكر الله سبحانه
وتعالى على ذلك جاء اليه ذلك المطران ليهنيه على هذه النصرة فمن جملة
كلامه مامعنا انه يحمد الله سبحانه وتعالى على كون الملة المسيحية
انتصرت نصرة عظيمة على الملة الاسلامية ولا زالت كذلك انتهى مع
ان لحرب بين فرنساوية وأهالي الجزائر انما هو مجرد أمور سياسية
ومشاحنات تجارات ومعاملات ومشاجرات ومجادلات منشأها التكبير
والتعظيم * ومن الامثال الحكمية لو كانت المشاجرة شجرة ألم تشمر الا
ضجرا فلما وقعت الفتنة كسر فرنساوية بيت المطران بعد هروبه
وخربوه وأفسدوا جميع ما فيه حتى انه تخفى ولم يعلم له أثر ثم ظهر واختفى
ثانياً وهجم على بيته ثانياً ولا زال مذموماً مخذولاً

قال الشاعر

لا تعجبين رويدا انها دول * دنيا تنقل من قوم الى قوم
ثم ان فرنساوية لما راوا ان شرل العاشر اخرج باشا الجزائر من مملكته
ايضاً صاروا يهزؤون بشرل العاشر ويصورونه هو وباشا الجزائر في الطرق
ويكتبون في وقائع النوادر تلميحات غريبة وبكائات ظريفة فمن جملة
ذلك انهم صوروه هو والباشا المذكور وكتبوا تحت صورة باشا الجزائر

وأنت أيضاً جاءت نوبتك كان الباشا يقول للملك استقمهما لهزوبه وانت
 أيضاً عزلت كما عزلتني شعر
 فقل للشامتين بنا رويداً * امامكم المصائب والخطوب .
 وقال آخر

الدهري فترس الرجال فلا تكن * ممن تطيشه المناصب والرتب
 كم نعمة زالت بادني ذلة * ولكل شيء في قلبه سبب
 وكتبوا أيضاً في وقائع النوادر مانصه ان الباشا المذكور يقول
 لشربل العاشر قم بنا نلعب لعب كذا على قدر معلوم وان لم يكن معك
 شيء جمعنا لك شيئاً على سبيل الصدقة من الناس يشيرون بذلك الا ان
 باشا الجزائر خرج من بلاده غنيا وشربل العاشر خرج من بلاده فقيراً
 وصوروا أيضاً الملك المذكور في صورة أعمى يتكفف الناس ويقول في
 سؤاله أعطوا بعض شيء للفقير الأعمى بشيرون الا انه لم يتبصر في عواقب
 الامور وصوروه أيضاً هو ووزيره بولنباقي خارجين من كنيسة إشارة
 الا انهما لا يفطنان الا في هذه العبادة الباطلة وانهما قسوس لا أمرا
 وكانوا يزعمون ان الملك كان يلبس في بعض الاحيان لبس القسيسين ويقدم
 بالناس كالقسيس في كنيسة التي في سرايته وكانوا يصيحبون في البلدة بعد
 هذه الفتنة بورقات مطبوعة فيها عشق هذا الملك وفساد في صغر سنه وفسق
 المطران الكبير وهكذا وبأن ابن ابنه ليس هو ابن حقيق وانما هو ابن
 مزور والعجيب انهم كانوا يصيحبون بهذه الاوراق لبيعوها في ساحة
 بيت الملك الجديد الذي هو من اقارب الملك وأعجب من ذلك انهم
 يكتبون في هذه الورقة ان الملك الجديد هو الذي كتب ذلك سابقا في
 في جرنالات الانكليز بعد ولادة حفيد الملك القديم ويصيحبون بذلك

ولا أحد ينكر عليهم لما ان حرية الرأي قولا وكتابة تقضي بذلك وبعد تولية هذا الملك ظهرت عدة تعصبات عظيمة منها من يريد عزله ونصب الجمهورية لعدم اكتفائه بالحرية وطالبه أزيد من ذلك ومنهم من تعصب لنصب الحاكم القديم وتولية حفيد الملك السابق ولا زالت هذه الفتنة باقية الآتار الى الان وربما تعدت آثارها الى غيرها من البلاد فمن ذلك الفتنة التي ترتب عليها انزال اقليم البلجيكي من مملكة الفلمنك وقد كان جزءاً منها ومن آثارها أيضاً طلب بلاد له الحرية والخروج من حكم الموسقوبية ومنها الفتن التي وقعت في بلاد ايطاليا

(الفصل السابع فيما كان من دول الافرنج بعد سماعهم بالانزال)

(الملك الاول وتقليد المملكة للملك الثاني وفي رضائهم بذلك)

لا يخفى ان العيلة السلطانية القديمة قد رجعت بعد تعاهد الدول الافرنجية على السلطان نابليون وإخراجه ونفيه الى جزيرة سشت هالينة وترجيع هذه العيلة الى البلاد بعد ان كانت في البلاد الغربية فتملك هذه العيلة انما هو بمعاهدة ملوك الدول الافرنجية فهي في الحقيقة مملكة على فرانسارغما عن انفس غالب الفرنساوية فلما وقعت الفتنة خشي الفرنسيون من ان الملوك المذكورين يأتون بجيوش الى بلادهم وينصبون كرسي هذه العيلة فتخلصوا من ذلك بتملك العيلة الاخرى التي هي عيلة أرليان ولكنهم لم يعلموا هل ترضى الملوك بذلك أولا وعزموا على انهم اذا لم يرضوا بذلك وجاؤ المحاربتهم حاربوهم ولو حصل ما حصل وجهزوا ما يدل على ذلك ولئذ كركك هنا لسبة ملوك الافرنج بالنظر لهذه المادة فنقول اعلم ان ملك أسبانيا يوافق بسياسته وسلوكه سياسة ملك فرانس القديم وهو أيضاً من أقاربه لأن العيلة التي تحكم ببلاد أسبانيا من العيلة

التي تحكم ببلاد فرانساهي تميل اليها ظاهرا وباطنا ومثلها في ذلك الميل ببلاد البرتغال فهاتان المملكتان لا يحصل منهما شيء يخاف به على العيلة القديمة وأما بلاد ايطاليا فان دولة نابلى ودولة رومة ودولة سردينيا توافق أيضاً في سياستها سياسة البربون يعنى العيلة القديمة فحينئذ ملوك هذه الدول تأثرت باطنا بما وقع في بلاد الفرنساوية وأما دولة المسقو ودولة الفيمسا ودولة البروسه والانكليز فانها متعاهدة على تولية عيلة البربون القديمة المملكة فهي أيضاً تأثرت بذلك نوع تأثر وخصوصاً الدولة المسقوبية وأما الدول الصغيرة ببلاد الافرنج فانها تابعة للدول الكبيرة فلم يبق مع دولة الفرنساوية الجديدة الا بعض أقاليم صغيرة تريد الحرية غير ان اهل دولة الانكليز أظهرت الرضى بما وقع فلذلك ملوكهم كان أول من اعترف بالمملكة للملك الفرنساوية الجديد وقد جرت العادة ان الملك اذا تولى لابد من ان يعترف له الملوك بالتملك ويقروا على ذلك وهو من الرسوم غالباً يقال ان حضرة مولانا السلطان الاعظم لما سمع بذلك وأخبره الاياجي أجاب بانه لا يصنع شيئاً حتى يرى ما صنعته ملوك الافرنج فان اقروا على ذلك اقره أيضاً ومدخلية الدولة العلية في ميدان دوائر الدول الافرنجية قليل وممن توقف في الاقرار مدة طويلة ملك الموسقو ثم بعد ذلك اقره بشرط ان لا يتغير شيء في ميزان بلاد الافرنج يعنى ان بلاد الافرنج تبقى على ما هي عليه من غير ان يحصل بها راجحية أو مرجوحية في السياسة بمعنى ان مملكة فرانساهي لا تزيد عما كانت عليه قبل الفتنة والظاهر ان أكثر الملوك التي أقرت ملك الفرنساوية الجديد انما أقرته على ذلك ورضيت بما وقع رضاء وقتيا حتى ان الفرنساوية تحس بذلك وتجهز به كأنها لا تثق بذلك الصالح الذي تراه كأنه هدنة

وتعليق ولما خرجت من فرانس كان جميع الناس يتوقع فيها أشهر الحرب
وظهوره بين النمساوية والفرنساوية والموسقوية أو الاسبانيول أو
البروسه والله سبحانه وتعالى اعلم بما كان وبما يكون وللفرنساوية الآن التثام مع
الانجليز لم يسبق مثله أبدا وأما الكلام على الرجوع فراجع في خاتمة الرحلة
المقالة السادسة في ذكر نبذات من العلوم والفنون المسرودة في
الباب الثاني من المقدمة وهي تشتمل على عدة كتب

الفصل الاول في تقسيم العلوم والفنون من حيث هي وفي ذكر
الفنون والعلوم العامة لجميع التلامذة

الفصل الاول في تقسيم العلوم والفنون على طريق الافرنج

اعلم ان الافرنج قسموا المعارف البشرية الى قسمين علوم وفنون فالعلم
هو الادراكات المحققة المذكورة بطريق البراهين وأما الفن فهو معرفة صناعة
الشيء على حسب قواعد مخصوصة ثم ان العلوم تنقسم الى رياضية وغيرها وغير
الرياضية تنقسم الى طبيعيات والهيئات والعلوم الرياضية هي الحساب والهندسة
والجبر والمقابلة والعلوم الطبيعية هي تاريخ الطبيعيات وعلم الطبيعة وعلم الكيمياء
المراد بتاريخ الطبيعيات علم الحشايش والاعشاب وعلم المعادن والاحجار وعلم
الحيوانات وهذه الفروع الثلاثة تسمى مراتب التولدات مرتبة النباتات
ومرتبة المعادن ومرتبة الحيوانات واما الالهيات فتسمى ايضا علم ما وراء
الطبيعيات او ما فوق الطبيعيات واما الفنون فانها تنقسم الى فنون عقلية
والى فنون عملية فالفنون العقلية ما يكثر قربها من العلوم مثل علم الفصاحة
وبالابلاغة وعلم النحو والمنطق والشعر والرسم والنحاتة والموسيقا فان هذه
فنون عقلية لانها تحتاج الى قواعد علمية واما الفنون العملية فهي الحرف

هذا هو تقسيم حكماء هذا الا فرنج والافنديان العلوم والفنون في الغالب شيء واحد وانما يفرق بين كون الفن علما مستقلا بنفسه وآلة غيره ثم ان العلوم المطلوبة من عموم التلامذة هي الحساب والهندسة والجغرافيا والتاريخ والرسم ومعرفة هذه كلها تكون بعد معرفة اللغة الفرنسية وما يتعلق بها لذلك وجب علينا هنا ان نذكر نبذة منها *

الفصل الثاني في تقسيم اللغات من حيث هي وفي ذكر اصطلاح اللغة الفرنسية *

اعلم ان اللغة لما كانت ضرورية في افهام السامع معني يحسن سكوت المتكلم عليه وكانت لازمة في التفهيم والتفهيم وفي المحادثات والمحاورات وجب عند جميع الامم على المتعلم ان يتدبر بها ويجعلها وسيلة لما عداها واللغة من حيث هي الالفاظ المخصوصة الدالة على المعاني المخصوصة وطريقها الكلام والكتابة المختلفة باختلاف الامم وهي قسمان لغات مستعملة ولغات مهجورة فالاولى ما يتكلم بها الآن كلغة العرب والفرس والترک والهند والفرنسيس والاطليانية والانكليز والاسبانيول والنيمسا والموسقو والثاني ما انقرض أهله واندرارابه ولم يبق الا في الكتب مثل اللغة القبطية واللاطينية واليونانية القديمة المسماة بالاغريقية ومعرفة هذه اللغات المجهورة في المحادثات نافعة لمن اراد الاطلاع على كتب المتقدمين وفي بلاد الا فرنج توجد مدارس مخصوصة معدة لتعلم هذه اللسان لما يعلمون من نفعها وكل لغة من اللغات لابد لها من قواعد لضبطها كتابة وقراءة وتسمى هذه القواعد باللغة الطليانية اغرماتيقا وباللغة الفرنسية اغرمير ومعناها تركيب الكلام يعني عظم ضبط اللغة بنحوها فلا مانع من ان يراد بالنحو قواعد اللغة من حيث هي وهو مرادنا هنا فهو علم به يعرف تصحيح الكلام والكتابة على اصطلاح اللغة المرادة الاستعمال والكلام ما قصد به افادة

المستمع معني يحسن عليه السكوت وهو يتركب من الكلمة واقسامها عند
اهل اللغة العربية ثلاثة الاسم والفعل والحرف والاسم اما مظهر نحو
زيدا ومضمر نحو هو او مبهم نحو هذا والفعل اما ماض كضرب او مضارع
كيضرب او امر كاضرب والحرف اما مختص بواحد من قسميه كمن
وقد او مشترك بينهما كهل وبل وانما قسمنا هذا التقسيم هنا لانه سيأتي
لنا ان الفرنسية عندهم الضمير واسم الاشارة قسيما للاسم ولا يعد
ان منه بوجه من الوجوه واما الفرنسيون فانهم جعلوا اجزاء الكلمة
عشرة كل واحد منها قسم مستقل له علامة وهي الاسم والضمير وحرف
التعريف والنعته واسم الفاعل واسم المفعول والفعل والظرف ويسمي
عندهم مكيف الفعل وحروف الجر وحروف الربط وحروف التدا
والتعجب ونحوه فيقولون في تعريف الاسم هو كلمة تدل على شخص او
شيء اى على العالم وغير العالم مثل زيد وفرس وحجر وفي تعريف الضمير
هو ما يقوم مقام الاسم وحرف التعريف هو ايضا عندهم لام التعريف
كما عندنا الا انه يختلف باختلاف الاسم الداخلة عليه فانه للمذكر
بالضم وفي المؤنث ل بالفتح ولجمعهما لس ولكن السين لا ينطق بها ويقولون
في تعريف النعت هو ما يدل على الاتصاف بوصف من الاوصاف كحسن
وجميل فهو نظير الصفة المشبهة واما اسم الفاعل واسم المفعول فانهما نحو ضارب
ومضروب والظرف عندهم مثله في لغة العرب وحروف الجر مثل الظرف
وحروف الجر في اللغة العربية فاذا قال الانسان باللغة الفرنسية جئت قبل زيد
وبعد فان قبل وبعده من حروف الجر عندهم واذا قال جاء زيدا ولا وقبل او نحو
ذلك فانه ظرف واما الحروف الروابط فانهم يعرفونها بانها ما توسط بين كلمتين او
جملتين نحو واو العطف في قولك جاء زيد وعمر ونحو ان في قولك او مل ان

اعيش زمنا طويلا ومن هذا القسم اذن حيزنا من نحو قولك انت عاقل فاذن
 انت قابل لتعلم او انت فحينئذ قابل وحروف النداء وانه يجب ونحوها
 معلومة وقواعد لغتهم يلزمها هذا التقسيم ويظهر ان قول بعضهم اقسام
 الكلمة أو الكلام ثلاثة في سائر اللغات وان الحصر عقلي لعله استقلالها
 بالمفهومية وعدمه ودلالة ما استقل بالمفهومية على زمان وعدمها فيه بعض شيء
 ثم ان كل انسان يميز عن مقصوده إما بالكلام أو بالكتابة فكلامه
 يسمى عبارة ومنطقاً وتعبيره عن مقصوده بالكتابة يسمى نفساً ومسطرة
 -وقلما فقد يكون قلم الانسان أفصح من عبارته فانه قد يكون الانسان الكن
 ويكون قلمه فصيحاً ثم انه اذا أفصح وأغرب غرابة مقبولة كانت عبارته
 عالية وإن كانت عبارته مؤدية للمقصود من غير ركافة فهي مناسبة وان
 كانها بعض شيء يعجز السماع فهي ركيكة أو رديئة وعلى كل فالعبارة
 اماها أطناب أو اختصار أو على الاصل ثم ان الكاتب اما ان يفصح عن
 مراده بنظم أو نثر وعلى كل فاما ان يكون كلامه أو تأليفه باللغة المستعملة
 في المحاورات المسماة الدارجة أو باللغة الموافقة لقواعد النثر هو الاصل
 في الكلام والتأليف ولا يحتاج الى وزن وتقفية الا في السجع وهو لسان
 العلوم والتاريخ والمعاملات والمراسلات والخطابات ونحو ذلك ولا نحتاج
 باللغة العربية كان بها كثير من كتب العلوم منظوماً وأما لغة الفرنسيين
 فلا ينظم فيها كتب العلوم أصلاً والنظم هو ان يفصح الانسان عن مقصوده
 بكلام موزون مقفى وهو يحتاج زيادة عن الوزن الى رقة العبارات وقوة
 الاسباب الداعية لنظمه ويمجيني قول بعضهم مورياً

صوغ القريض على اختلاف رجاله * ما بين حصياً لا تعد وجوهه
 واذا أردت بان تفوز بדרه * نظماً فخذ من صحاح الجوهري

وابعضهم

يامن يقول الشعر غير مهذب * ويسومني التكليف في تهذيبه
لو كان كل الخلق فيك مساعدي * لعجبت عن تهذيب ما تهذى به
وقال بعضهم في فقد الاسباب *

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة * باب الدواعي والبواعث مغلق
دخلت الديار فلا كريم يرجي * منه النوال ولا مريح يمشق
وقال آخر

الشعر لا يخفى عليكم حاله * قد باروا أسفاه بعد نفاق
وارحمنا لبني القريض فانهم * ماتوا وهم أحياء من الاملاق
ونظم الشعر غير خاص بلغة العرب فان كل لغة يمكن النظم فيها
بمقتضى علم شعرها نعم فن العروض على الكيفية الخاصة به المدون عليها
في لغة العرب وحصره في البحور الخمسة عشر المستعملة هو لخصوص
اللغة العربية وليس في اللغة الفرنسية تقفية النثر ومعرفة فن النظم
لا تكفي في نظم الشعر بل لا بد ان يكون الشاعر به سجية النظم سليقة
وطبيعة والا كان نفسه بارداً وشعره غير مقبول ولذا كرر هنا خلاصة
صغيرة من الاشعار ملخصة من أحسن القصائد والمقطعات فنقول قد
اشتهر ان أرق بيت قالته العرب في الغزل قول جرير

ان العيون التي في طرفها حور * قتلنا ثم لم نحيين قسلاً
يسابن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله انساناً
ولذا كرر هنا حكايه لطيفة وهي أنه دخل اصراقي على ثعلب فقال
له تزعم انك اعلم الناس بالادب فقال كذا يزعمون فقال انشدني أرق
بيت قالته العرب وأسلسه فقال قول جرير ان العيون الى آخره فقال

هذا الشعر غث رث قد لا كه السفلة بالسنتها هات غيره فقال ثعلب أفدنة
 من عندك يا اعرابي قال قول مسلم بن الوليد صريع الغواني
 نبارز ابطال الوغى فبيدهم * ويقتلنا في السلم لحظ الكواعب
 وليست سهام الحرب تفنى نقوسنا * ولكن سهام فرقته في الحواجب
 فقال ثعلب لاصحابه اكتبوها على الخناجر ولو بالخناجر فشمع مسلم
 ابن الوليد أقوى حماسة من قول جرير وأقول ان نسبة القوة بينهما
 كنسبتها بين قول بعضهم

خطرات النسيم تجرح خدي * ولمس الحرير يدمي بنانه
 وقول ابن سهل الاسرائيلي

اني له عن دمي المسفوك معذرة * أقول حملته في سنفكه تعبته
 ومما يمكن نظمه في سلك قول مسلم ابن الوليد قول بعضهم
 بعد العذارى من دواهي زماننا * واقتلها أحداقها والمحاجر
 ونشكوا اليها دأثرات صروفه * واعظمها اطواقها والاساور
 ويعجبني قول امين افندي الزلي في همزيتة

واقرن صبوحك بالغبوق ولا تدع * فرص السرور بغدوة ومساء
 واعقد بينت الحان واجعل مهرها * عقلي وأشهد سائر الندماء
 واستجها بكرة تقلد جيدها * بعقود در بل نجوم سماء *
 (الى ان قال)

واعدل عن العيدان وارشفها على * رقص الغصون ونغمة الورقاء
 (الى أن قال)

من كف سياق في الماء ولحظه * وحديثه نوع من الصبباء
 ويجده ورد حمامه بأسمه * عن قطفه بالاحظ والاياء

وبحسن هنا ذكر قول الشهاب الحجازي

لاوغصن راق للطرف ورق * وعليه حلال الطرف ورق
وشموس لم تغب عن ناظري * والشعور الليل والحد الشفق
وعيون حرمت نومي وما * حلت لي غير دمي والارق
ما احرار الراح الا خجل * من رضاب سكرت منه الحدق
والذي قد حسبه حياء * فوق خد الكاس قطرات العرق

ويعجني قول بعضهم

لولا شفاعه شعرها في صبا * ما واصلت وأزالت الاسقاما
لكن تنازل في الشفاعه عندها * وغدا على أقدامها يترامي

وينتظم في سلكه قول بعضهم

سل سيفاً من لحظه ثم أرخي * وفرة وفرت عليه الجميله
ان شكي الحصر طوها غير بدع * لنحيل يشكو الليالي الطويله

ومما يفوق قول الواو الدمشقي أويساويه

قالت متي الظعن يا هذا فقلت لها * أما غدا زعموا أولاً فبعد غد
فامطرت لؤلؤاً من رجب وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وقول بعضهم

بنفسي بيضاء العوارض أقيات * بوجه كأن الشرق من حسنه غرب
وبين الازار الملتوي حقبة رملة * وبين الوشاح الملتوي غصن رطب
وتحت لثام الحز أنفاسها انظي * وفوق الرواء السكب أدمعها سكب
تبدت مع الاتراب تدعو على النوى * وان لم يكن في الغائيات لها ترب
تسيل على الخد الاسيل دموعها * وصب دموع العين يروي به الصب
وقد وكلت احدي يديها بقلبها * مخافة أن يرفض من صدرها القلب

فلما أجزن الجسر قن وراءه * كسرب من الغزلان ليس له سرب
وعضت بدر الثغر فضة معصم * يكاد يشيه من الذهب القلب
وكادت تحط الرحل لولا عزيمتي * قسي جفون العين أسهمها الخدب
ومما يعد من الأشعار الرقيقة قول الشاعر

يصفر وجهي اذا تأمله * طرفي فيحمر خده خجلًا
حتى كان الذي بوجته * من دم جسمي اليه قد نقلًا
ومما ينسب للخليفة هارون الرشيد

واذا نظرت الى محاسنها * فبكل موضع نظرة نبيل
وتتال منك بحد مقلتها * مالا ينال بحده النصل
شغلتك وهي لكل ذي بصر * لاقى محاسن وجهها شغل
* فلقاها حلم يباعدها * عن ذي الهوى ولطرفها جهل
ولوجهها من وجهها قر * ولعينها من عينها كحل
ومن أرق ما قيل ايضاً قول الشاعر

لاموا على صب الدموع كأنهم * لا يعرفون صبايني وولوعي
فاجبتهم وعد الخيال بزورة * افلا ارش طريقه بدموعي
ومما يعجب في الرثا قول ابي الطيب في ابي شجاع فأنك
يامن يبدل كل يوم حلة * اني رضيت بحلة لا تنزع
مازلت تحلمها على من شاءها * حتى لبست اليوم مالا يخضع
مازلت تدفع كل أمر قاذح * حتى اتي الامر الذي لا يدفع
فظللت تنظر لارماحك شرع * بين الانام ولاسيوفك قطع
بابي الوحيد وجيشه متكاثر * يبكي ومن شر السلاح الادمع
واذا حصلت من السلاح على البكا * فخشاك رحت به وخدك تقرع

الى ان قال

من للمحافل والجحافل والسري * فقدت بفقدك نير لا يطالع *
ومن اتخذت على الضيوف خليفة * ضاعوا ومثلك لا يكاد يضيع
وقوله أيضاً في فاتك المذكور

لا فاتك آخر في مصر تقصده * ولا له خلف في الناس كلهم
من لا تشابهه الاحياء في شيم * أضحي تشابهه الاموات في الرمم
عدمته وكاني سرت اطلبه * فما تزيدني الدنيا على العدم

الى ان قال

الدمر يعجب من حملي نوابه * وحمل جسمي على أحداثه الحطام
وقت يضيع وعمر ليت مدته * في غير أمته من سالف الامم
أتي الزمان بنوه في شبيبته * فسرهم وأثناه على الهرم *
وبالجملة والتفصيل فاحسن وأظرف سائر ما قيل

سئلت عن الاحبة والمدام * وملت عن التهنك واليهام
وسلمت الامور الى الهي * وودعت الغواية بالسلام
وملت الى اكتساب ثواب ربي * وقد ما طال عزمي بالغرام
وما أنا بعده معط عنان الهوى * لكن تري بيدي زمامي
أبعد الشيب وهو أخو سكون * يليق بان أميل الى اغرام
فشرب الراح نقص بعد هذا * ولو من راحتي بدر التمام
فكم أجريت في ميدان لهو * خيول هوى وكم ضربت خيامي
وكم قبلت وردا من خدود * وكم عانقت غصناً من قوام
ساوتي الكاس تعيساً وصدا * وان جاءت تقابل بابتسام
عزمت على الرجوع عن المناهى * ومثلي من يدوم على اعتزام

الفصل الثالث في فن الكتابة

هو فن يعرف به التعبير عن المقصود بنقوش مخصوصة تسمى حروف الهجاء أو حروف المعجم وأغلب الحروف الهجائية متفقة في سائر اللغات ومبدؤة بحرف الألف الا عند الحبشة فان حرف الألف هو الثالث عشر وصناعة الكتابة شديدة النفع عند سائر الأمم وهي روح المعاملات واحضار الماضي وترتيب المستقبل ورسول المراد ونصف المشاهدة ثم ان العرب والعبرانيين والسريانيين يكتبون من اليمين الى الشمال والصينيون يكتبون من أعلى الى أسفل وتكتب الافرنج من الشمال الى اليمين وهل الا وفق طبعا الكتابة من اليمين الى الشمال كما تكتب العرب وغيرهم ممن ذكر معهم أو العكس كما تكتب الافرنج مما يدل على الاول ترتيب الاعداد فانها مرتبة طبعا وهي تبديء من اليمين الى اليسار فالاحاد التي هي أجزاء العشرات تكون على يمين العشرات والعشرات كذلك بالنسبة للاميات وهي كذلك بالنسبة للألوف واذا كانت الاعداد أصولا لغيرها يعنى أشياء اولية اتفقت فيها الطبائع على اختلاف أصحابها دل ذلك على ان مخالفتها مخالفة للاصل وثبت نقيضه وهو المراد وحاول الافرنج فحملوا القراءة والكتابة على قراءة الاعداد وكتابتها فقط فبرهنوا بهذا على أوفقية طريقتهم للطبع فمن باب أولى يقال ان الكتابة من أعلى لاسفل مخالفة لمقتضى الطبع ويقال ان العرب كانت تعرف الكتابة في زمن أيوب عليه السلام وقد وقع اختلاف في ان الحروف الهجائية هل هي من الاوضاع الالهية أو من الاوضاع البشرية وعلى الثاني فقد وقع الاختلاف في انها من اوضاع أي ملة فقال بعضهم انها من اوضاع السريانيين أو من اوضاع قدماء

المصريين واستظهر الاول فعليه تكون انتقلت من السريانيين الى اليونان
بدليل ان الحروف اليونانية هي عين السريانية الا انها انقلبت من الشمال
الى اليمين ومن أهل اليونان أخذ الرومانيون حروفهم وجودة الخط
لاتدل على الفضل وعدم تأدية الكتابة حقها دليل على الجهل وقد تنازع
الشعراء في التفضيل بين السيف والقلم ثم بين قلم الانشاء والحساب
وأشار المتنبي الى تفضيل السيف في قوله

السيف اصدق انباء من الكتب * في حده الحد بين الجد والمعب
بيض الصفائح لاسود الصجائف * في متونها جلاء الشك والريب
واشار السيوطي في كتاب الاوائل الى تفضيل القلم على السيف حيث قال
الكتب عقل شوارد الكلم * والخط خيط فرايد الحكم
بالخط نظم كل منتشر * منها وفصل كل منتظم
والسيف وهو بحيث تعرفه * فرض عليه عبادة القلم
وتمام رفع المنازعة في تاريخ الدول لابن الكردبوسي في قوله قوام الملك
شأن السيف والقلم والثاني مقدم على الاول وبرهن على ذلك والظاهر
ان يقال في ذلك ما قيل في الكتبتين من ان صناعة الانشا ارفع وصناعة
الحساب انفع فيقال ان السيف ارفع من القلم والقلم انفع منه

الفصل الرابع في علم البلاغة المشتمل على البيان والمعاني والبديع

وهو علم تحسين العبارة أو علم تطبيق العبارة على مقتضيات الاحوال
والمقصود منه على العموم توصل الانسان الى الافصاح عما في ضميره
بفصيح الكلام وبلغه وهذا العلم بهذه الحيثية ليس من خواص اللغة
العربية بل قد يكون في أي لغة كانت من اللغات فانه يعبر عن هذا العلم

في اللغات الافرنجية بعلم الريشوريقي نعم هذا العلم في اللغة العربية اتم وأكمل منه في غيرها خصوصاً علم البديع فإنه يشبه أن يكون من خواص اللغة العربية لضعفه في اللغات الافرنجية وبلاغة أسلوب القرآن الذي نزل أعجازاً للبشر من خصوصيات اللغة العربية ثم انه قد يكون الشيء بليغاً في لغة غير بليغ في أخرى أو قبيحاً فيها وقد تتفق بلاغة الشيء في لغتين أو لغات كما اذا أردت أن تعبر عن رجل شجاع بأنه أسد فتقول زيد أسد فإن هذا مقبول في غير اللغة العربية كما هو مقبول فيها واذا أردت أن تعبر عن شخص حسن بأنه بديع الجمال فتقول هو شمس أو عن حمرة خده فتقول خدوده تتأظي فإن هذا التشبيه حسن في اللغة العربية غير مقبول أصلاً في اللغة الافرنجية وكذلك ما يقال في الريق ونحوه مثل قول الشاعر خيلي ان قالت بشينه ماله * انا بلا وعد فقولا لها لها سها وهو مشغول بمظم الذي به * ومن بات طول الليل يرعي السها سها بشينه ترزي بالغزالة في الضحي * اذا برزت لم تبقى يوماً بها بها لها مقلة نجلاء كلاء خلقة * كان ابها الظبي او أمهامها دهتي بود قاتلي وهو متاني * وكم قتلت بالود من ودها دها وماست باعطاف لطاف تهزها * فعانيت غصن البان من هزها زها وقالت وقد سارعت في السير دونها * وقاطعت طرقات دونها ومهامها سلافة ريتي عتقت ثم روقت * فمن لم يمت بالسكر من صفوها وهي وفي الشقة اللعسا دوا كل مدنف * فان كنت مهشاقاً الى رشفها فها فاعلب التشبيهات الموجودة في هذه الابيات غير مقبولة عندهم لانهم يقولون ان الطبع لا يؤلف الريق مثلاً لكونه آيلاً الى البصاق واذا اشبهت بضع العذرا قبل اقتضاها بالوردة التي لم تفتح ثم بعده

بالوردة المفتوحة كان ذلك عظيماً عند الفرنسيين فبني البلاغة عندهم على ما يقبله الطبع ويقال نسبة علم البلاغة للبلاغة كنسبة العروض للشعر فينبذ قد توجد البلاغة عند من لا يحسن علم البلاغة كما أنه قد يحسن علم البلاغة غير البليغ وأغلب نفع البلاغة يكون في الشعر والخطابات ونحوها من كتب الآداب والتواريخ وأعظم نفع ذلك العلم اتوصل الى معرفة أسرار التنزيل وأعجازه وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث في زمن شعر ونظم وكهانة فايده الله سبحانه وتعالى بالقرآن الذي لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فظهر لآباب العقول الصائبة انه كلام قادر يقدر ولا يقدر عليه وانه لا يشبه كلام المخلوقين فامنوا به واتبعوه الا من حق عليه العذاب فنزل القرآن الشريف على مقتضيات الاحوال وكانت سائر عباراته مناسبة للاحوال لفظا ومعنى واذا أردت توضيح العلوم الثلاثة ومعرفة قواعدها فعليك بكتب المعاني والبيات والبديع

الفصل الخامس في المنطق

هو علم يبحث فيه عن المعلومات التصورية والتصديقية من حيث توصيلها الى غيرها والمشهور ان واضعه أرسطو الحكيم المسمى أيضاً أرسطاطاليس وفي كتب الفرنسيين ان إرسطاطاليس هو الذي قد كمل هذا الفن وان أفلاطون أيضاً هذبه وان زنون وضعه ونسبه هذا العلم للقلب كنسبة النحو للسان والعروض للنظم ونحو ذلك ولهذا العلم مباد ومقاصد فبإيديه التصورات والتصديقات ومقاصده التعريفات والاقيسة والتصور أدراك غير الحكم وعكسه التصديق فاذا تصورنا حقيقة الرجل من غير ان نحكم عليه بأبيات

ونفى كان ذلك تصورا وإذا حكم عليه بأنه عالم مثلاً فإنه يكون تصديقاً والتصور
قسمان بسيط ومركب فالتصور البسيط أدراك الشيء مجرداً عن صفاته والمركب
أدراك الشيء مع بعض صفاته مثال الأول ما إذا تصورت الإنسان ولم تخاطبها باله
أنه متحرك ومثال الثاني ما إذا تصورته وميزته عن الجماد بتحركه فالتصور
لا يكون إلا في المفردات كما أن التصديق لا يكون إلا في القضايا والقضية
هي حكم يحصل بإثبات تصور إلى آخر أو نفيه عنه فالتصور المسند إليه
الاثبات أو النفي يسمى الموضوع والتصور المسند إلى الموضوع مما تقدم
يسمى المحمول والموضوع والحمول يسميان جزئى القضية وهذان الجزآن
يجمعهما جزء ثالث يسمى رابطة مثال ذلك ما إذا قلت زيد فصيح فإن
زيداً هو الموضوع وفصيح هو المحمول والرابطة مقدرة والتقدير زيد
هو الفصيح أو زيد يكون فصيحاً وأما إذا قلت زيد هو الفصيح فإن
الرابطة ظاهرة ثم إن القضية أما كلية يعني مستغرقة لسائر الأفراد كما إذا
قلت كل إنسان صنعة الله تعالى وأما جزئية كما في قولك بعض الحيوان
إنسان وكل من القضية الكلية والجزئية مسورة وأما شخصية وأما مهمة
فالأولى كزيد قائم والثانية كالإنسان كاتب بقطع النظر عن الكلية والجزئية
وأما طبيعية كما في قولك الظلم ردى والقضية أيضاً أما بسيطة أو مركبة
فالقضية البسيطة ما كانت غير متعددة الموضوع والحمول كما في قولك
الفضيلة حميدة والرياسة ذميمة وبخلافها المركبة فهي ما تعدد فيها الموضوع
فقط أو المحمول فقط أو هما معا كما إذا قلت الفضيلة والرياسة ضدان أو
الفضيلة محبوبة مطلوبة أو الفضيلة والرياسة ضدان لا يجتمعان ونحو ذلك
وإذا كانت القضية المركبة مصنوعة من عدة قضايا بسيطة فإنها يكفي في
كذبها كذب بعض أجزائها وأما التعريفات التي هي مقاصد التصورات

ومصحيحات القضايا فانها تنقسم الى تعريف بالحد وتعريف بالرسم وتعريف
لفظي فمثال التعريف بالحد قولك الانسان حيوان ناطق ومثال ناطق
ومثال التعريف بالرسم قولك الانسان حيوان كاتب ومثال التعريف
اللفظي قولك الانسان هو الآدمي اذا فرضنا ان لفظ الآدمي أشهر
وأعرف من لفظ الانسان ويمكن أن يجعل من هذا القسم الثالث سائر
تفسير الالفاظ المترجمة من لسان الى آخر مثال ذلك اذا قدرنا أن أعجمياً
لا يعرف معنى كلمة الله فانك تعرفها له تعريفاً لفظياً بقولك له الله هو
خداي وكل من الحد والرسم ينقسم الى تام والى ناقص على حسب كونه
بالجنس أو الفضل القريب أو البعيد أو بالخاصة أو بالعرض العام كل منها
منفرداً أو مجتمعاً وهذا كله موضح في كتب المنطق * وأما القياس وهو
المقصود الأصلي من علم المنطق فهو ما يلزمه لذاته تصديق آخر مثال
ذلك ما اذا قلنا ان الله سبحانه وتعالى لا بد ان يقتص من الظالم للمظلوم
فانك تقول هكذا الله سبحانه وتعالى حكم عدل وكل من كان كذلك
فانه يقتص للمظلوم من الظالم فتكون النتيجة هكذا الله سبحانه وتعالى
يقتص للمظلوم من الظالم فتي سلمنا القضيتين الأولى ولتين فلا بد ان نسلم
القضية الثالثة والقضيتان الأولى ولتان تسميان مقدمتين واحداها تسمى صغرى
والأخرى كبرى وروح القياس هو النتيجة والقياس يكون صحيحاً اذا
كان صحيح المادة والصورة وفاسداً اذا فسدت اخداها والمراد بصحة
المادة أن سائر قضاياها تكون صحيحة والمراد بصحة الصورة أن يكون
منظوماً على كيفية يكون انتاجها ضرورياً والقياس الصحيح هو المسمى بالحجة
أو البرهان وأما القياس الفاسد أو البرهان الفاسد فيسمى سفسطة وهو ما يشبه
الصحيح وليس صحيحاً لعدم ملازمة نتيجته الظاهرية للمقدمات الصحيحة وفي

كتب الفرنسيين أن القاعدة التي ينبغي عليها القياس الصحيح ويمتاز من السفسطة هي اثبات أصليين أحدهما مبنى الصحة والآخر مبنى الفساد وهما ان المستلزم لمستلزم لشيء مستلزم لذلك الشيء والثاني لشيء نافي لشيء آخر هو نافي لذلك الآخر أو نافي للآخرين معا وكيفية تطبيق هذا على القياس انك اذا سئلت عن الغضب هل هو مذموم فاردت ان تستدل على انه مذموم فانك تبحث عن طرف القضية التي هو الموضوع فانك ترى من جملة تعريف الغضب انه عيب فيئخذ كلمة غضب متضمنة لمعنى العيب فتركب مقدمة هكذا الغضب عيب ثم تقابل العيب مع الذم الذي هو محمول القضية فانك تجد ان العيب يستلزم الزم فتقول العيب ذميم فاذا لما رأيت ان الغضب يستلزم العيب والعيب يستلزم الذم فانك تنتج منه ان الغضب ذميم فكل قياس لا يمكن ان تطبقه على هذا الأصل فانه يكون سفسطة مثال ذلك أرسطو فيلسوف وبعض الفلاسفة صالح فأرسطو صالح فان الانتاج فاسد وذلك ان القضايا لا تستلزم النتيجة لانه لا يلزم من كون أرسطو هو احد الفلاسفة وان بعض الفلاسفة صالح ان أرسطو صالح وبعض أجزاء القياس قد يحذف للعلم به كما في قولك الفضيلة حميدة فينبغي كسبها والقياس أما حملي أو شرطي فكل ما تقدم مثال للحمل ومثال الشرطي لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً لسكن الشمس ليست بطالعه تخرج النتيجة قائلة فالنهار ليس بموجود ومحل ذلك كتب المنطق ثم ان الافرنج كما يطلقون الكلمات على قواعد اللغة الفرنسية ويسمون ذلك اعراباً نحوياً يطبقونها على قواعد المنطق ويسمون ذلك منطقياً فاذا أراد انسان اعراب زيد فاضل اعراباً نحوياً فانه يقول مثلاً زيد مبتداً وفاصل خبره أو نحو ذلك مما يليق بقواعد نحوهم واذا أراد ان يعرب اعراباً منطقياً

فانه يقول زيد موضوع وفاضل محمول وهذه القضية قضية شخصية
ويفعلون ذلك في سائر الجمل

الفصل السادس في المقولات العشرة المنسوبة الى ارسطو *

من المعلوم ان ارسطاطا ليس حصر الاشياء المتعلقة في عشر مراتب
تسمى مقولات فجعل المواد داخلة تحت الاولى وجعل سائر الاعراض
داخلة تحت التسعة الاخرى * المقولة الاولى مقولة الجوهر وهو جسماني
وروحاني * الثانية الكم وهو اما منفصل اذا كانت الاجزاء متفرقة مثل
العدد او متصل اذا كانت الاجزاء مجتمعة وهو اما متتابع مثل حركة
الفلك او قار وهو المسمي العظم او الامتداد للجسم من الطول والعرض
والعمق فمن الطول وحده تتعقل الخطوط ومن الطول والعرض تتعقل
السطوح ومنهما مع العمق يحصل الجسم التعليمي (الثالثة) الكيف وقسمه
ارسطو الى اربعة اقسام فالاول هو الاستعدادات يعني تهيات العقل او
الجسم المكسوبة بالاعمال المتكررة مثل العلوم والفضائل والرذائل والقدرة
على الكتابة والرسم والرقص والثاني القوي الطبيعية مثل قوة النفس
والبدن كالادراك والارادة وقوة الحفظ والحواس الخمسة والقدرة على
المشي والثالث القوى المشاهدة مثل الصلابة والرخاوة والكثافة والبرد
والحر والالوان والاصوات والروائح والاذواق والرابع الصور والاشكال
التي ينتهي بها الكم مثل الاستدارة والتربع والكروية والتكميلية * الرابعة
مقولة الاضافة وهي النسبة بين شيئين مثل الاب والابن والمحذوم
والخادم والملك والرعية وكنسبة القدرة والارادة لمتعلقيهما والبصر
للمبصر بالقوة وكا لنسبة التي تقتضي المشاركة كالشيء والمساوي والمباين

والاصغر والا كبر * الخامسة مقولة الفعل سواء كان قائماً بالفاعل مثل المشي والقيام والرقص والمعرفة والعشق او واقعا منه على غيره مثل الضرب والقتل الى آخره) السادسة مقولة الانفعال مثل الانكسار والانحراف السابعة مقولة الاين يعنى جواب السؤال التى يتعلق بالمكان مثل قولك في مصر في الحريم فى الفراش الثامنة مقولة متى وهي جواب السؤال الذى يتعلق بالزمان كما اذا قلت متى كان موجودا فلان فليل من منذ مائة سنة او متى وقع هذا فليل البارحة التاسعة مقولة الوضع كحالة الجلوس والوقوف وكونه قبل او بعد او امام على اليمين او على اليسار * العاشرة مقولة الملك وهو وجود شيء مع الانسان منسوب اليه كاللباس والزينة والسلاح فتعلق ذلك به وحوزة له هو هذه المقولة فهذه المقولات العشرة التى ذكرها ارسطو وعدت من الامور الحفية والافرنج يقولون انه ليس في معرفة هذه المقولات كبير فائدة بل معرفتها مضرّة لشيئين الاول ان الانسان يظن انها مبنية على حكم عقلي ومحصورة بحصر استدلالى مع انها ليست الا اصطلاحية جمالية حصرها بعض الناس في هذه الاقسام ليظهر بها الرياسة على غيره مع انه يوجد في ذلك الغير من يمكنه ان يحصرها حضراً آخر جديدا كما فعل ذلك بعض الناس من انه حصر المقولات في سبعة * وسماها المواد العقلية المادة الاولى العقل او الجوهر الدراك الثانية الجسم او الجوهر ذو الامتداد الثالثة القدر او صغر كل جزء من اجزاء الهيولات الرابعة وضع الهيولات على التناسب بين اجزائها الخامسة صورة الاشياء السادسة الحركة السابعة السكون * الشيء الثاني ان متعلمها يكتفى بمجرد الفاظ وهمية ويظن انه على شيء مع انه لم يعرف بها شيئاً له في الواقع معنى واضح محقق .

* (الفصل السابع في علم الحساب المسمي باللغة الافرنجية الارثيماطيقي) *

اعلم أن علم الارثيماطيقي هو أحد العلوم الرياضية الخالصة وذلك لان حكماء الافرنج قسموا الرياضيات الى خالصة والى غير خالصة أو مختلطة فالرياضيات الخالصة هي علم الحساب القباري والهوائى وعلم الجبر والمقابلة وعلم الهندسة ونحو ذلك وأما الرياضيات المختلطة فهي علوم الحيل وفن تحريك الاثقال ونحوها والرياضيات الخالصة هي ما تبحث عن الكميات والاشياء القابلة للزيادة والنقصان والرياضيات المختلطة هي ما يدخلها اشياء خارجية من علم الطبيعية وغيره والحساب أهم العلوم الرياضية وقد دلت كتب التواريخ على أن واضع هذا العلم أهل بروم الشام يعني الصوريين وقدماء أهل مصر يعني أن هاتين الأمتين هما أول من جمع الاعداد والحساب ونظماها في عقد الترتيب حتي ان فيثاغورس الحكيم رحل من بلاد اليونان الى مصر فتلقى فيها هذا العلم ومما اشتهر بين السلف ان علم الحساب من مخترعات الصوريين ويقال انهم أيضاً أول من استعمل القوائم والدقار والظاهر أن الأصابع هي أول الطرق التي استعملها الانسان في الحساب وان ذلك هو السبب في كون أول عقد في العدد هو عقد العشرات والثاني عقد عشرات العشرات التي هي المياة والعقد الثالث عقد عشرات المياة أو الالوف وهكذا لان الأصابع عشرة فكان الانتقال من عقد الى آخر من عشرة الى عشرة ولما كانت الأصابع لا تكفي الا في تمييز عشرة عشرة احتاج الامر الى طريقة اخري وعلامات اخرفاخذوا صغار الحصى وجبوب الزمل والقمح ونحوها واستعملوها لضبط المعدودات كما هو الآن عند بعض أهل أمريكا وبعض

همل غيرها من أقسام الأرض حتى ان بعض قدماء الأمم الماضين لا يوجد
في لغاتهم ما يمكن التعبير به عما فوق العشرات فانهم كانوا يعبرون عن
مائة وسبعة وعشرين مثلاً بقولهم سبعة وعشرون وعشرة عشرات
وذلك لان الاقدمين كانوا يذكرون العدد الاصغر قبل الاكبر فيبتدون
بالاحاد ثم بالعشرات ثم بالمئات وهكذا كما قال بعضهم انه يوجد في كتب
العبرانيين واليونانيين ما يدل على ذلك وهو أيضاً أسلوب اللغة العربية
فيما دون المائة وأما الآن فقد تبحر الأمم في علم الحساب وتنوعوا وتفننوا
فيه حتى وصلوا الى كماله وحد علم الحساب انه علم يبحث فيه عن الاعداد
من حيث ما يعترها من الاعمال والعدد اجتماع الاحاد وهو قسمان صحيح
وكسر وزاد بعضهم ثالثاً وهو ما تركيب منهما وسماه عدداً مشتملاً على
الكسور ويتعلق بهذه الاعداد اعمال أربعة هي الجمع والطرح والضرب
والقسمة وهي معلومة في كتب هذا الفن وأما علم الهندسة فهو موضوعه
قياس الامتدادات الثلاثة التي هي الطول والعرض والعمق كما أشرنا اليه
في منظومتنا في علم الهندسة بقولنا

موضوعه قياس الامتداد * فسرهُ بالثلاثة الابعاد

والطول والعرض كذا والعمق * وشرح هذي غير مستحق

وأما الجغرافيا فقد تقدم منها نبذة في مقدمة الكتاب وانما ينبغي لنا هنا ان نذكر
أقسامها فنقول انه تارة ينظر الى الأرض من جهة شكلها وسكونها أو تحركها
ونسبها لمعادها من الاجرام الفلكية فتسمى الجغرافيا الرياضية أو علم هيئة
الديناوتارة تلاحظ من جهة مادتها الترابية أو المائية وما يتعلق بذلك بما يظهر
على سطحها مثل الجبال فتسمى بالجغرافيا الطبيعية أي المتعلقة بطبيعة
الأرض وتارة ينظر اليها من جهة اختلاف أهلها في الدين والملة فتسمى

بالجغرافية الدينية وتارة ينظر اليها من جهة اختلاف أهلها في التدبير
والسياسة والرسوم والقوانين فيسمي ذلك بالجغرافيا السياسية أو التدبيرية
وتارة تعتبر من جهة التغيرات والتقلبات الحاصلة طول الازمان المختلفة
في الارض وفي أجزائها بالنسبة للدين والسياسة ونحو ذلك ويسمي ذلك
بالجغرافيا التاريخية وهذه هي الاصول والافالقسة غير حاصرة ومن
أراد الكلام على ذلك فعليه برسالتنا المسماة التعريبات الشافية بمريد
الجغرافية فانه موضح فيها غاية التوضيح غير أنه ينبغي لنا هنا الكلام
على مسألة من مسائل علم الجغرافيا الرياضية التي هي علم الهيئة فنقول
الافرنج قسموا الكواكب الفلكية الى ثوابت والى سياره والى سياره
السياره والى ذوات الذنب وعدوا الشمس من الثوابت والارض من
السياره والقمر من سياره السياره أي التابعة في السير للكواكب السياره
وهذا المذهب يسمي عندهم مذهب كبرنيق النيمساوي وقد كشف
المتأخرون منهم عدة كواكب سياره لم يظفروا بها المتقدمون لفقد الآلات
عندهم ووجودها لهؤلاء الافرنج فبذلك بلغت السيارات المعروفة عندهم
احد عشر غير الشمس والقمر فان الاولى من الثوابت على رأيهم
والثاني من سياره السياره ولندكرها لك هنا على حسب قربها من
الشمس فنقول هي عطارد والزهرة والارض والمريخ ووسته بكسر الواو
وسكون السين المهملة وفتح اثناء المثناة أي المجرة السياره وپوتون بضم
الياء واثون بعدها واو وتسمى زوجة المشتري ويقال لها بنت زحل
وسريس بكسر السين والراء بعدها ياء مسكنه ويقال لها قريس أي السنبلة
السياره وبلاس بفتح الباء وتشديد اللام ومعناه أبو الفلق والمشتري وزحل
وأورانوس بضم الهمزة وراء بعدها الف ثم نون مضمومة ومعناه

الفلك الاعلى وهذه الكواكب الجديدة لا يمكن رصد دورانها على نفسها الا بصعوبة لصغر بعضها في رأى العين وبعد البعض الآخر بل لا يمكن رصد ما عدا اورانوس الا بالنظارات الفلكية ولهذا سميت عند الافرنج بالسيارات النظرية ويؤمل الافرنج كشف غيرها من السيارات وأما التاريخ فهو أيضاً مما ينبغي للانسان الاطلاع عليه لا سيما أرباب الدول ولذا كرر لك هنا نبذة لطيفة ذكرها هنا بعض المؤلفين من الافرنج فنقول للتاريخ مدرسة عامة يقصدها من أراد من الأمم ان يفوز بالتعلم وهو أيضاً تجريبات حوادث الاعصر التي تساعد الحال الراهنة ومن جهة اشتماله على عبر محفوظة يعين المرء على التفكير في ظاهر الآتي فانه يعتبر من اعتبر من جميع الناس أياً كان مقامهم لما انه يظهر على رؤس الاشهاد الآثار الرديئة المترتبة على تشاجرهم واختلافهم ومثل هذه الصورة الموهلة تحملهم على التخلق بالاخلاق الحميدة مثل الحلم والعدل ومن التاريخ يفهم الملوك انه في زمن سلطنة ملك حسن التدبير ينبغي ان تكون شوكة الملك وكرسيه ظلالاً ووقاية قال بسوه لو فرض ان التاريخ لا ينفع غير الامراء فانه يجب قراءته للامراء ولكن انما يفتح التاريخ للعاقل كنوزه ليفهم منها خفياته وزموزه فيشغل فكره مدة قراءته عن تغيرات معيشة الانسان الباطلة ثم ينتقل من ذلك الى مادة أهم من ذلك فتكشف له سلاسل الزمن العديدة التي تمس حلقتها الأخيرة خلق العالم وليس ان هذه السلاسل كميدان عظيم يطالع الانسان فيه دفعة واحدة على جميع الأمم والدول وأزمان كل فانظر الى هذا المحفل العظيم المحتوى على أرباب سعود ونحوس فكيف فيه من مدائن دمرت ومن دول انقرضت ومن ممالك ذهبت واندثرت ومن محال خربت ومن مقابر عمرت فكان

كل شيء يؤل الى القبور وهي التي تملو وحدها على ميدان الارض فكم
تظهر زينة الحياة الدنيا هينة حقيرة اذا نظر الانسان من سماء التاريخ
وكم يظهر ان الجمعية التي في زماننا يسيرة هينة بجانب جميعات أهالي
القرون والاعصار فستان بين ملوك عصرنا الذين يمكن للنظر ان يقيس
عظمها المحسوس وملوك تلك الازمنة التي يظهر للاعين كأنهم جبال
مرفوعة على دائرة افق الاعصر السالفة وانظر ماتكون حروبنا لوقية
وحبنا للعلو والشرف الموقتين عجائب منازعة السلف من مبدء العالم
على مكان من الامكنة أو على شبر من أرض فمن نظر حق النظر في عجائب
التاريخ فانه يكتسي بثياب الجد ويجرد عن ملابس الهزل ويصعد
على ذروات انظر فيرى تحت رجليه ان العالم بأسره اشبه بحر محيط
تسبح فيه سفن آمال الخلق وامانيهم من غير دفعة عرضة للرياح الشديدة
ويتهى أمرها الى الانكسار على ما يصادها من الشعوب ولا تجرد من المراسي
ماترسي عليه غير قرضات القدم فاذا نظرت من هذا المحل ترى بعين
مجردة عن الطمع حطام الدنيا الفانية والمدح الباطل المقصودين المرغوبين
لكثير من الناس كلا شيء أو ليس ان للدهر نكبات وتغيرات في جميع
ما وهبه وأعطاه فاي مملكة أمنا على كرسيها من السقوط وأي دولة آيسنا
على نحتها من الارتفاع أو مارأينا أن الهيكل الواحد يتداول على محرابه عدة
أديان متباينة وكم ارتكبت الرذائل حيث كانت الفضائل قاطعة وكم من
قواعد فخر وغنا آل أمرها الى أن أعقبها الفقر والحقارة وكم شوهد
أن الخشونة والتمدن يمشيان بهرولة على سطح الكرة ويتبادلان على اجزائها
من غير نخل واسطة بينها وكيف قد آل أمر كآيتهم المداين التي كنت عامرة
ببلاد آسيا وقد كنت تحكمين على جميع الامم يامدن نينويونس وبابل

السحراويا اصطخر فارس وتدمر سليمان كيف صارت الآن محالك خراباً
وقد كنت كراسى دول العلوم فلم يبق لك من نخارك القديم وبهائك الجسم
غير الاسم وبعض رسم من حجرو مع ذلك فلم يحل ببلد من بلاد الدنيا
من النكبات العجيبة والبلايا الغريبة مثل ما حل بمصر المباركة المصابة
بالشقاء التي كانت خيولها تسبق سالفاً خيول سائر الممالك في الرض في
ميادين الفخار والعلم والحكمة فكان الدهر أراد ان يصب على هذه
البلاد دفعة واحدة اما نعم الانعام أو عذاب الانتقام مع انه لم يكن من
الامم مثل قدماء مصر في كونهم بذلوا جهدهم في الجلوس على مباني
هياكلهم المشيدة وأرادوا بذلك ان يكونوا مؤبدين فبادوا جميعاً وانقرضوا
حتى ان أهل مصر الموجودين الآن ليسوا جنساً من أجناس الامم بل
هم طائفة متجمعة من مواد غير متجانسة ومنسوبون الى عدة جنوس
مختلفة من بلاد آسيا وافريقية فهم مثل خايط من غير قياس مشترك
وتقاطيع شكل صورهم لانتقوم منها صورة متحدة بها يعرف كون
الانسان مصرياً من سجنته فكأنما سائر بلاد الدنيا اشتركت في تأهيل
ير النيل انتهى مترجماً من مقدمة الحواشي آكوب في تاريخ مصر وفي
آخرها يمدح ولي النعم محيي بلاد مصر من العدم وقد مدحه أيضاً في
قصيدة فرنساوية سماها نظم العقود في كسر العود وقد ترجمتها وذكرت
بعضاً منها في الفصل الثاني من المقالة الثالثة وعلم التاريخ واسع وان
شاء الله تعالى بانفاس ولي النعم يصير التاريخ على اختلافه منقولاً من
الفرنساوية الى لغتنا وبالجملة فقد تكفلنا بترجمة علمي التاريخ والجغرافيا
بمصر السعيدة بمشيئته تعالى وبهمة صاحب السعادة نخب العلوم
والفنون حتى تعد دولته من الازمنة التي تؤرخ بها العلوم والمعارف

المتجددة في مصر مثل تجدها في زمن خلفاء بغداد

الخاتمة في رجوعنا من باريس الى مصر وفي عدة أمور مختلفة

من المعلوم ان نفس القاري لهذه الرحلة تتطلع الى معرفة نتيجة هذا السفر الذي صرف عليه ولي النعمة مصاريف لم تسبق لاحد من الملوك ولا سمع بها في التواريخ عند سائر الامم وانما تسطيرها في تاريخ دولة الخديوي مما يدل على ان حضرة العلوية صاحبة الهمة العلية قد تبصرت في عواقب الامور وأصاب المرمي في جميع ما شرعت فيه مما يبقى به الذكر على ممر الدهور ولا شك ان ذلك تقصر عنه همة قيصر وتكل عن نبيل مثله قوة اسكندر الاكبر ولا يمكن لمثل نابليون ان يفوق فيه نباله ولا لمثل افريديقوس ان يوجه اليه باله او يعيل اليه آماله فكيف وارسال ولي النعمة للافندية الى باريس قد نجح غاية النجاح وأثمر حيث ان جلالهم قد اكتسب رضا صاحب السعادة وسارع في المطلوب وعن ساعد الجدد والاجتهاد شمر فقد أرضع حفظه الله تعالى في تلك الديار بانداء العلوم أطفالا حتى صاروا بكامل المعارف رجلا بل منهم من وصل الى رتبة أساطين الافرنج فهم ما بين مدير الامور المملوكية حائز كمال الرتبة في السياسات المدنية كحضرة صاحب البراعة والبراعة رب الطالع السعيد وذو النجابة والرأي السديد عبدي أفندي وما بين متمكن في معرفة ادارة الامور العسكرية راق فيها الى درجة علية وما بين رباني بسائر الامور البحرية أو خير بالطب أو بالكيمياء الصحيحة المرضية وبصير بالطبيعات وما هر في علم الزراعة والنباتات ومنهم فائق الاقران في الفنون والصنائع وحرى بفتح فبriques تشتهر ببراعته بغير

منازع ولولا خوف الاطالة لذكرت جميع من ظفر بقصده من الأفندية على حسب حوزة للمراتب العلمية ولعمري لا يستطيع عدم التعرض لعدة أشخاص قد بلغ فضاهم الغاية في الامتياز غير انني أسلك في ذكرهم غاية الاجاز كيف لأقول ان حضرة مصطفى مختار بيك أفندي قد بلغ درجة كبار الفرنسيات في علم ادارة المنهات العسكرية وقد حاز مرتبة سامية من العلوم وتمكن من المنطوق منها والمفهوم ولا شك انه ممتاز بالعلوم التدبيرية وجامع لمعارف الديار الافرنجية وسع الله به دائرة المعارف بمالك مصر والشام وجعله مقبولا لدى ولي النعم الا كبر وسرعسكر نجمله الضرغام وليس كل من اكتسب المعارف يصدر عنه عمل اللطائف قال الشاعر وعادة السيف ان يزهو بجوهره * وليس يعمل الا في يدي بطل

وأما حضرة حسن بيك أفندي والأفندية البحريون ففضاهم وكال علومهم ثابت بالبرهان يدل عليه امتيازهم بين الاقران وشهرة اسطفان أفندي غنية أيضاً عن البيان فقد حاز من العلوم ما حاز وفاز من الفنون بما فاز ولا ينكر فهم الطين أفندي في جميع أنواع العرفان ولا خليل أفندي محمود وتعلم احمد أفندي يوسف مشهود غير محدود وبالجملة فالجل من الأفندية حصل المرام ورجع لنشر هذا بديار الاسلام ولنذكر هنا رجوع العبد الفقير الى مصر ليم غرض هذه الرحلة فنقول * خرجنا من باريس في شهر رمضان سنة ١٢٤٦ وسرنا نقصد مرسيليا لنركب البحر ونرجع الى سكندرية فمررنا على مدينة فنتنبلو بقرب باريس بها قصر سلطاني وهذا القصر شهير بان نابليون نزل فيه عن سلطنة فرانسوا واخلعها عنه سنة ١٨١٥ من الميلاد ويشاهد به عمود على شكل الهرم مبني من الحجارة والقصد منه انه تبقى آثاره لتذكر رجوع البربون في

خرافسا فتجد مرسومًا عليه اسماءهم وتاريخ ولادتهم وغير ذلك وفي هذه الفتنة الاخيرة محي الخلق هذه الاسامي فلا يشاهد منها الا الآثار وهكذا عادة الزمان في تلونه بجميع الالوان وغدره وفتكه بقوم واقباله على آخرين قبل تمام يوم قال الشاعر

قتلت صناديد الرجال فلم ادع * عدوا ولم امهل على جيشه خلقا
وأخليت دار الملك بعد ملوكهم * فشردتهم غربا وبددتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزرا ورفعة * وصارت رقاب القوم اجمع لي رقا
رماني الردا سهما فاحمد جبرتي * فها أنا ذا في حفرتي عاطلا ماتي
وكتابة تلك الرسوم من عادة الافرنج تأسيا بالسلف من أهالي
مصر وغيرهم فانظر الى بناء أهل مصر للبرابي واهرام الحيزة فانما
بنوها لتكون آثارا ينظر بعدهم اليها من رآها ولئذ كراك آراء الافرنج
فيها وما ظهر لهم بعد البحث التام حتى تقابله بما ذكره المؤرخون فيها
من الاوهام فنقول ملخص كلام الافرنج ان الذي بناها هو ملوك مصر
وانه اختلف في زمن بنائها فبعضهم زعم انها بنيت من منذ ثلاثة آلاف
سنة وان الباني لها ملك يقال له قوف وبعضهم قال ان الباني لها ملك
يقال له خميس أو خيوس والظاهر ان أحجارها منحوتة من صعيد
مصر لامن البحيرة وقال بعضهم ان مدة بنائها لم تكن تزيد من ثلاثة
وعشرين سنة وإن العملة الذين بنوها كانوا ثمانية وستين ألف نفس ولكن
بمصاريف عظيمة حتى ان ما صرف على البصل والكرات للعملة يبلغ
على ما قاله بئتياس نحو عشرين مليونًا من القروش المصرية ثم ان هذه
الاهرام تنسب الى أحد ملوك الفراعنة وانه أعد الهرم الأكبر ليضم جثته
والآخرين لدفن زوجته وبنته فلم يدفن هو في الاول بل بقي هذا الهرم

الآن مفتوحا وأما الهرمان الآخران فدقت فيهما بنته وزوجته وسداسدا محكة
هذا ما حكاه الأفرنج في شأن الأهرام ومما قيل في عظم بناء الهرمين العظيمين.
خيل لي ماتحت السماء بنية * يشابه بنيها بنا هزمي مصر
بناء يخاف الدهر منه وكما على * الأرض يخشى دائما سطوة الدهر
وقال بعضهم في الأهرام مضمنا عجز بيت في معلقة طرفه
لقدت بالأهرام حول أحبة * جفوني ببرد يابس وتجلد
يقول بها صبي لبرد جليدها * وهجرى لانهلك أسي وتجلد
قال السيوطي في منتهى العقول انه يتعجب من قول العلماء ان أعجب ما في
مصر الأهرام مع ان البرابي بالصعيد أعجب منها والبرابي هي المشهورة عند
العامة بالمسلات ولغراتها نقل اليها الأفرنج اثنتين الى بلادهم أحدهما نقلت
الى رومة في الزمن القديم والآخرى نقلت الى باريس في هذا العهد من فايز.
معروف ولي النعم واقول حيث ان مصر اخذت الآن في أسباب التمدن والتعلم على
منوال بلاد أوروبا فهي أولى واحق عاثر كهلها سلفها من أنواع الزينة والصناعة.
وسلبه عنها شيئا بعد شيئا يعد عند أرباب العقول من اختلاس حلي الغير للتحلي.
به فهو أشبه بالغصب وإثبات هذا لا يحتاج الى برهان لما انه واضح البيان.
وقد صنع نابليون في باريس عمودا مفرغا من المدافع القسي سلبها من
الموسقو والنمسا وقد حاول الموسقو اسقاطه حين حلولهم بباريس فما
ظهر الا عجزهم عن ذلك ثم بعد ان جزنا فتنبلو شاهدنا مدينة نيور بعد سير
أربع ساعات من فتنبلو وهي على عشرين ساعة ايضا من باريس ثم بعدها
مررنا على مدينة كونة على شط نهر الوارة وهي مدينة تصنع فيها الهاليب.
للمراكب السلطانية ثم على مدينة مولن وبها كثير من اولاد العرب
الذين يحبوا فرنساوية من مصر الى فرنسا ثم صرنا حتى وصلنا مدينة

روانة وهي على سبعة وتسعين فرسخا فرانسوايا على جنوب باريس.
 قبل الوصول الى مدينة ليون بثلاثة عشر فرسخا واهلها تسعة آلاف
 نفس وبها ديوان مشورة للفريقات ومشورة للزراعة وكتبخانه ومخزن
 آلات طبيعية وهندسة وبها قنطرة لطريقة على نهر لوار ورصيف مشهور
 وهي ساحل مركز تجارات ليون وغيرها من سائر انواع البضائع وباراضها
 مقاطع الرخام ونهر لوارة يمكن المسير فيه بقرب هذه المدينة وهذه المدينة
 غير مدينة روان البعيدة عن باريس جهة الشمال بثلاثين فرسخا والتي يمر بها نهر
 السين والتي هي من اقليم نومنديا ثم وصلنا الى مدينه ليون وقد تقدم
 الكلام عليها ثم وصلنا الى مدينه اورغون التي على جنوب باريس غاية
 وثمانية وسبعين فرسخا فرانسوايا وهي في سفح جبل شهيرة بكون نابليون
 حال عبوره بها تخفى خوفا من اهلها ولا زلنا نمر ببلاد حتي وصلنا الى
 مرسيليا وقد تقدم الكلام عليها مستوفيا ومنها نزلنا في سفينة تجارية
 وسرنا قاصدين اسكندرية ولا حاجة ايضا الى ذكر ما شهدناه لانه عين
 ماسبق في المقصد غاية ما نقول ان كل من يعرفني من الفرنساوية طلب
 مني انني بمجرد دخولي اسكندرية اذكر ما يقرع فكري مما استغر به
 لبعده عهدي من مصر ولرؤيتي خلافة في بلاد الافرنج وتعودي على
 مشاهدة غيره يظهر لي غرابه ما اراه اول وهلة حين وصولي فوعدت
 ووفيت هذا حاصل ما كان لحصت حسب الامكان فلم يبق علينا حينئذ
 الا ذكر خلاصة هذه الرحلة وما دقت فيه النظر واهميت فيه الفكر
 فاقول ظهر لي بعد التأمل في آداب الفرنساوية واحوالهم السياسية انهم
 اقرب شها بالعرب منهم للترك وانهم من الاجناس واكوى مظنه القرب
 بامور كالمرض والحريه والافتخار ويسمون العرض شرقا ويقسمون

به عند المهمات واذا عاهدوا عاهدوا عليه ووفوا بمهودهم ولا شك ان
العرض عند العرب العربا اهم صفات الانسان كما تدل على ذلك اشعارهم
وتبرهن عليه آثارهم قال الشاعر

واني لحلو للصديق واني * لمزلني الاضغان ابدي له بغضى
واني لاستغني فإبطر الغنا * وابذل ميسور المن يبتغى قرضى
واعسر احيانا فتتفد عسرتي * وادرك ميسور الغني ومعي عرضي
وهتك العرض هو ما يعبر به عندهم بالسبة والعار قال الشاعر

تعيرونا انا قليل عدادنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الا كثيرين ذليل
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وانا لقوم ما ترى القتل سبة * اذ مارأته عامر وسلول
اذا سيد منا خلا قام سيد * قوول لما قال الكرام فقول
سلى ان جهلت الناس عنا وعهمو * فليس سواء عالم وجهول
ولا يظن بهم انهم لعدم غيرتهم على نساءهم لا عرض لهم في ذلك حيث
ان العرض يظهر في هذا المعنى اكثر من غيره لانهم وان فقدوا الغيرة
لكنهم ان عملوا عليهم شيئاً كانوا اشر الناس عليهم وعلى انفسهم وعلى
من خانهم في نساءهم غاية الامر انهم يخطئون في تسليم القياد للنساء وان كانت
المحصنات لا يخشي عليهن شيء كما قال الشاعر

اذا غاب عنها البعل لم تنفس سره * وترضى اياك ان يعمل حين يؤوب
قال الزمخشري عند قوله تعالى حكاية عن قول العزيز واستغفري لذنبك انك
كنت من الخاطئين ما كان العزيز الاحليم اوقيل انه كان قليل الغيرة قال الشيخ
ابن ابي عمير في تفسير هذه الآية الكريمة وتربة مصر اقتضت هذا المعنى

قلة الغيرة واين هذا مما جري لبعض ملوك بلادنا وهو انه كان مع ندمائه
الخصيصين به في مجلس انس وجارية تغني وراء الستارة فاستعاد بعض جلسائه
بئتين من الجارية وكانت قد غنت بهما فما لبثت ان جيء برأس الجارية
مقطوعا في طشت وقال له الملك استعد البئتين من هذا الرأس فسقط
مغشيا عليه ومرض مدة حياة ذلك الملك أقول واين غيرة هذا الملك
من غيرة عبد المحسن الصوري على محبوبته حيث قال

تعلقته سكران من خمرة الصبا * به غفلت من لوعي ونحيبي
وشاركني في حبه كل ماجد * يشاركني في مهجتي بنصيب
فلا تنزموني غيرة مالفهم * فان حبيبي من أحب حبيبي
انتهى سكردان بن حجلة صاحب ديوان الصبابة وبالجملة فسائر الامم
تشكي من النساء ولو العرب قال الشاعر
لقد باليت مظعن ام اوفي * ولكن ام اوفي لاتبالي
وقال آخر

فان تسألوني بالنساء فاني * بصير بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء او قل ماله * فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء المال حين علمنه * وشرخ الشباب عندهن عجيب
وحيث ان كثيرا ما يقع السؤال من جميع الناس عن حالة النساء
عند الافرنج كشفنا عن حالهن الغطاء وملخص ذلك أيضاً ان وقوع
الاحبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن بل منشأ ذلك
التربية الحيدة والحسيسة والتعود على محبة واحد دون غيره وعدم التشريك
في المحبة والالئام بين الزوجين وقد جرب في بلاد فرانسا ان العفة
تستولى على قلوب النساء المنسوبات الى الرتبة الوسطى من الناس دون

نساء الأعيان والرعاع ففساء هاتين المرتبتين يقع عندهم الشبهة كثيرا
 ويتهمون في الغالب فكثيرا ما كانت تهم الفرنساوية نساء العيلة الملكية
 المسماة البربون على ان مما يقوى كلامهم ما وقع لزوجة ابن ملك فرانسوا
 المعزول التي هي أم الدوك دوبردو الذي خلع عليه جده المملكة بعد عزله
 ولم يقبله الفرنساوية وقالوا ان هذا الولد ابن زنا فان أمه ولدت ولدا آخر
 من الزنا وادعت انها تزوجت سرا فانكسر بذلك ناموسها وبعد ان كانت
 تطلب مملكة فرانسوا لابنها الاول وكانت آخذة في اسباب توليته وكان
 يخشى منها وقوع شيء في المملكة سقطت من الاعين وبعد ان وقعت
 في يد الفرنساوية وكان يظن هلاكها تركوا سييلها قائلين انها صارت
 مهملة ورجعت الى أهلها بولدها الاخير ومن اغرب ما وقع ببلاد الافرنج
 في هذا الامر ان ملك الانكليز جرجس الرابع اتهم زوجته بالفاحشة
 بعد ان عهد منها ذلك المرات العديدة واشتهرت بذلك عند الخاص والعام
 لكونها كانت تسافر ببلاد الافرنج مع من تريد ولها في كل محل عشاق
 فلما رفع امرها عند شرعهم واقامت الدعوى كما ينبغي وقصد باثبات
 زناها طلاقها ليتزوج بغيرها فلم تثبت أمور كافية في الطلاق فحكم القاضي
 بابقائها على عصمته قهرا عنه فبقيا متفرقين ولكن لم يتزوج غيرها وذاع
 امرهما وشاع ولكن في الحقيقة وان كان يعتقد فيها ذلك الا انه بمجرد
 القرائن لا بالمشاهدة والا لانتم عرضة فمادة العرض التي تشبه الفرنساوية
 فيها العرب هو اعتبار المروءة وصدق المقال وغير ذلك من صفات
 السكمان ويدخل في العرض أيضا العفاف فانهم تقل فيهم دناءة النفس
 وهذه الصفة من الصفات الموجودة عند العرب والمركوزة في طباعهم
 الشريفة وان كانت الآن قد تلاشت فيهم واضمحلت فانما هو لكونهم

قاسوا مشاق الظلم ونكبات الدهر و احوجهم الحال الى التذلل والسؤال
ومع ذلك فتمد بقي منهم من هو على اصل الفطرة العربية عفيف النفس
على الهمة كما قال الشاعر

فدعني ونفسي والعفاف فاني * اخذت عقافي في حياتي ديدني
واصعب من قطع اليدين على الفتى * صنيعة بر نالها من يدي دني
واما الحرية التي تتطلبها الافرنج دائماً فكانت ايضا من طباع العرب في
قديم الزمان كما تنطق به المفاخرة التي وقعت بين النعمان ابن المنذر ملك
العرب وكسرى ملك الفرس وصورتها انه قدم النعمان على كسرى وكان
عنده وفود الروم والهند والصين والعجم والترك وغيرهم فذكروا من
ملوكهم وبلادهم وعماراتهم وحصونهم فاقتخر النعمان بالعرب وفضلهم
على جميع الامم ولم يستثن فارسا ولا غيرها فقال كسرى وقد اخذته
الغيرة يا نعمان لقد فكرت في العرب وفي غيرهم من الامم ونظرت في
حال من يقدم على من الوفود فوجدت الروم لها حظ في اجتماع القها
وعظيم سلطانها وكثرة مدائنها ووثيق دينها ورأيت الهند شهيرة الحكماء
طيبة الثراء كثيرة الانهار والبلاد والثمار عجيبه الصناعة مرونقة الحسان
مغمورة بالاهل وكذلك الصين عجيبه في اجتماعها وكثرة صنائع ايديها
وهمتها في الحروب وصناعة الحديد وان لها ملكا يجمعها وكذلك الترك
منع ما هم عليه من سوء الحال في المعاش وقلة الريف والثمار والحصون
وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس فان لهم بعد ذلك ملوكا
تضم قاصيهم وتدبر امورهم ولم ار للعرب شيئا من ذلك من خصال الخير
في امر دين ولا دنيا ولا حرمة ولا قوة ولا عقد ولا حكمة مع ما يدل
على تدانيها وبذلها وضعف همتها بحالهم التي هم بها مع الوحوش النافرة.

والطيور الحائرة يقتلون اولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة قد حرموا من مطاعم الدنيا ومشاربها وملايسها ولهوها ولذاتها واعظم طعام ظفروا به لحوم الابل التي يعافها كثير من الطيور والسباع لثقافتها وسوء طعمها وخوف دائها وان اقري احد ضيفا اعتدتها مكرمة وان اطعم لقمة اعتدتها غنيمة تنطق بذلك اشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم ماعدا هذه التتوخية التي أسس جندى اجتماعها وشدد مملكتها ومنعها من عدوها ليجرى له ذلك الى يومنا هذا فان لها مع ذلك آثاراً وحصوناً وأموالاً تشبه أموال بعض الناس لكني أراكم لاتسكتون على ما بكم من الذلة والقليلة والفاقة والبؤس حتي تفتخرون وتريدون ان تنزلوا فوق مراتب الناس فقال النعمان أصلح الله الملك صدقت إن هذه الامة تسموا بفضلتها وبعظم خطيئها وعلو درجتها الا أن عندي جواباً في كل ما نطق به الملك من غير رده عليه ولا تكذيب له فان أمنتني من الغضب مما أتكلم به فعلت قال كسري وأنت آمن فقال النعمان أما أمتك فلا تنازع في الفضل لموضعها التي هي به من عقولها وأخلاقها وبسطة محلها وبمحبوبة عزها وما كرمها الله تعالى به من ولايتك وولاية آبائك وأجدادك وأما الائمة التي ذكرت فما من أمة الا فضلتها العرب بفضلتها قال كسري لماذا قال النعمان بعزها ومنعتها وحسن وجوها وذمتها وبأسها ورياستها وسخايتها بحكمة بسنتها وشدة عقولها ووفائها فاما عزها ومنعتها فانهم لم تزل مجاورة لآبائك وأجدادك الذين فتحوا البلاد ووطنوا العباد وأقاموا الملك وقادوا الجيوش ولم يطمع فيهم طامع ولم يزلوا عندهم محترمين ولا نال أحد منهم نائل بل حصونهم ظهور خيولهم ومهادهم الارض وسقوفهم السماء والى جانبهم السيوف وعدتهم السقف اذ غيرها من الائمة

عزها بالحجارة والطين والجزائر والبحور والقلاع والحصون وأما حسن وجوها والوانها فقد يعرف بذلك فضلمهم على الهند المحترقة والصين المتجمشة والترك المشوهة والروم المنقررة الوجوه وأما انسابها واحسابها فليس أمة من الأمم الا وقد جهل آباؤها وأصولها وكثير من أولها وآخرها حتى إن أحدهم ليسأل عمن وراء أبيه فلا ينسب ولا يعرفه وليس أحد من العرب الا ويسمي أباه أبافا أحاطوا بذلك أحسابهم وحفظوا بذلك انسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينسب الى غير نسبه ولا يدعى الى غير أبيه وأما شجاعتهم وأسماؤهم فان أدناهم رجلا يكون عنده البكرة والتاب عليها باغته وحولته وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذي يقتدى بالقادة ويجتري بالشربة فيعقرها له ويرضي أن يخرج له عن دنياه كلها فيما يكتسبه من حسن الاحدوتة وطيب الذكر والتناء وأما حكمة ألسنتها فان الله تعالى أعطاهم أشعارا ورونقا كاهلا وحسن وزنه وقوافيه مع معرفتهم بالاشارة وضربهم الامثال وبلاغتهم في الصفات ما ليس من السنة الاجناس ثم إن خيولهم أفضل الخيول ونساءهم أعف النساء ولباسهم أحسن اللباس ومعادنهم الذهب والفضة واحجار جبالهم الجزع ومطايهم التي لا يباغ الا على مثلها سفر ولا يقطع الا بمثلها بلد قفر واما دينها وشريعتهم متمسكون به اعظم تمسك وان لهم أشهر أحر ما وبلد أحر ما وبيتا محجوجا ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون فيه ذبايحهم فيأتي الرجل فيه قاتل أبيه واخيه وهو قادر على اخذ ثاره منه وادراك رغبه فيه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله اياه احتراماً لذلك البيت وتشريفاً له واما وفاؤهم فان أحدهم يلاحظ اللحظة فهي عقد لاهلها لا يرجع عما اضمره في نفسه حتى يبلغه وان أحدهم يرفع عودا من الارض فيكون رهنا بدينه فلا يطاق رهنه ولا يخفر ذمته خوفا من

الله تعالى وان احدهم يبلغه ان احد استجار به وعسى ان يكون نائيا
عن داره فيمنع عنه عدوه ويحميه منه ولو اتبني قبيلته او تلك القبيلة التي
استجار عليها وذلك لما اخفر من جواره وان احدهم يلجأ اليه المحروم
ولما حدث عنه بغير معرفة ولا قرابة فينزله عندهم وتكون انفسهم واموالهم
دون ماله واما قولك ايها الملك حفظك الله انهم يقتلون اولادهم من
الحاجة فانما يفعله من فعله منهم رغم انفسه حذرا من العار وخيفة وغيره
من الازواج واما قولك ايها الملك ان افضل طعام ظفروا به لحوم الابل
على ما وصفت منها فما تركوا مادونها الا احتقاراً له فعمدوا الى اجلها
وافضلها فكانت مراكيهم ومطاعمهم مع انها اكثر البهائم لحوما واطيبها
شحوما وارقها البانا واكلها غاية واحلاها مضغة وانه لاشيء من اللحوم
يفاخر لحمها الا استبان فضلها عليه واما محاربتهم واكلهم بعضهم بعضا
وتركهم الانقياد الى رجل واحد يسوسهم ويدبر امورهم فانما يفعل
ذلك من الهم من علمت الضعف من انفسها وتخوفت من نهوض عدوها
عليها فانهم يحتاجون الى ملك يدبر امرهم ويكون رجلا من اعظمهم
شأنا وقدرنا ويكونون معترفين بشرفه على سائرهم فينقادون اليه بازمهم
وينقادون الى امره واما العرب ايها الملك فان كثيرا فيهم لعظم كرمهم
ووفائهم ودينهم وحكمة سنتهم وسخاء نفوسهم يقولون انهم ملوك باجمعهم
مع رفعتهم فلا ينقاد احد الى الآخر فانهم اشراف واما اليمن التي وصفها
الملك فان آباءك واجدادك اعلم بصاحبها لما اتاه ملك الحبشة في مائتي الف
وتغلب على مملكته وجاء الى بابك وهو مستصرخ ذليل حقير مسلوب فلم
يجره احد من اجدانك ولا آباءك فاستجار بالعرب فاجاروه ولولا ما وتربه
من بلية العرب لمال الي نقص ولم يرجع الي محله ولولا انه وجد من

يحيد معه الطعام بقتل الاحرار وتبديد شمل الكفار وبذبح العميد الاشرار
لم يرجع الى اليمن قال فمعجب كسري مما جاء به النعمان ثم قال له انك لاهل
لموضعك من الرياسة ولاهلك ولاهل اقليمك ولما هو افضل منه ثم كساه
وانعم عليه واعطاه اشياء جزيلة ثم سيره الى موضعه من الحيرة ثم بعد
ذلك سير اليه وقتله والتنوذية فرقه من اليمن قال المتنبي على لسان بعضهم

قضاة تعلم الي الفتي السدى اذ خرت اصروف الزمان

ومجدي يدل بني خندف * على ان كل كريم يمان

انا ابن اللقاء انا ابن السخاء * انا ابن الضراب انا ابن الطعان

انا ابن الفياضي انا ابن القوافي * انا ابن السروج انا ابن الرعان

طويل التجاد طويل العباد * طويل القناة طويل اللسان

حديد اللحد حديد الحماظ * حديد الحسام حديد الجنان

يسابق سيفي مناب العباد * اليهم كنانهم في رهيان

يري حده غامضات القلوب * اذا كنت في هبوة لا اراني

ساحله حكا في النفوس * ولو ناب عنه لسائي كفاني

وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال حضر رجل من اهالي مضر الى

عمر بن الخطاب وجعل يشكو من عمرو بن العاص فيقال يا امير المؤمنين

ان هذا مقام العائذ فيقال عمر لقد عذبت فما شأنك قال تسابقت بفرسي

انا وابن عمرو بن العاص فسبقته فجعل على بسوط في يده وجعل يقتني

بالسوط ويقول لي انا ابن الاكرمين وبلغ ذلك لعمر بن العاص

فخشي ان آتاك لاشكي ولده وجبني فتفقت من الخيس وها انا قد

أتيتك قال فكتب كتابا عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص انه اذا

اتاك كتابي هذا احضر الموسم يعني الحج انت وابنيك ثم التفت الى المصري

وقال له قم حتى يأتي غريمك فلما حضر عمرو بن العاص وابنه الحج وجلس
 عمر بن الخطاب وجلسوا بين يديه وشكى المصري كما شكى أول مرة
 فأوصي عمر بن الخطاب وقال له خذ الدرة وانزل بها عليه قال فدني المصري
 من ابن عمرو بن العاص ونزل عليه بها وعن انس قال والله لقد ضربه
 ونحن نشتهي أن نضربه فلم يزل يضربه حتى استحييناه أن لا يضربه وذلك
 من كثرة ما يضربه وعمر رضي الله عنه يقول اضرب ابن الاكرمين
 قال عمرو بن العاص قد شفيت يا امير المؤمنين قال عمر بن الخطاب للمصري
 انزع عمامته وضع الدرة على صلعة عمر فخاف المصري من ذلك وقال
 يا امير المؤمنين قد ضربت من ضربتي فما لي أطرب من لم يضربني
 فقال عمر رضي الله عنه والله لو فعلت لما منعك أحد ثم التفت رضي الله
 عنه وقال لعمرو بن العاص متى استعبدت من ناس وقد ولدتهم أمهم
 أحرارا انتهى فنه يفهم ان الحرية أيضاً من طباع العرب من قديم الزمان
 هذا ولا ينبغي لنا ان نحتم هذه الرحلة من غير ان نشكر محاسن من
 ساعد ولي النعم في نجاح مقصوده من ترتيب أمور التلامذة وتعليمهم
 بمدينة باريس محب البلاد المصرية وأهلها الخواجة جو مارفانه يسئ مهمته
 ورغبته في تنفيذ مقصد أفندينا ولي النعم ويسارع في المصاحبة بلا انكار
 فكانه من أبناء مصر البارين بها فهو جدير بان ينظم في سلك المحبين
 للذات الخديوية وبما يدل على ذلك غاية الدلالة ما ذكره في روزنامته التي
 ألفها لاستعمال مصر والشام ستة الف ومائتين وأربعة وأربعين من
 الهجرة فانه ذكر فيها انه ان صدرت له ارادة سنوية وأوامر خديوية
 ليؤلفن كل عام روزنامة بهذا الوضع ليعين على حسن تمدن الايالات المصرية
 فمن جملة ما قاله في مقدمته انه يذكر في هذه الروزنامة عدة أمور* الامر

الاول الدلالة على تقدم الحرف والصنائع اللازمة لمصر من اولها لآخرها
 * الثاني تجارة أهالي أوروبا وآسيا وأفريقية كقوافل بلاد البربر
 ودارفور وسنار وبلاد الحجاز ومقابلة الأفيصة والمكايل والموازين المختلفة
 باختلاف البلاد المستعملة هي فيها * الثالث ذكر أمور الزراعة فانهما
 كانت سببا في سالف الاعصر في غناء أهل مصر فلهذا ينبغي ان تكون
 أول ما تهتم به الدولة في مملكة مصر الطيبة التربة والزراعة كثيرة الفروع
 المهمة فمن ذلك علم توفير المصاريف الحلائية ويتشعب عنه اصلاح المزارع
 والمروج المستحدثة المدبرة وتتم زراعة القطن والنيلة والعنب والزيتون
 والتوت واستخراج دقيق النيلة واستخراج أنواع كثيرة من الزيوت
 ومعرفة تربية النحل ودود القز ودود الصباغة وتعهّد الحيوانات الاهلية
 وتحسين الحيوانات البلدية بعزائها عن غيرها كالخيل والمعز وحيوانات
 الاصواف وجلب البهائم البرانية ومعرفة طب البهائم ومعالجة أمراضها
 كمرض السواف وحفظ الجبوب من السوسة وغرس الاشجار وترتيبها
 بحافات الطرق وخدمة البساتين وسائر الابنية الحلائية المناسبة لمصالح
 الزراعة وفي مادة الزراعة نذكر الترع والحلجان المعدة لسقي الاراضي
 والاسفار وكذلك نذكر الطرق والجسور والقناطر في السهول والخيال
 المعدة لتوصيل المياه فهذه كلها تذكر في الفلاحة * الرابع نتكلم على أمور
 مختلفة من علم الطبيعة ومن علم المواليد الثلاثة ومن العلوم الرياضية وهناك
 نتكلم على المادة المغناطيسية التي تستعملها الاطباء في معالجة الشلل
 ونحوه وكذلك القوة الكهربائية والحرارة الكروية والحوادث السماوية
 والندا والمطر الذي يحدث بين المدارين وكذلك نتكلم على أحجار
 الصواعق وعلى جبال النار المسماة بالبركانية وعلى الآلات الطبيعية كميزان

الزمان وميزان الحر وميزان الرطوبة ووقايه الرعد والنظارات الفلكية
والنظارات المعظمة للاشياء الدقيقة التي لا يدركها النظر وتكلم أيضاً على
علم المعادن واستخراجها وقطع الحجارة من مقاطعها وعلى علم الحشايش
الطبية والنباتات المستعملة في الفنون والصنایع وعلى البهائم النافعة وعلى
علم الحير والمقابلة والهندسة * الامر الخامس يشتمل على جملة فروع
من علم توفير المصاريف وسياسة الدولة وعلى تنبيهات على علم أحوال
الممالك والدول وعلى سبب ثروتها وغناء أهلها وعلى أحوال المعاش والمعاد
وعلى ولادة الذكور والاناث في كل بلدة من البلاد وعلى الادارة الملكية
وعلى الاصول العامة المستعملة أساساً لسياسات الافرنج وهي الحقوق العقلية
والحقوق القانونية والحقوق البشرية أي الحقوق التي للدول بعضها
على بعض * السادس سياسة الصحة العمومية والخصوصية ففي ذلك
تكلم على تلقيح البقري للجندري وعلى الطاعون ومعالجته وعلى
الامراض والموارض العامة وعلى بعض تشریح * السابع نذكر فيه جملة
تعليمات مختلفة من مسائل ادبية وفلسفية ولغات وعلوم مثل علم
الفصاحة وفيه تكلم أيضاً على المنكاتب والمدارس في البلاد المختلفة
ونبذات في تواريخ البلاد خصوصاً مصر وعلى حكايات ونوادير من
غرائب الآداب والبلاغة الافرنجية والمشرقية وكذلك نذكر شيئاً من علم المنطق
ونئين الوجود المسئلة المعلمة بالاجاز للقراءة والكتابة والحساب وطرق تعليم
هذه الاشياء في اقرب زمن لسائر العامة * الثامن نبحث فيه عن علمه اشياء
متنوعة وفيه نذكر اخبار التجارة والسفن البحرية واقامة العربات العامة
ومحسنين الطرق والترع والخلجان والقطار المتعلقة والاشارة المسئلة ببلغراف
يعني اشارة الاخبار وجميع الاشغال المتجددة عند الافرنج ونضم لذلك

لوحات اشكال لكمال الفائدة وكذلك ترسم خرائط جغرافية وصور النباتات والحيوانات التي تنقل من البلاد الغريبة وتربي في مصر ونذكر كثير من الامور التي تتجدد على تداول الازمن وبالجمله فذكر نبذات صغيرة متشعبة من اصول عظيمة ومستفادة من افواه الثقة سهلة الفهم لسائر الناس ولا نستشير منها شيئاً من صغاب الكتب انتهى كلامه ولم ينجز ما وعده به لانه عاق ذلك على الارادة السنية ولم يصدر له امر الى الآن وبالجمله فهو من المولعين بحب مصر ظاهراً وباطناً ومن الراغبين في خدمة ولي النعم حباله ولدولته وهذا آخر ما يسميه الله سبحانه وتعالى في ذكر حوادث السفر لتلك الجهة التي لا ينكر معارفها الا من لا انصاف عنده ولا معرفة له قال الشاعر

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * ويشكر الفم طعم الماء من سقم
والفضل كالشمس لا يخفى على احد * الا على اكمه عمى يراه عمي
ولا ينبغي ان يمنع ذو الحق حقه كما قال الشاعر في هذه الابيان المملوءة من الحكمة

اذا كنت في حاجة مرسل * فأرسل حكماً ولا توصه

وان ناصح منك بومادي * فلا تنا عنه ولا تقصه

وان باب امر عليك اتوى * فشاوّر ليلاً ولا توصه

وذو الحق لا تنتقص حقه * فان القطيعة في نقصه

ولا تذكر الدهر في مجلس * حديثاً اذا كنت لم تحسه

وقص الحديث الى اهله * فان الوثيقة في نقصه

ولا تحرصن قرب امرء * حريص مضاع على حرصه

وكم من فتى ساقط عقله * وقد يعجب الناس من شخصه

وأخر تحسبه أنوكا * ويأتيك بالامر من قصه

ولا احد يخلص من قال الناس كما قال الشاعر

ومن ذا الذي ينجو من الناس سالماً * وللناس قال بالظنون وقيل
 وحيث كان العمل بالنية * والمدار على حسن الطوية * فلا معول على من لم
 يكن نير السياسة * ساطع الكياسة * ولا أكثرث اليمين رقي رتبة عليه في الرسم
 والقوانين وتثبت بالسريرة وكان فيما ذا رياسته ودري ان القصد انما هو حث
 اهل ديارنا على استجلاب ما يكسبهم القوة والبأس وما يؤهلهم لملأهم الاحكام
 فتحن علي هؤلاء الناس * وبالجملة كما كان في زمن الخلفاء كما قال الشاعر
 وازرق الصبح يدو قبل ابيضه * واول الغيث قطر ثم ينهمل
 ولبعض اقاربي

يامن غدا معجباً بما اقترحت وقد * انحني بروم مقال العاذل اللاحي
 امارأت اذا شمس الضحى غربت * يلجج الحريص الى ضوء بمصباح
 وقال آخر

ليس الفتي بفتي لا يستضاء به * ولا يكون له في الارض آتار
 وعلى كل حال فارجو ممن نظرفيه ان يتصفحه بجملة ليكون على بصيرة مما يقول
 فان المتصفح للكتاب ابصر بمواقع الخلل منه ولا اقول الا كما قال الشاعر
 فاليك وشيثاً حاكه * في الطرس ذو باع قصير
 واستر اذا عيب بدا * والله يعفو عن كثير
 ولنختتمها بالدعاء للدولة الحديثة حماها الله وذريتها وجعلها سامية القدر بين
 دور الممالك المشرقية والمغربية شعر
 فتيمة لم تلد سواها المعالي * والمعالي قليلة الاولاد

متع الله مصر وايلاتهما بما افاضه عليها ولى النعم من حسن التمدن والعذل
 واملأها ايامه بحاج خاتم الرسل الذي علي مولاه دل * وصلي الله عليه وعلى
 آله واصحابه واحبابه واحزابه آمين

تم طبع رحلة العلامة الفاضل المرحوم رفاعه
 بك بدوي رافع الطمطاوى على ذمة
 مصطفى أفندي فهمي الكتبي وذلك
 بمطبعة التقدم فى أواخر شهر
 شوال سنة ١٣٢٣ هجرية
 على صاحبها أفضل
 الصلاة وأزكى
 التحية

م م

م



﴿ فهرست تخلص الابريز * في تلخيص باريز ﴾

تخيفه	
٢	الخطبة
٦	المقدمة
٦	الباب الاول من المقدمة في ذكر الارتحال الى باريس
١٢	الباب الثاني من المقدمة يتعلق بالعلوم والفنون المطلوبه
١٤	الباب الثالث من المقدمة في ذكر وضع البلاد الافرنجية وانسبتها الى غيرها من البلاد ومزية الامة الفرنسية على ما عداها من الافرنج الى آخره
٢٣	الباب الرابع من المقدمة في ذكر رؤساء هذه السفارة
٢٤	المقصود في مدة السفر من مصر الى باريس وما رأيناه من الغرائب في الطريق الى آخره
٢٥	المقالة الاولى فيما كان من الخروج من مصر الى دخول مدينة مرسيليا
٢٥	الفصل الاول في الخروج من مصر الى دخول نهر اسكندرية
٢٦	الفصل الثاني في ذكر نبذة تتعاق بمدينة اسكندرية
٢٩	الفصل الثالث في ركوب البحر المالح المتصل بشهر اسكندرية
٣٢	الفصل الرابع فيما رأيناه من الجبال والبلاد والجزائر
٣٧	المقالة الثانية فيما كان من دخول مرسيليا الى دخول مدينة باريس
٣٧	الفصل الاول في مدة إقامتنا في مدينة مرسيليا
٤٣	الفصل الثاني في الخروج من مرسيليا الى دخول باريس وفي المسافة بينهما

- ٤٥ المقالة الثالثة في دخول باريس وذكر جميع ماشهـدناه وبلغنا خبره من أحوال هذه المدينة
- ٤٥ الفصل الاول في تخطيط باريس من جهة وضعا الجغرافي وطبيعة أرضها ومزاج قطرها
- ٦٥ الفصل الثاني في الكلام على أهل باريس وصفاتهم
- ٧٩ الفصل الثالث في تدبير الدولة الفرنسية وهو يشتمل أيضاً على الكلام في حق الفرنسية
- ٩٦ الفصل الرابع في عادة سكني أهل باريس وما يتبع ذلك
- ١٠٢ الفصل الخامس في أغذية أهل باريس وفي عوائدهم في المأكل والمشرب
- ١٠٦ الفصل السادس في ملابس الفرنسيين
- ١٠٨ الفصل السابع في منزهات باريس
- ١١٦ الفصل الثامن في سياسة صحة الابدان بمدينة باريس
- ١١٧ الفصل التاسع في الكلام على اعتناء باريس بالعلوم الطبيعية وفي ذكر نبذة من قانون الصحة تسمى نصيحة الطبيب مشتملة على مواد
- ١٢٠ المادة الاولى في وصية صحاح البدن
- ١٢٢ المادة الثانية فيما يصنع حين أخذ المريض
- ١٢٤ المادة الثالثة فيما يصنع حين ظهور المرض
- ١٢٦ المادة الرابعة في معالجة الناقه
- ١٢٧ المادة الخامسة في وصايا عامة على الصحة
- ١٢٨ المادة السادسة في معالجات لجملة علل وأمراض

- ١٣٩ الفصل العاشر في فعل الخير بمدينة باريس
- ١٤٣ » الحادي عشر في كسب مدينة باريس ومهارتها
- ١٤٨ » الثاني عشر في دين أهل باريس
- ١٥٢ » الثالث عشر في ذكر تقدم أهل باريس في العلوم والفنون والصنائع وذكر ترتيبهم وإيضاح ما يتعلق بذلك
- ١٧٠ المقالة الرابعة فيما كنا عليه من الاجتهاد والاشتغال بالفنون المطلوبة لتحصيل غرض ولي النعم
- ١٧١ الفصل الاول فيما حصل لنا في أول الامر من الترتيب في القراءة والكتابة وغيرها
- ١٧٣ الفصل الثاني في تديرنا في شأن الدخول والخروج
- ١٧٦ الفصل الثالث في ترغيب ولي النعم لنا في الشغل والاجتهاد
- ١٧٨ الفصل الرابع في بعض مراسلات بنى وبين بعض من كبار علماء فرنساوية غير مسيو جومار
- ١٨٥ الفصل الخامس في ذكر ما قرأته من الكتب الخ
- ١٩١ الفصل السادس في الامتحانات التي صنعت معي في مدينة باريس
- ١٩٦ المقالة الخامسة في ذكر ما وقع من الفتنة في فرنسا
- ١٩٦ الفصل الاول في ذكر مقدمة يتوقف عليها ادراك علّة خروج فرنساوية عن طاعة ملوكهم
- ١٩٩ الفصل الثاني في ذكر التغيرات التي حصلت وما ترتب عليهما من الفتنة
- ٢٠٥ الفصل الثالث فيما كان يصنعه الملك في هذه المدة وفي رضائه الخ
- ٢٠٨ الفصل الرابع فيما انحط عليه رأي أهل المشورة من تولية ملك آخر

- ٢١٢ الفصل الخامس فيما حصل للوزراء الذين وضعوا خطوط ايديهم
على الاوامر السلطانية التي كانت السبب في زوال مملكة الملك الاول
- ٢١٦ الفصل السادس فيما كان بعد الفتنة وفي سخرية الفرنسية على
شرل العاشر
- ٢١٩ الفصل السابع فيما كان من دول الافرنج بعد سماعهم بانزال
الملك الاول الخ
- ٢٢١ المقالة السادسة في ذكر نبذات من العلوم والفنون المسرودة في
الباب الثاني من المقدمة الخ
- ٢٢١ الفصل الاول في تقسيم العلوم والفنون على طريق الافرنج
- ٢٢٢ الفصل الثاني في تقسيم اللغات من حيث هي وفي ذكر اصطلاح
اللغة الفرنسية وفيه نبذة من مختار الاشعار
- ٢٣٠ الفصل الثالث في فن الكتابة
- ٢٣١ الفصل الرابع في علم البلاغة المشتمل على البيان والمعاني والبديع
- ٢٣٣ الفصل الخامس في المنطق
- ٢٣٧ الفصل السادس في المقولات العشرة المنسوبة الى ارسطو
- ٢٣٩ الفصل السابع في الحساب المسمى باللغة الافرنجية ابرتيماطيقى
وفيه يسير من الهندسة والجغرافيا والتاريخ
- ٢٤٥ الخاتمة في رجوعنا من باريس الى مصر وفي عدة أمور مختلفة

شرح بيان أسماء بعض كتب موجوده بمحلى مصطفى فهمى الكتبي بمصر

حاشية الصاوى على الجلالين تفسير القرآن
 نيل المرام ومصباح الظلام حديث
 سنن ابن ماجه حديث
 الملل والنحل لابن حزم
 الغنيه لسيدى عبد القادر الجيلاني تصوف
 منهاج العابدين للغزالي
 الوحيز للغزالي
 القسطاس المستقيم للغزالي
 فائحة العلوم للغزالي
 شرح أسماء الله الحسنى للغزالي
 شرح أسماء الله الحسنى للفخر الزلري
 شرح شواهد المقتي للسيوطي
 تعريفات السيد الجرجاني
 ديوان الخطيبه
 ديوان أبي تمام
 ديوان سيد الجرجاني بن ثابت
 ديوان ابن تباته
 ديوان الحميدي
 ديوان عنتر بن شداد
 ديوان ابن سهل

(ب)

تاريخ الجبرتي جزء ٤
الفتوحات الاسلاميه لدحلان جزء ٢
الاعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني
الحضري على ملاوي السمر قنديه
افضل الصلوات للنهائي
اوراد سيدي أحمد التيجاني
مفيد العلوم ومبيد الهموم
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة
مقدمة بن خلدون
رحلة بن بطوطه
الفصح القسي في الفتح القدسي للوزير الكاتب بن العماد
سيره صلاح الدين الايوبي
المزدوجات والارتقيات
جواهر المعاني وبهامشه الرماح للتيجاني
أراء اهل المدينه الفاضله
شمس المعارف الكبرى
شموس الأنوار
ابو معشر الفيلكي
تاج الملوك في سر الخرف لابن الحاج
هز القحوف شرح قصيدة أبوشادوف
ملحة الاعراب
مجموعة لتعليم خط النسخ والسلس والقارسو

(ج)

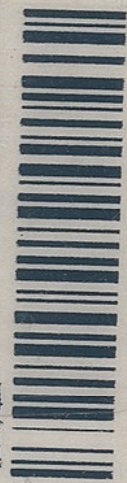
مجموعة لتعليم خط الرقعة
الجداول البهية في الحساب
الدر النظيم في خواص القرآن العظيم
رفع اللبس والشبهات عن ثبوت الشرف من جهة الامهات
مداواة النفوس لابن حزم
انباء نجباء الانباء
الجواب الصحيح لابن تيميه
الشعر والشعر لابن قتيبة
شرح الفصوص لسيدى عبد الفتى النابلسى
تسع رسائل لابن تيميه
مجموعة رسائل كبرى لابن تيميه جزء ٢
الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان لابن تيميه
الجواب السكا في لمن سأل عن الدواء الشافي
محصل افكار المتقدمين
كتاب الكلم الروحانية في الحكم اليونانية
ضوء البدور فيما ينفع الاحياء واصحاب القبور
المدخل لابن الحاج جزء ٣
التنوير في أسعاط التدبير لابن عطاء الله السكندري
ابن بابا على الحكم لابن عطاء الله السكندري
الروض العاطر في نزهة الخاطر
اساس الاقتباس
كتاب السبك والاهج حكايات أدبية

(د)

ماهد التخصيص شرح شواهد التأخير
ماشية الصبان على الاشمو في نحو جزء ٤
ن الحاج على الشيخ خالد نحو
هو ، على الانفية نحو
كتاب ... في القضاء والقدر ومسائل التعاليل
سيحة الانام في حسن الطعام
ريخ الانداس للمرأ كشي
نرين العباسي في التعاليم الاساسي جزء أول
نرين العباسي جزء ثاني
موع الشاطبية
، القاصح على الشاطبيه
ة الحيوان للدميري
حسن المحاسن
هيج للنعالي
كتاب الصلاة للامام ابن حنبل
اخر العلية في المآثر الشاذلية



Bibliotheca Alexandrina



0420438

